حلية الطالب

من سيرة علي بن أبي طالب

فضيلة الشيخ

محمد السيد حسن محمد

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

دار مشكاة

للطبع والنشر والتوزيع

عنـوان الكتـاب: حلية الطالب من سيرة علي بن أبي طالب

جمـع وترتيـب: الشيخ: محمد السيد حسن محمد

إشــــــراف: مؤسسة السادة

التصــــنيف: تاريخ إسلامي

تنســــيق: شركة دوام

مراجعــــة: بمعرفة المؤلف

تصـميم غـلاف: شركة دوام

رقــم الإيــداع: ٢٥/٣١٣٩٩

تــرقيم دولــي: الريحان والعرفان في مناقب عثمان بن عفان

٣٤ شارع يحيي إبراهيم – محمد مظهر – الزمالك - القاهرة

ت/ ٠١١١٤٣٩٨٩٩٤ -٠١٠١٤٤٤٤٦٤٨ - ٠١٠٠٢٢٦٩٥٤٧

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

المحتوى الأدبي مسؤولية الكاتب بالكامل

www.sadalu.net

بسم الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله، وصحبه، وأتباعه، إلى يوم الدين.

وبعد:

هذا هو الكتاب الرابع من سلسلة العشرة المبشرين بالجنة!

ومن بعد أن سبقته أعمال ثلاث هي:

١- هداية الطريق من سيرة أبي بكر الصديق.

٢- فتح الوهاب من سيرة عمر بن الخطاب.

٣- الريحان والعرفان من سيرة عثمان بن عفان.

وبهذا السفر أيضا تكتمل الأعمال الأربعة، ولتأتلف كلها حول عمل الخلفاء الراشدين المهديين.

ولاسيما أن البدء بهم كان تيمنا؛ ومن قول نبينا محمد صلى عليه وآله وسلم: أوصيكم بتقوى والسمعِ والطاعةِ وإن عبدًا حبشيًّا، فإنه من يعِشْ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ المهديّين الراشدين تمسّكوا بها، وعَضّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ[1].

ومن ثم جاء هذا الكتاب الرابع؛ تتمة لحلقة أُوْلَى، هي حلقة أولاء الصحب الكرام البررة، من الخلفاء الراشدين.

([1])صحيح أبي داود، الألباني: ٤٦٠٧

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وكما كان العهد من سيرة الصحب الثلاث الأُوَلِ، وإنما جاء هذا الإمام أبو الحسن والحسين؛ تتمة لها؛ ومن قصد الخير، وعنوان الاقتداء.

ولأنه كان على غير الثلاث الأُوَلِ؛ متقدما، ومن جانب أنه كان تربية مائدة هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم.

ومن ثم يكون قد تفرد بهذه الميزة، عمن سواه، ولو كان قد سبقه، ومن كمثل أبي بكر الصديق، أو عمر الفاروق، أو ذي النورين! ومن مجالات أخر، ومن أنحاء شتى!

ولأن أولاء الصحب الأخيار، وإنما هم كالمطر، كله خير، وليس يدرى أوله، من آخره أيضا!

ومنه حديث: مثَلُ أُمَّتي مثَلُ المطَرِ؛ لا يُدْرَى أوَّلُه خيرٌ أمْ آخِرُه[٢].

وكلهم، وكما قد سجل التاريخ، ذوو أمجاد، من داخل بيت النبوة، كانوا، أم من حواليها!

ولأنهم جميعا، كانوا قد تشربوا الهدى، وعملوا به، عملا صالحا، كان منه هكذا اجتباؤهم، قدرا مقدورا.

وتظل سيرة الإمام أبي الحسن والحسين علي بن أبي طالب، رافعة لواء مجدها؛ ومن بذله، ومن فضله.

ومن كونه كان زوجا لإحدى بنيات هذا النبي محمد صلى عليه وسلم.

ومنضافا إلى كونه كان لصيق الصلة، ومن بيت النبوة تربية، ومن أبناء عمومة رحما، ومن الدين نسبة وقربى.

فكان كل ذلك عملا مؤتلفا؛ أخرج للتاريخ هكذا رجلا، فذا، فردا، متألقا؛ ومن دينه، ومن تقواه، ومن ورعه، ومن زهده، ومن نبله، ومن شجاعته.

---

(٢)سنن الترمذي: ٢٨٦٩

www.sadah.net

ولكن هذا الرجل؛ ولقربه هذا من بيت النبوة، كان مثار ابتلاء، لمن ابتلوا؛ ومن جهالة، أن يضعوه في مكانة، لم يضعه فيها النبي صلى عليه وآله وسلم، ولا من بعده من أصحاب النبي صلى عليه وآله وسلم!

وهذا إجمال محدود!

ومن كل هذا الذي أنف، كان لابد له من تفصيل ممدود، ومن إيجاز محمود.

ومنه كان سفرنا هذا.

وقسمته خمسة أبواب.

وتحت كل باب فصول؛ وحيثما كان البحث يتطلب هذا.

وكتبه: محمد السيد حسن محمد.

في يوم الثلاثاء الموافق: اليوم السابع، من الشهر السابع، سنة ألف وأربعمائة وستة وأربعين من الهجرة النبوية المباركة.

البريد الإلكتروني للمؤلف: haledsayed398@gmail.com

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الباب الأول

وفيه فصلان:

الفصل الأول: مناقب أبي الحسن والحسين علي بن أبي طالب.

الفصال الثاني: فضل علي وولايته.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفصل الأول

مناقب أبي الحسن والحسين علي بن أبي طالب

وحين تقلد علي بن أبي طالب – رضي تعالى عنه – حمل رايات أحد بعد مصعب – رضي تعالى عنه – وفي فتح خيبر، وبني قريظة أيضا.

يلاحظ أن نبينا صلى عليه وسلم قلد مصعبا وعليا رايات القتال؛ لأنهما كانا من السابقين بإحسان؛ وهذا برهان ألا يكلف إلا من كان صاحب تاريخ مجيد.

إن المهمات العظام لا يكلفها إلا العظام؛ ولأنهم يطيقون تبعاتها، وهذا الذي حدث يوم أن قلد نبينا صلى عليه وسلم مصعبا وعليا رايات الشرف والفداء.

إن المهمات الفرائد إنما لا يكلفها إلا من كان لها أهل؛ ليرجع بكفين، مملوءتين نصرا وعزا لا غيره، وهذا عمل قائد موفق ملهم.

حمل راية مؤتة زيد بن حارثة، وقاتل حتى استُشهد، فتسلَّمها جعفر بن أبي طالب حتى استُشهد، فتسلَّمها عبد بن رواحة رضي عنهم أجمعين.

دلنا على اعتبار حمل الراية أن أبا بكر حملها في تبوك، وكان متقدما عمره؛ برهان أن ديننا لا تعرفه كهولة! فكل طور من أطوار المسلم لها ما يصلحها.

كان اللواء يركز في مسجد نبينا صلى عليه وسلم أو أمام دار القائد دلالة على حالة التأهُّب والاستعداد للحرب. ولطالما كان هكذا عمل القادة.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إن عمل الألوية ورفع الرايات برهان أن عمل أمتنا هو الفتح المبين وإرجاع حقه تعالى ممن أخذوه عنوة بعنوة أيضا وحين لا يفلح سلم.

إنه ليس يخرجنا كلام عن اللواء وتاريخه عن مجده وسلطانه حين كان شارة على بذل وافتداء دائمين لا يفارقان عقد مؤمن ب وإقرارا بسلطانه.

إن عمل اللواء ورفع الراية أمام الأعين استدعاء لقيمة الفتح المبين وشحذ لهمم المؤمنين وأنهم في رباط إلى يوم الدين لا عمل المبطلين.

إن نظرا إلى سواعد من حملوا رايات الفتح المبين يجعلنا نكبر عملهم وهذا هو حمل الراية بحق لا كما يقدم حامل لها وليس بحامل!

إن حمل الراية كان يقصد به من حملها وهو إذ يمهر نفسه لرمحه لا كمن قدم دونها ويعده حملا لها وإن كان كل على ثغر ومأجور.

كان نبينا صلى عليه وسلم قد عقد لواء لأسامة بن زيد وحين توفي ركز أسامة اللواء أمام مسجده صلى عليه وسلم فأعاده الصديق إليه حين توليه الخلافة إنفاذا لأمره صلى عليه وسلم.

كان لواء غزوة بدر الأولى مع علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه. وهذا تنويع في إسناد الأعمال للأكفاء، واحدا تلو الآخر؛ تجديدا للدماء، وتحديثا للولاء.

كان من تنظيم نبينا صلى عليه وسلم في بدر، وكما وأنه أعطى لواء بدر الأبيض إلى الصحابي الكريم مصعب بن عمير رضي تعالى عنهم أجمعين. وجعل اختصاص راية لعلي بن أبي طالب، ومعه فريقه، وإسناد راية أخرى لسعد بن معاذ رضي تعالى عنهم، ومعه فريقه، تنظيما للصفوف، لا كما يشاع أن هذا مهاجري، وأن هذا أنصاري! فإن هؤلاء قوم كانوا قد أعلنوا استعلاءهم على

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

حمية جاهلية، وما كانوا ليسلموا، إلا وهم قد داسوها، تحت أقدامهم، وبحيث ظلت تراوح مكانها، ويوم أن تركوها وراءهم، يوم أن أسلموا، وما حدث أو ما يحدث من هنات ههنا أو هنالك، فإنما هي أعمال فردية، لا تمثل ظاهرة، والحمد لله.

عن عبدِ بنِ مسعودٍ قالَ: كنا يوم بدر اثنين على بعير وثلاثة على بعير وكان عليٌّ وأبو أمامة زميلي رسول صلى عليه وسلم وكان إذا حانت عقبتهما قالا يا رسول اركب نمش عنك فيقول إنكما لستما بأقوى على المشي مني، ولا أرغب عن الأجر منكما[٣].

فكان كل ثلاثة على بعير! هذا يمشي وهذا يركب تناوبا، فقال أبو لبابةَ وعليُّ بنُ أبي طالبٍ زميلَي رسولِ لنبينا صلى عليه وسلم: نحن نمشي عنك. فقال: ما أنتما بأقوى مني ولا أنا بأغنى عن الأجر منكما! وهذه أخلاق قائد، يعمل على نور من ربه، ويتلقى عونه من مولاه.

وعن علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه: لا طَاعَةَ فِي مَعْصِيَةٍ، إنَّما الطَّاعَةُ فِي المَعروفِ[٤].

وعَنْ عَلِيِّ بنِ أبِي طالِبٍ رَضِيَ عنْه، قالَ: أنا أوَّلُ مَن يَجْثُو بيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَومَ القِيامَةِ. قالَ قَيْسٌ: وفيهم نَزَلَتْ: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ} [الحج: ١٩]، قالَ: هُمُ الَّذِينَ بارَزُوا يَومَ بَدْرٍ: عَلِيٌّ، وحَمْزَةُ، وعُبَيْدَةُ، وشَيبَةُ بنُ رَبِيعَةَ، وعُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ، والوَلِيدُ بنُ عُتْبَةَ[٥].

وإذ كان من ألطاف ربنا سبحانه أن ينتصر أسده تعالى حمزة بقتله شيبة وحده، وقتله ربيعة مشاركة مع علي بن أبي طالب رضي تعالى عنهما، وحين لم يخيب رجاءه تشبيهه نفسه أسدَ !

---

(٣)تخريج المسند لشعيب شعيب، الأرناؤوط: ٣٩٠١، خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن.
(٤)صحيح البخاري: ٧٢٥٧
(٥)صحيح البخاري: ٣٩٦٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عن علي بن أبي طالب: لمَّا كانَ يومُ بدرٍ قاتلتُ شيئًا من قتالٍ ثمَّ جئتُ لأنظُرَ إلى رسولِ صلَّى عليْهِ وسلَّمَ ما فعلَ فجئتُ فإذا هوَ ساجدٌ يقولُ: يا حيُّ يا قيُّومُ يا حيُّ يا قيُّومُ لا يزيدُ عليْها. فرجعتُ إلى القتالِ ثمَّ جئتُ وَهوَ ساجدٌ يقولُ أيضًا[٦].

وإذ راح الإمام علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه ورجع ثلاث مرات، ونبينا صلى عليه وسلم ساجد يقول: يا حي يا قيوم! برهان عمل السجود سننا، ودلالة خصوص هذا الذكر مواطن الشدة هديا.

وفيه برهان حبهم لنبيهم صلى عليه وسلم، وأنه بأبينا وأمنا وأنفسنا وسائر الدنيا صلى عليه وسلم.

وإن حديثا عن علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه قال: جاء جبريل يوم بدر إلى النبي صلى عليه وسلم فقال خير أصحابك من الأسارى إن شاؤوا في القتل وإن شاؤوا في الفداء على أن يقتل عاما مقبلا مثلهم منهم فقالوا الفداء ويقتل منا[٧].

وضعف حديث جبريل عليه السلام السابق، في تخييره ﷺ، في أسارى بدر، وبعد مشورة أصحابه رضي اله تعالى عنهم، ولأنه مخالف لنص القرآن: ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[الأنفال: ٦٧].

ومن السنة أيضا، فعن علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه قال: "كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنْ الْمَغْنَمِ يَوْمَ بَدْرٍ وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنْ الْخُمُسِ فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِيَ بِفَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَّاغًا مِنْ بَنِي قَيْنُقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِيَ فَنَأْتِيَ بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَبِيعَهُ الصَّوَّاغِينَ وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي فَبَيْنَا أَنَا أَجْمَعُ لِشَارِفَيَّ مَتَاعًا مِنْ الْأَقْتَابِ

---

(٦) تاريخ الإسلام، الذهبي: ٨٣/٢، خلاصة حكم المحدث: غريب.
(٧) سنن النسائي: ٨٦٦٢

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وَالْغَرَائِرِ وَالْحِبَالِ وَشَارِفَايَ مُنَاخَتَانِ إِلَى جَنْبِ حُجْرَةِ رَجُلٍ مِنْ الأَنْصَارِ رَجَعْتُ حِينَ جَمَعْتُ مَا جَمَعْتُ فَإِذَا شَارِفَايَ قَدْ اجْتُبَّ أَسْنِمَتُهُمَا وَبُقِرَتْ خَوَاصِرُهُمَا وَأُخِذَ مِنْ أَكْبَادِهِمَا فَلَمْ أَمْلِكْ عَيْنَيَّ حِينَ رَأَيْتُ ذَلِكَ الْمَنْظَرَ مِنْهُمَا فَقُلْتُ مَنْ فَعَلَ هَذَا فَقَالُوا فَعَلَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ فِي شَرْبٍ مِنْ الأَنْصَارِ فَانْطَلَقْتُ حَتَّى أَدْخُلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَعَرَفَ النَّبِيُّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَجْهِي الَّذِي لَقِيتُ فَقال النبي صلى عليه وسلم: "مَا لَكَ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ عَدَا حَمْزَةُ عَلَى نَاقَتَيَّ فَأَجَبَّ أَسْنِمَتَهُمَا وَبَقَرَ خَوَاصِرَهُمَا وَهَا هُوَ ذَا فِي بَيْتٍ مَعَهُ شَرْبٌ فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِدَائِهِ فَارْتَدَى ثُمَّ انْطَلَقَ يَمْشِي وَاتَّبَعْتُهُ أَنَا وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى جَاءَ الْبَيْتَ الَّذِي فِيهِ حَمْزَةُ فَاسْتَأْذَنَ فَأَذِنُوا لَهُمْ فَإِذَا هُمْ شَرْبٌ فَطَفِقَ رَسُولُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَلُومُ حَمْزَةَ فِيمَا فَعَلَ فَإِذَا حَمْزَةُ قَدْ ثَمِلَ مُحْمَرَّةً عَيْنَاهُ فَنَظَرَ حَمْزَةُ إِلَى رَسُولِ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى رُكْبَتِهِ ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى سُرَّتِهِ ثُمَّ صَعَّدَ النَّظَرَ فَنَظَرَ إِلَى وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ حَمْزَةُ هَلْ أَنْتُمْ إِلاَّ عَبِيدٌ لِأَبِي فَعَرَفَ رَسُولُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَدْ ثَمِلَ فَنَكَصَ رَسُولُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَقِبَيْهِ الْقَهْقَرَى وَخَرَجْنَا مَعَهُ"[٨].

والشاهد: قوله رضي تعالى عنه: كَانَتْ لي شَارِفٌ مِن نَصِيبِي مِنَ المَغْنَمِ يَومَ بَدْرٍ، وكانَ النَّبيُّ صلَّى عليه وسلَّمَ أعْطَانِي ممَّا أفَاءَ عليه مِنَ الخُمُسِ يَومَئذٍ، فدل على العمل بالخُمُسِ من يوم بدر. والجمهور على أن ابتداء فرض الخمس كان بقوله تعالى واعلموا انما غنمتم من شئ فأن لله خمسه وللرسول الآية[٩].

ليس يهمنا اسم من قتل عقبة بن أبي معيط أعاصم بن ثابت أم علي بن أبي طالب رضي تعالى عنهما؟ ولخلاف ورد في ذلك بقدر ما يهمنا أن معاديا لله ورسوله قد أمكن منه.

([٨])صحيح البخاري: ٤٠٠٣

([٩])فتح الباري، ابن حجر: ج ٦ / ١٣٥

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عن علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه قال: بَعَثَنِي رَسولُ صَلَّى عليه وسلَّمَ أَنَا والزُّبَيْرَ والمِقْدَادَ، فَقالَ: انْطَلِقُوا حتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فإنَّ بهَا ظَعِينَةً معهَا كِتَابٌ فَخُذُوهُ منها فَذَهَبْنَا تَعَادَى بنَا خَيْلُنَا حتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بالظَّعِينَةِ، فَقُلْنَا: أخْرِجِي الكِتَابَ، فَقالَتْ: ما مَعِي مِن كِتَابٍ، فَقُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، فأخْرَجَتْهُ مِن عِقَاصِهَا، فأتَيْنَا به النبيَّ صَلَّى عليه وسلَّمَ، فَإِذَا فيه مِن حَاطِبِ بنِ أبِي بَلْتَعَةَ إلى أُنَاسٍ مِنَ المُشْرِكِينَ مِمَّنْ بمَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ ببَعْضِ أمْرِ النبيِّ صَلَّى عليه وسلَّمَ، فَقالَ النبيُّ صَلَّى عليه وسلَّمَ: ما هذا يا حَاطِبُ؟ قالَ: لا تَعْجَلْ عَلَيَّ يا رَسولَ ، إنِّي كُنْتُ امْرَأً مِن قُرَيْشٍ، ولَمْ أكُنْ مِن أنْفُسِهِمْ، وكانَ مَن معكَ مِنَ المُهَاجِرِينَ لهمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ بهَا أهْلِيهِمْ وأَمْوَالَهُمْ بمَكَّةَ، فأحْبَبْتُ إذْ فَاتَنِي مِنَ النَّسَبِ فيهم، أنْ أصْطَنِعَ إليهِم يَدًا يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وما فَعَلْتُ ذلكَ كُفْرًا، ولَا ارْتِدَادًا عن دِينِي، فَقالَ النبيُّ صَلَّى عليه وسلَّمَ: إنَّه قدْ صَدَقَكُمْ فَقالَ عُمَرُ: دَعْنِي يا رَسولَ فأضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقالَ: إنَّه شَهِدَ بَدْرًا وما يُدْرِيكَ؟ لَعَلَّ عزَّ وجلَّ اطَّلَعَ علَى أهْلِ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ قالَ عَمْرٌو: ونَزَلَتْ فيهِ: {يَا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وعَدُوَّكُمْ أوْلِيَاءَ} قالَ: لا أدْرِي الآيَةَ في الحَديثِ أوْ قَوْلُ عَمْرٍو[١٠].

وأيضًا فإن الشأن من سنته صلى عليه وسلم هو استشراف مظانّ الصلح والموادعة أينما كان لها من سبيل؛ كما قال الإمام أحمد رحمه تعالى: حدثنا عبد، حدثني محمد بن أبي بكر المقدمي، حدثنا فضيل بن سليمان - يعني: النميري - حدثنا محمد بن أبي يحيى، عن إياس بن عمرو الأسلمي، عن علي بن أبي طالب، قال: قال رسول صلى عليه وسلم: ((إنه سيكون بعدي اختلاف - أو أمر - فإن استطعتَ أن تكون السَّلْمَ، فافعل))؛[١١] . فرصيد القوم من العداء، واستحكام الكفر فيهم، وقيام الأمة الجديدة الوليدة على منهج القرآن الكريم، وصدق التلقي من رسولها

---

(١٠)صحيح البخاري: ٤٦٢٦
(١١) أخرجه البخاري في ((التاريخ الكبير))

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الكريم صلى عليه وسلم - يجعلنا في مأمن من هذا الجانب تمامًا، ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك: ١٤].

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

دخول علي بن أبي طالب على زوجته فاطمة بنت رسول صلى عليه وسلم

خطب علي بن أبي طالب فاطمة من نبينا ﷺ على درع، برهان وجوب المهر، وإن قل، وطالما كان مقوما بمال! وفيه تيسير المهور، وأن إغلاءها ليس دينا مجيدا، ولا خلقا حميدا. ولا سيما حين عدم القدرة.

وخطبة علي فاطمة من نبينا ﷺ على درع، برهان وجوب الولي، ووجوب المهر، ولأنه تعالى قال: ﴿فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ٢٥]. وقوله تعالى ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]. وقوله ﷺ: (لا نِكاحَ إلَّا بوَلِيٍّ وشاهدي عدل)[١٢].

وبينما رأي الإمام أبو حنيفة وغيره، جواز نكاح بغير ولي، واستدل بنفس الآية السابقة ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ وتأسيسا على أن التراضي بين الزوجين كان كافيا، ولا حاجة من بعده لاشتراط شرط آخر، وأنه قد نهى الشارع عن عدم إعماله، وقد جعله عضلا، وبقوله تعالى﴿ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾، ثم اعتمد على إرسال الحديث السابق. والجمهور على القول الأول.

عن عبد بن عباس: لَمَّا تزوَّج عليٌّ فاطمةَ، قال له رسولُ صلَّى عليه وآلِه وسلَّم: (أَعْطِها شيئًا)، قال: ما عندي شيءٌ، قال: (أين دِرْعُكَ الحُطَمِيَّةُ؟)[١٣].

وهذا برهان أن المهر حق خالص للزوجة. وأن (شيئا) يصلح مهرا خلاف تعسير فيه.

([١٢])صحيح الجامع، الألباني: ٧٥٥٧
([١٣])صحيح النسائي، الألباني: ٣٣٧٦

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وحين نعلم مهرا قيمته درعٌ ثمنه أربعة دراهم، فدل على يسر ديننا أيما يسر، ولقول علي رضي تعالى عنه: فوالذي نفس علي بيده أنها لخطيمة ما قيمتها أربعة دراهم، فقلت: عندي. فقال: (قد زوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها)[١٤].

إن وزن الدينار يساوي ٤,٢٥ غرام ذهب، والدينار = ١٢ درهما، يعني قيمة الدرهم=٤,٢٥÷١٢=١,٤١٦٦جم ذهبا×٨١٠ج=١١٤٧ج، وهذا كان مهر فاطمة بنت محمد ﷺ- رضي تعالى عنها-! وذلك بحساب قيمة الذهب يومنا هذا: ١٤٤٢/١٠/٢٤.

وحين زوج نبينا ﷺ ابنته فاطمة رضي تعالى عنها بدرع قيمته أربعة دراهم =١١٤٧ج! وهذا ولي نبي، وهذه فاطمة بنت نبي، وهذا زوجها الإمام علي، فماذا هو فاعل ولي غير نبي، وماذا هي فاعلة غير بنت النبي، وماذا هو فاعل خاطب غير علي؟!

إننا بحاجة إلى مراجعة أعراف أهدرت قيمنا، وسابقت إسلامنا، وأعضلت بناتنا، وأعسرت أولياءنا، وأرهقت شبابنا. لاستدانة بيوتات، حتى قلت البركات. وعمت التطليقات، وزادت التسريحات!

عن أبي العجفاء السلمي: قال عمرُ بنُ الخطَّابِ: ألا لا تغلوا صُدُقِ النِّساءِ، فإنَّه لو كان مَكرُمةً في الدُّنيا، أو تقوَى عند عزَّ وجلَّ كان أولاكم به النَّبيَّ صلَّى عليه وسلَّم، ما أصدق رسولُ صلَّى عليه وسلَّم امرأةً من نسائِه، ولا أُصدِقت امرأةٌ من بناتِه أكثرَ من ثنتَيْ عشرةَ أُوقيَّةً ! وإنَّ الرَّجلَ ليُغلي بصدقةِ امرأتِه، حتَّى يكونَ لها عداوةٌ في نفسِه، وحتَّى يقولَ : كلَفتُ لكم علَقَ القِرْبةِ ! وكنتُ غلامًا عربيًّا مُولَّدًا، فلم أدْرِ ما علَقُ القِرْبةِ ؟ ! قال : وأخرَى يقولونها لمن قُتِل في مغازيكم أو مات : قُتِل فلانٌ شهيدًا، أو مات فلانٌ شهيدًا، ولعلَّه أن يكونَ قد أوقر عجُزَ دابَّتِه، أو دفَّ راحلتِه ذهبًا أو

(١٤)البداية والنهاية، ابن كثير: ج٣ / ٤١٨

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ورِقًا، يطلُبُ التِّجارةَ، فلا تقولوا ذاكم، ولكن قولوا كما قال النَّبيُّ صلَّى عليه وسلَّم : من قُتِل في سبيلِ ، أو مات، فهو في الجنَّةِ[١٥].

والشاهد قوله: وإنَّ الرَّجلَ ليُغلي بصدقةِ امرأتِه، حتَّى يكونَ لها عداوةٌ في نفسِه، وحتَّى يقولَ : كلَفتُ لكم علَقَ القِرْبةِ ! وهذا كناية عن شديد تأسف، وبليغ مشقة.

وعن سهل بن سعد الساعدي: جاءَتِ امْرَأَةٌ إلى النَّبيِّ صَلَّى عليه وسلَّمَ فقالَتْ: جِئْتُ أهَبُ نَفْسِي، فَقامَتْ طَوِيلًا، فَنَظَرَ وصَوَّبَ، فَلَمَّا طالَ مُقامُها، فقالَ رَجُلٌ: زَوِّجْنِيها إنْ لَمْ يَكُنْ لكَ بها حاجَةٌ، قالَ: عِنْدَكَ شَيءٌ تُصْدِقُها؟ قالَ: لا، قالَ: انْظُرْ. فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فقالَ: و إنْ وجَدْتُ شيئًا، قالَ: اذْهَبْ فالْتَمِسْ ولو خاتَمًا مِن حَدِيدٍ. فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ قالَ: لا و ولا خاتَمًا مِن حَدِيدٍ. وعليه إزارٌ، ما عليه رِداءٌ، فقالَ: أُصْدِقُها إزارِي، فقالَ النَّبيُّ صَلَّى عليه وسلَّمَ: إزارُكَ إنْ لَبِسَتْهُ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ منه شَيءٌ، وإنْ لَبِسْتَهُ لَمْ يَكُنْ عليها منه شَيءٌ. فَتَنَحَّى الرَّجُلُ فَجَلَسَ، فَرَآهُ النَّبيُّ صَلَّى عليه وسلَّمَ مُوَلِّيًا، فأمَرَ به فَدُعِيَ، فقالَ: ما معكَ مِنَ القُرْآنِ؟ قالَ: سُورَةُ كَذا وكَذا، لِسُوَرٍ عَدَّدَها، قالَ: قدْ مَلَّكْتُكَها بما معكَ مِنَ القُرْآنِ[١٦].

والشاهد قوله ﷺ : اذْهَبْ فالْتَمِسْ ولو خاتَمًا مِن حَدِيد. وهذا هو كلام الحي الثاني، وهو عمدة في رجوع أمتنا إلى نوره وهداه، والعمل بسناه ومقتضاه، وقبل أن تجف دموع ندمنا! وحين عزف شبابنا، وعنست بناتنا.

([١٥])صحيح النسائي، الألباني: ٣٣٤٩
([١٦])صحيح البخاري: ٥٨٧١

www.sadah.net

إن المهر ليعد بمثابة رمز تكريم، ولقوله ﷺ: (قد زوجتكها فابعث إليها بها فاستحلها بها)، وأنها ليست متاعا، بقدر ما إنها شقيقة الرجال، في إكرامها، وجعلها في القلب قبل العين، مقلة فؤاد، وسبب إلف ووئام.

إذ ولو كانت النساء يقدر تكريمهن بالمال، فما ظنك ببنت نبينا ﷺ ؟ وكم كان من المال مقدرا به إكرامها! وما بالنا بغيرها؟ لا حطا من قيمة، بل قياسا حسن اعتراف به، ووضعه محله اللائق به.

إن المغالاة في تأثيث منازل مدججة بمتاع زائل، ولربما مات الزوجان، أحدهما أو كلاهما، ولم يفيدا منه شيئا، بل أسرة تئن دَيْنا، طيلة حياتها، وكان سبب شقاق وطلاق.

إن إفراطا في تكاليف زواج، أو تفريطا فيها، هما جناحا طائر، إذا قص أحدهما وقع الطائر! ولعل حكماء عقلاء يراجعون، وكيما لاتسقط الأجنحة كلها!

وإذ بلعت الجمعيات الخيرية طُعْمَ مشاركة في تأثيث بيوتات زوجين بمغالاة، لم يكلفهما شرعنا به، أو قريبا منه، ولذا وجب ترشيدها إلزاما، لأنها سبب فتنة.

إن قول ربنا سبحانه: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[الطلاق: ٧]. يمثل مجالا رحبا واسعا؛ لضبط مسألة الإنفاق، والمغالاة في الزواج، وفضلا عن أوجه الإنفاق جميعها، وإن جاءت الآية نصا في مسألة الإنفاق على المولود. وهو فقه، وجب تسخير إعلام جريء فقيه، علاجا له.

إن الشرع حين قال: ولو خاتَمًا مِن حَدِيدٍ، هو نفس الشرع الذي قال: ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ۚ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[النساء: ٢٠]. برهان إنفاق كل ذي سعة من سعته، والموفق من وفقه .

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إنه وبدل أن تفرح بيوت بزواجها، أصبحت تسابق تفريح قاعات، زعم ضيق بيوتها، لتزيد طين الدَّيْن بلة، ولأن الشوارع من حقها وأن تفرح ومجانا ! فضلا عن بيتي العروسين؛ وكيما لا تترك فارغة، لإسعاد غيرها بأهلها!

وإذ يبلغ متوسط تكاليف تأثيث مطبخ العروس في مصر ثلاث مائة مليار جنيه سنويا! وبناء على تقرير جهاز التعبئة العامة والإحصاء، أن عدد حالات الزواج كان مليون حالة تقريبا، وبحسب بيان صحفي صادر عن الجهاز المركزي للإحصاء ؛ إذ" بلغ عدد عقود الزواج(٩٢٧٨٤٤) عقدا عام ٢٠١٩ م[١٧] .

وهذا فضلا عن أبواب أخر، ليس مجالنا الآن حصرها، ولأنها لا تخفى على بصير، وهذا رقم يحطم اقتصاد الأسر والدولة، ولأنه إهدار مباشر للأموال! وإذ كان يكفي منه نزر يسير.

ومنه فإنه يعد تأثيث مطبخ العروس، وعلى هذا الوجه، من باب إسراف، نهت عنه شريعتنا، وخاصة حين نعلم أنه يقضي على تدوير رأس المال، فتشل عجلة الاقتصاد!

قال ﷺ لعلي بن أبي طالب: اخرج في آثار القوم وانظر ماذا يصنعون وما يريدون( ). وفيه جواز تتبع آثار الخصم، وهذا فن إدارة جهاز الاستخبارات.

قال ابن إسحاق: فلما انتهى رسول صلى عليه وسلم إلى أهله ناول سيفه ابنته فاطمة فقال: " اغسلي عن هذا دمه يا بنية، فو لقد صدقني في هذا اليوم ". وناولها علي بن أبي طالب سيفه فقال:

(١٧)الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء ؛ مصر

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا فاغسلي عنه دمه، فو لقد صدقني اليوم. فقال رسول صلى عليه وسلم: " لئن كنت صدقت القتال لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دجانة"[١٨].

وقول نبينا ﷺ لفاطمة: اغسلي عن هذا دمه يا بنيه، فو لقد صدقني في هذا اليوم - أحد -!إشارة إلى سيفه ﷺ، وهذا برهان نسبة الفعل إلى الجماد!

وهذا من ضروب الكنايات، ولأنه كناية عن قتاله ﷺ، يوم أحد، وحذف القتال، وأتى بشيء من آثاره، وهو دم سيفه ﷺ!

وقوله: يا بنية: وهكذا نتعلم كيف نربي بناتنا وأبناءنا؛ لندعوهم دعاء التلطف، وندائهم نداء الرحمة والإلف والمودة كلها.

وفيه دليل عمل المرأة في بيتها، ولأن عليا قال لها - فاطمة - مثل ذلك يومه ذاك، وحين رجعا من أحد: اغسلي عن هذا دمه.

وقول نبينا ﷺ لعلي: لئن كنت صدقت القتال، لقد صدقه معك سهل بن حنيف وأبو دجانة. وهذا حافز القائد للمؤسسة، وفيه استدعاء قيم الثناء على من بذل.

إن الثناء على المجدين في العمل، حق لهم، وثواب معنوي فائق، ولما يزيدهم نشاطا، ولما يستدعيه في آخرين من دونهم، لتغدو المؤسسة دوي عمل طموح.

إن عبارات الثناء تمثل حافزا معنويا فاعلا؛ لاستدعاء طاقات العاملين في المؤسسة، وكأعظم من دينار أو درهم، كما أنها تغرس فيهم قيم الوفاء النبيلة.

([١٨])السيرة النبوية، ابن كثير: ج٣ /٩٤

السداد للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عن ابن عباس، قال: جاء علي بن أبي طالب بسيفه يوم أحد قد انحنى فقال لفاطمة: هاك السيف حميدا فإنها قد شفتني[١٩]. هذا وصف لجماد بأنه حميد! إشارة إلى وفاء أفراد هذه أمة لجماداتها، ولإنسها بابا أولى.

وإذ ما كان لعلي بن أبي طالب رضي تعالى عنه، إلا أن يقتحم على قريش ثغرة، نفذوا خلالها، حتى كبدوهم ويلا، وحين أنشبوهم نبالا، وحين جالت خيولهم استسلاما، ليوم إنفاذهم فيهم!

وسبحان وتعالى! فكثيرا ما تتحول أرض المعركة لينة طائعة سهلة يسيرة للمؤمنين! وحين غاصت بقوائم خيول الكافرين، ولأن النصر من عند العزيز الحكيم.

كان تنازل علي وعمرو بن ود، وتجاولهما يوم الخندق، برهان فن عسكري باهر، تمتع به علي، وحين ألهب خصمه، نزاله مع كلام هده هدا، فخار قبل نزاله!

([١٩])السيرة النبوية، ابن كثير: ج٣ / ٩٤

www.sadah.net

من أمجاد القتال في الإسلام

مبارزة علي بن أبي طالب عمرو بن ود نموذج

ذكر الحافظ البيهقي في (دلائل النبوة): عن ابن إسحاق في موضع آخر من السيرة قال: خرج عمرو بن عبد ود وهو مقنع بالحديد، فنادى من يبارز؟ فقام علي بن أبي طالب فقال: أنا لها يا نبي . فقال: «إنه عمرو اجلس»! ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها، أفلا تبرزون إلي رجلا؟ فقام علي فقال: أنا يا رسول ؟ فقال: «اجلس». ثم نادى الثالثة فقال:

ولقد بححت من النداء

لجمعهم هل من مبارز

ووقفت إذ جبن المشجع

موقف القرن المناجز

ولذاك إني لم أزل

متسرعا قبل الهزاهز

إن الشجاعة في الفتى

والجود من خير الغرائز

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

قال: فقام علي رضي عنه فقال: يا رسول أنا. فقال: «إنه عمرو». فقال: وإن كان عمرا. فأذن له رسول ﷺ فمشى إليه حتى أتى وهو يقول:

لا تعجلن فقد أتاك

مجيب صوتك غير عاجز

في نية وبصيرة

والصدق منجي كل فائز

إني لأرجو أن أقي

م عليك نائحة الجنائز

من ضربة نجلاء يبقى

ذكرها عند الهزاهز

فقال له عمرو: من أنت؟ قال: أنا علي. قال: ابن عبد مناف؟ قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال: يا بن أخي من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك؟ فقال له علي: لكني و لا أكره أن أهريق دمك، فغضب فنزل وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضبا واستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في درقته فقدها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجه، وضربه علي على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج، وسمع رسول ﷺ التكبير، فعرفنا أن عليا قد قتله، فثم يقول علي:

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أعلي تقتحم الفوارس هكذا

عني وعنهم أخروا أصحابي

اليوم يمنعني الفرار حفيظتي

ومصمم في الرأس ليس بنابي

إلى أن قال:

عبد الحجارة من سفاهة رأيه

وعبدت رب محمد بصواب

قال: ثم أقبل علي نحو رسول ﷺ ووجهه يتهلل، فقال له عمر بن الخطاب: هلا استلبته درعه، فإنه ليس للعرب درع خير منها؟ فقال: ضربته فاتقاني بسوأته، فاستحييت ابن عمي أن أسلبه، قال: وخرجت خيوله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق[٢٠].

تمثل مبارزة علي عمرا مثالا للعسكرية الإسلامية النافذة، في وقت نحن بحاجة إلى إحيائها في نفوس أمتنا من جديد، وها هو الشر يكشر أنيابه!

اختبر نبينا صلى عليه وسلم عزيمة علي بن أبي طالب، يوم مبارزة عمرو بن ود، عاملا في استجاشة ضمائر المقاتلين، لينفذوا في عدوهم إنكاء، لا تعرفه هوادة، وهذا فن عسكري!

(٢٠)السيرة النبوية، ابن كثير: ج٣ / ٢٠٥

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

حين أجهز علي بن أبي طالب على عمرو بن ود، سأله الفاروق: لِمَ لَمْ تسلبه درعه، وليس في العرب مثله؟ ليرد أنه اتقاه بسوأته، فاستحى لذل علي، وهذا خلق نظام مسلم أبدا.

حين أجهز علي على عمرو بن ود، خرجت خيوله منهزمة، حتى اقتحمت من الخندق. برهان أن قائد القوم إذا سقط سقطوا من خلفه، وهذا فن عسكري.

وإذ طلب الأحزاب شراء جثة عمرو بن ود، بعشرة آلاف درهم، فردها نبينا صلى عليه وسلم إليهم، ودون درهم واحد، فإن الموتى لا يباعون ولا يشترون! سننا وهديا.

وإذ قال نبينا صلى عليه وسلم: فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه: هذا فن الشفرة، إرثا عسكريا معهودا، وفنا استخباراتيا معروفا، يتيه معه خصمك، وترشد به دربك، وتصل به هدفك.

وإذ قال نبينا صلى عليه وسلم: ولا تفتوا في أعضاد المسلمين: ولأنه صلى عليه وسلم قال أيضا: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ،وإن حرمة أخ في معظمة وإن حقوقه لمحفوظة عند ذوي المروءات والقيم.

فعن أبي بكرة نفيع بن الحارث أن رسول صلى عليه وسلم خطب الناس فقال: ألا تدرون أي يوم هذا قالوا: ورسوله أعلم، قال: حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: أليس بيوم النحر قلنا: بلى يا رسول ، قال: أي بلد هذا، أليست بالبلدة الحرام قلنا: بلى يا رسول ، قال: فإن دماءكم، وأموالكم، وأعراضكم، وأبشاركم، عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت قلنا: نعم، قال: م اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فإنه رب مبلغ يبلغه لمن هو أوعى له فكان كذلك، قال: لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض فلما كان يوم حرق

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ابن الحضرمي، حين حرقه جارية بن قدامة، قال: أشرفوا على أبي بكرة، فقالوا: هذا أبو بكرة يراك، قال عبد الرحمن: فحدثتني أمي عن أبي بكرة، أنه قال: لو دخلوا علي ما بهشت بقصبة[٢١].

وعن علي بن أبي طالب: كنا مع النبي صلى عليه وسلم يوم الخندق، فقال: ملأ قبورهم وبيوتهم نارا، كما شغلونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس. وهي صلاة العصر[٢٢].

وقدم رسول صلى عليه وسلم علي بن أبي طالب برايته إلى بني قريظة وابتدرها الناس فسار علي بن أبي طالب عليه السلام حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول صلى عليه وسلم منهم فرجع حتى لقى رسول صلى عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال لم، أظنك سمعت لي منهم أذى؟ قال نعم يا رسول قال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول صلى عليه وسلم من حصونهم قال يا إخوان القردة هل أخزاكم وأنزل بكم نقمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا[٢٣].

وإذ قدم رسول ﷺ علي بن أبي طالب، يوم قريظة ومعه رايته، وابتدرها الناس. وهذا برهان تنصيب صاحب الراية، ولو كان في وجود القائد الأعلى للقوات المسلحة. وهذا فقه إداري؛ لتوزيع المهام، وكل فيما يخصه؛ وما هو جدير به القيام به، وهو موجب إعداد القادة أيضا، يوم حاجة الأمة إليهم.

حين أعطى نبينا ﷺ الراية عليا رضي تعالى عنه، يوم بني قريظة، وفي وجوده، وهذا برهان قوة علي وشجاعته وبأسه، صفات لازمة لطبيعة ميدان الجهاد والمقاتلة.

(٢١)صحيح البخاري: ٧٠٧٨
(٢٢)صحيح البخاري: ٦٣٩٦
(٢٣)تاريخ الطبري، الطبري - ج٢ / ٢٤٥

www.sadah.net

وإنه لينظر في تولية علي بالراية يوم قريظة، على أنه القوي الأمين، وهذا برهان صحة التكليف، بل وجوبه على أساس ذلك، وبقطع النظر عن وشائج القربى أو علائق النسب. ولأنه ﷺ قد أناط بها غيره، وفي مناسبات أخر، وهذا برهان التنقل بين الرعية؛ لإعدادهم إلى مهامهم ومراسهم، حين حاجة إليهم.

قالوا: مر علينا دحية الكلبي على فرس أبيض، تحته نمط أو قطيفة ديباج، عليه اللأمة(٢٤). وهذا برهان جواز ارتداء ما به يظهر المقاتل غنيا مستعففا، وهذا موجب أنفة، ودليل عزة، أمكن لانهزام الخصم أول مرة، وبه يقاس قول نبينا ﷺ: إن هذه مشية يبغضها إلا في هذا الموضع.

فعن خالد بن سليمان بن عبد بن خالد بن سماك بن خرشة عن أبيه عن جده أن أبا دجانة يوم أحد أعلم بعصابة حمراء فنظر إليه رسول صلى عليه وسلم وهو؟ ختال في مشيته بين الصفين فقال إنها مشية يبغضها الا في هذا الموضع(٢٥).

وإذ سمع علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه، شين قول يهود في نبينا ﷺ، ولم يشأ إخباره به، فقال ﷺ:«أظنك سمعت في منهم أذى، فامض فإن أعداء لو رأوني لم يقولوا شيئا مما سمعت». وهذا برهان قوته ﷺ ومنعته، وحين يستعرض الميدان به، وهو دليل خزي يهود وجبنهم وخورهم، وبرهان حرص علي رضي تعالى عنه على مشاعره ﷺ، منظومة حب، وقافلة ولاء.

«أظنك سمعت في منهم أذى، فامض فإن أعداء لو رأوني لم يقولوا شيئا مما سمعت» وفيه بيان عداوة يهود لربهم الحق سبحانه، فهان إذا عداؤهم لعباده المؤمنين!

---

(٢٤)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٤ / ١٣٦
(٢٥)كنز العمال، المتقي الهندي: ج ٤ / ٣١٧

وحين حاصر النبي ﷺ بني قريظة، وأمر أصحابه أن يستروه بالجحف؛ حتى يسمع كلامهم فناداهم: يا إخوة القردة والخنازير: وفيه تأمين القائد، ولأنه مستهدف دائما.

وإذ حاصر نبينا ﷺ بني قريظة حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ. وكانوا حلفاءه فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذراريهم ونساؤهم[٢٦]. وهذه منقبة سعد، وحين دعا ربه تعالى ألا يميته حتى يرى في يهود مثل يومهم هذا! وهذا هو شأن العباد الربانيين، لهم أحوالهم مع ربهم الحق، تكون دربا للسالكين من بعدهم!

وهذا هو حكمه تعالى فيهم بنص قول نبينا ﷺ: لقد حكمت فيهم بحكم ! وهذه منقبة أخرى لسعد، وحين وافق حكمه حكم السماء: وهذا برهان إلهام الرب لعبده، وحين قلبه متصلا بمولاه الحق المبين، وكأنما يقرأ من صحيفة اللوح المحفوظ! وإذ لم تكن أمام سعد كتب ومصادر يتلقى علمها، أصاب أو أخطأ فهمها!

إن موافقة حكم عبد صالح لحكم السماء، وكما حدث لسعد بن معاذ برهان أخذ العبد على ذات يده، مجاهدا نفسه في تعالى ربها حق جهاده؛ ليوفقه ربه ويمنحه صوابه، ويهبه توفيقه، وحين كان عبدا صالحا مخلصا، ترك العلائق كلها، وتعلق بحبل السماء وحده!

يا أبا القاسم لم تكن فحاشا: هذه سيرة نبينا ﷺ في محيطه، وهو هدي حسن، أن يكون خلق آحادنا وفي محيطه أيضا نورا، يهدي به الحيارى في الظلمات الحالكة، ولرب كان أعظم أثرا من خطبة تلقى أو صحيفة تقرأ! وأجمل بقول عائشة رضي تعالى عنها، وصفا لنبينا ﷺ: فإن خلق رسول صلى عليه وسلم كان القرآن!

([٢٦])صحيح مسلم: ١٧٦٨

www.sadah.net

وإذ دعا رسول ﷺ علي بن أبي طالب رضي عنه فقال: «اكتب بسم الرحمن الرحيم». قال: فقال سهيل: لا أعرف هذا ولكن أكتب باسمك م! ثم قال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول سهيل بن عمرو». قال: فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. قال: فقال: «اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد سهيل بن عمرو، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم عن بعض، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه، وإن بيننا عيبة مكفوفة، وإنه لا أسلال ولا أغلال، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه». وفيه جواز اتخاذ الكاتب، وجواز العقد بين الطائفتين إلى عشر سنين، وهذا هو الدليل، ولا التفات إلى إنكاره.

الإشهاد على اتفاق الصلح: وكما شهد على الاتفاق فريق من المؤمنين وفريق من المشركين: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد بن سهيل بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومحمود بن مسلمة، ومكرز بن حفص، وهو يومئذ مشرك، وعلي بن أبي طالب، وكتب وكان هو كاتب الصحيفة.

وهذا الذي حدث، يوم خرج علي بن أبي طالب إثر بلاغ وصل إلى القوات المسلحة، أن عيونا ترمش كيدا بالمؤمنين، وليروح إليهم وإلى عندهم، فيبترهم بترا، ويقطعهم إربا؛ جزاء فعلهم هذا، وعبرة لهم ولغيرهم ممن يرقبون المشهد من بعيد أيضا.

وليس يحسب أن هذه مهام سهلة!!! وإذ كانت يسيرة!!! لكن ذلك ولما علموا حين خرجوا قول ربهم الحق ﴿ إن اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ۚ يقاتلون في سبيل فيقتلون

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ويقتلون۝وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن۝ومن أوفىٰ بعهده من ۝فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به۝وذٰلك هو الفوز العظيم ﴾ [التوبة: (١١١)].

وإذ قد كان يمكن تلافي ذلك كله، وبجرة قلم واحدة، كان منها قول تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلىٰ كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون ۝فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ [آل عمران: (٦٤)].

فعن سهل بن سعد الساعدي: أن رسول صلى عليه وسلم قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح على يديه، يحب ورسوله، ويحبه ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول صلى عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو -يا رسول - يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه. فأتي به فبصق رسول صلى عليه وسلم في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق فيه؛ فو لأن يهدي بك رجلا واحدا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم[٢٧].

ودلك على ما أنف ما جاء من حديث أبي هريرة قال: قال رسول ﷺ: أن رسول صلى عليه وسلم، قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية رجلا يحب ورسوله، يفتح على يديه قال عمر بن الخطاب: ما أحببت الإمارة إلا يومئذ، قال فتساورت لها رجاء أن أدعى لها، قال فدعا رسول صلى عليه وسلم علي بن أبي طالب، فأعطاه إياها، وقال: امش، ولا تلتفت، حتى يفتح عليك قال فسار علي شيئا ثم وقف ولم يلتفت، فصرخ: يا رسول ، على ماذا أقاتل الناس؟ قال: قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله

---

(٢٧)صحيح البخاري: ٤٢١٠

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

إلا وأن محمدا رسول ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم وأموالهم، إلا بحقها وحسابهم على [٢٨].

وعن علي بن أبي طالب: بعثني رسول صلى عليه وسلم أنا والزبير، والمقداد بن الأسود، قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة، ومعها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول صلى عليه وسلم، فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول صلى عليه وسلم، فقال رسول صلى عليه وسلم: يا حاطب ما هذا؟، قال: يا رسول ، لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقا في قريش، ولم أكن من أنفسها، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات بمكة يحمون بها أهليهم وأموالهم، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ عندهم يدا يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفرا ولا ارتدادا، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول صلى عليه وسلم: لقد صدقكم، قال عمر: يا رسول دعني أضرب عنق هذا المنافق، قال: إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل أن يكون قد اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، - قال سفيان: وأي إسناد هذا -[٢٩].

وهذه قرائن ثابتة بالوحي، وإذ بها تبرر التهديد والوعيد، وما عدا القرائن فليس يبرر إثما، هو أو حبس أو إيلام.

([٢٨])صحيح البخاري: ٢٥
([٢٩])صحيح البخاري: ٤٦٢٦

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإذ خرج علي بن أبي طالب في مائة رجل إلى فدك إلى حي من بنى سعد بن بكر وذلك أنه بلغ رسول أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر فسار إليهم الليل وكمن النهار وأصاب عينا فأقر لهم أنه بعث إلى خيبر يعرض عليهم نصرهم على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر[٣٠].

وفيه كيف كانت عبقرية هذا الدين، وحين قطع خطوط الإمداد عن خيبر، وكيما لا تقوم لهم قائمة بعد هزيمتهم، وليأمن جبهتهم، وليتفرغ لأخرى.

ودلك على حسن مذهبنا هذا ما جاء في الصحيح عن علي بن أبي طالب قال: بعث النبي صلى عليه وسلم سرية، فاستعمل رجلا من الأنصار وأمرهم أن يطيعوه، فغضب، فقال: أليس أمركم النبي صلى عليه وسلم أن تطيعوني؟ قالوا: بلى، قال: فاجمعوا لي حطبا، فجمعوا، فقال: أوقدوا نارا، فأوقدوها، فقال: ادخلوها، فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا، ويقولون: فررنا إلى النبي صلى عليه وسلم من النار، فما زالوا حتى خمدت النار، فسكن غضبه، فبلغ النبي صلى عليه وسلم، فقال: لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة؛ الطاعة في المعروف[٣١].

وهذا الذي نقوله: وحين يعنت قائد، وحين يشطط راع، وحين يتقمص قميصا لا على علم وهدى، بل على غير رشد، وعلى غير سداد، فيرعب ويرعد، وعلى لا أساس من دين، ولا على أصل من حق!!!

(٣٠)تاريخ الطبري، الطبري: ج٢ / ٢٨٧
(٣١)صحيح البخاري: ٤٣٤٠

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولا أمحوك أبدا!

هذا الدين الذي هو الإسلام طبع الصحابة الكرام على طابع المحبة التي نقرأ مثالها، حتى عز على التاريخ وأن يكتب -أبدا- مثلها!

وهذا الذي حدث يوم الحديبية، وحين اعترضت قريش، وعلى عبارة: هذا ما قاضى عليه محمد رسول .

قالوا: لا نقر بهذا! لو نعلم أنك رسول ما منعناك شيئا، ولكن أنت محمد بن عبد .

قال: أنا رسول ، وأنا محمد بن عبد ، ثم قال لعلي بن أبي طالب: «امح رسول ».

قال: لا و لا أمحوك أبدا، فأخذ رسول ﷺ الكتاب! هكذا في إصرار ينم عن محبة، ويكشف عن ولاء، لم يكن غريبا علي أولهم ولا آخرهم في هذا الاصطفاف العجيب حول نبينا محمد صلى عليه وسلم.

وهذا حين قدر الرسول الكريم صلى عليه وسلم الأمر قدره، وليعذر عليا حين أقسم عليه! وليبر قسمه أيضا، وليحاول أن يكتب هو، وقد كان أميا.

لكن الرسول النبي الأمي صلى عليه وسلم كان رؤوفا بهم رحيما، وقدر واقع الحال، واستعمل روح القانون بدل نظمه!

وهذا الذي يسمونه في القانون الإداري وغيره بالفرق بين الملاءمة والمشروعية، سبقا إسلاميا محضا!!

www.sadah.net

هذا وإنه لتتبدى مشاعر الرحمة والحنو على وجنات هذا النبي الكريم صلى عليه وسلم، وحين تلحق بهم بنية صغيرة أن: يا عم يا عم! وليلحقها بخالتها، ولأن الخالة بمنزلة الأم! فطرة وشرعا حسنا! وبعد أن تجاذبها ثلاثة الصحابة كل يريدها حاضنته! في سباق خير ورحمة، أصبغهم به هذا الدين برحمته وحنوه وعطفه!!

ثم إنك لتذهل من هكذا تطييب نبينا صلى عليه وسلم للخواطر الكواسر، ولأولاء الصحب الغر الميامين، وحين أرادها كل منهم، في واقعة تسيل الرحمات من بين خلجاتها كلها!!

فقضى بها النبي ﷺ لخالتها، وقال: «الخالة بمنزلة الأم» وقال لعلي: «أنت مني وأنا منك» وقال لجعفر: «أشبهت خلقي وخلقي» وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا».

قال علي: ألا تتزوج ابنة حمزة؟ وليجيبه نبينا صلى عليه وسلم قائلا: إنها ابنة أخي من الرضاعة.

ثم إنك بهذا واقف على حكم شرعي، وحين بين نبينا محمد صلى عليه وسلم حرمة الزواج بسبب الرضاع كحرمة النسب تماما بتمام. وسأشير إلى ذلك بعد قليل إن شاء تعالى.

وهكذا تمثل سيرة نبينا صلى عليه وسلم كتابا مفتوحا فقها نجد، وأصولا نقف، وقضاء نعرف، وتفسيرا نغترف! وما سوى ذلك مما تقتضيه حياة امرئ، فليس يكاد يبحث إلا وجد، وليس يكاد يرجو إلا جبر!!!

ودلك على صحة قولنا هذا ما رواه الإمام البخاري رحمه تعالى عن أبي إسحاق، عن البراء بن عازب قال: لما اعتمر النبي صلى عليه وسلم في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة، حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب، كتبوا: هذا ما قاضى عليه محمد رسول ، قالوا: لا نقر لك بهذا، لو نعلم أنك رسول ما منعناك شيئا، ولكن أنت محمد بن عبد ،

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فقال: أنا رسول ، وأنا محمد بن عبد ، ثم قال لعلي بن أبي طالب رضي عنه: امح رسول ، قال علي: لا و لا أمحوك أبدا، فأخذ رسول صلى عليه وسلم الكتاب، وليس يحسن يكتب، فكتب: هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد ، لا يدخل مكة السلاح إلا السيف في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع من أصحابه أحدا إن أراد أن يقيم بها. فلما دخلها ومضى الأجل أتوا عليا، فقالوا: قل لصاحبك: اخرج عنا؛ فقد مضى الأجل، فخرج النبي صلى عليه وسلم، فتبعته ابنة حمزة، تنادي: يا عم يا عم، فتناولها علي فأخذ بيدها، وقال لفاطمة عليها السلام: دونك ابنة عمك، حملتها، فاختصم فيها علي وزيد وجعفر؛ قال علي: أنا أخذتها، وهي بنت عمي، وقال جعفر: ابنة عمي، وخالتها تحتي، وقال زيد: ابنة أخي. فقضى بها النبي صلى عليه وسلم لخالتها، وقال: الخالة بمنزلة الأم، وقال لعلي: أنت مني وأنا منك، وقال لجعفر: أشبهت خلقي وخلقي، وقال لزيد: أنت أخونا ومولانا، وقال علي: ألا تتزوج بنت حمزة؟ قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة[٣٢].

---

[٣٢]صحيح البخاري: ٢٦٩٩

السداد للفكر والثقافة
www.sadah.net

عودة إلى الحجاب

حين انقضت عدة أسماء بنت عميس من جعفر بن أبي طالب فخطبها أبو بكر الصديق رضي عنه فتزوجها، فأولم وجاء الناس للوليمة، فكان فيهم علي بن أبي طالب، فلما ذهب الناس استأذن عليٌّ أبا بكر رضي عنهما في أن يكلم أسماء من وراء الستر، فأذن له[٣٣].

وفيه جواز خطبة النساء بعد مرور فترة العدة.

وفيه أن الوليمة سنة مؤكدة كما عند الجمهور.

وفيه دعوة الناس إلى الوليمة.

وفيه أن الحجاب كان شرعا عندهم، وبمعنى الستر، كما استأذن علي رضي تعالى عنه أن يكلم أسماء من وراء الستر. ولو لم يكن الحجاب كان معروفا عندهم بهذا المعنى فما كان هناك من داع الى فعل علي هذا.

وفيه إظهار تعجب علي من زواج أسماء زوجة أخيه جعفر، وحين علم عنها قولها يوم استشهاد جعفر فآليت لا تنفك نفسي حزينة * عليك ولا ينفك جلدي أغبرا!

(٣٣)السيرة النبوية، ابن كثير: ج ٣ / ٤٧٨

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

جعفر أبو المساكين!

وهذا جعفر بن أبي طالب، يحكي لنا التاريخ قصته فريدة أيضا، وحين هاجر أول إلى الحبشة، في واقعة هي الأخرى تشهد علو القوم على جواذب الطين والتراب، وفي نظرة عقدية باهرة، وكما قال تعالى ﴿إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين﴾ [الأعراف١٢٨]. وحين كانت الحدود مفتوحة بين الناس، يعملون ويجاهدون وسائر أعمالهم، دونما قيود شائكة صنعت، وغير ما موانع وسواتر وأسوار حجبت، وكأنما الناس يقولون بلسان حالهم إن الأرض ملك لنا!!

وذكرنا مسيرتنا في (السيرة النبوية أحداث ولالات) المباركة كيف بعثت قريش بعثها، ولقتل أولاء الصحب المهاجرين، وحين رجع عمرو بن العاص مسلما، بوجه غير الذي راح به، وتأثرا بفعل وقول النجاشي، ذلكم الملك العادل الذي لا يظلم عنده أحد!

ثم ليعود جعفر من مهاجره، بعد وقت طويل، ويوم خيبر، يوم نصر تعالى المؤمنين، في واقعة شهدت على يهود بالذلة والخسار، وأنهم ليست ترفع لهم راية، ومن حيث كان للإسلام وجوده المسيطر الحاكم الفاصل الفاضل على أرض الميدان!!!

وحين قدم جعفر بن أبي طالب على رسول صلى عليه وسلم من أرض الحبشة، فقبل رسول صلى عليه وسلم ما بين عينيه، وقال ما أدري أنا بقدوم جعفر أسر أم بفتح خيبر[٣٤]؟ وإذ قام صلى عليه وسلم إليه واعتنقه وقبل بين عينيه.

وقد حكى البراء بن عازب اعتمر النبي صلى عليه وسلم في ذي القعدة، فأبى أهل مكة أن يدعوه يدخل مكة حتى قاضاهم على أن يقيم بها ثلاثة أيام، فلما كتبوا الكتاب، كتبوا هذا ما قاضى عليه

([٣٤])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٤ / ٢٣٤

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

محمد رسول ، فقال وا لا نقر بها؛ فلو نعلم أنك رسول ما منعناك، لكن أنت محمد بن عبد ، قال أنا رسول ، وأنا محمد بن عبد ، ثم قال لعلي امح «رسول »، قال لا و، لا أمحوك أبدا، فأخذ رسول صلى عليه وسلم الكتاب، فكتب هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد ، لا يدخل مكة سلاح إلا في القراب، وأن لا يخرج من أهلها بأحد إن أراد أن يتبعه، وأن لا يمنع أحدا من أصحابه أراد أن يقيم بها، فلما دخلها ومضى الأجل، أتوا عليا فقال وا قل لصاحبك اخرج عنا؛ فقد مضى الأجل، فخرج النبي صلى عليه وسلم، فتبعتهم ابنة حمزة يا عم، يا عم، فتناولها علي بن أبي طالب رضي عنه، فأخذ بيدها، وقال لفاطمة عليها السلام دونك ابنة عمك، حملتها، فاختصم فيها علي، وزيد، وجعفر؛ فقال علي أنا أحق بها، وهي ابنة عمي، وقال جعفر ابنة عمي، وخالتها تحتي، وقال زيد ابنة أخي، فقضى بها النبي صلى عليه وسلم لخالتها، وقال الخالة بمنزلة الأم، وقال لعلي أنت مني وأنا منك، وقال لجعفر أشبهت خلقي وخلقي، وقال لزيد أنت أخونا ومولانا[٣٥].

وإذ قال له صلى عليه وسلم ذلك يوم خرجوا من عمرة القضية، وحيث قد قيل: يومها إنه حجل عند ذلك فرحا، وكنا قد تناولناه في حينه أيضا.

ثم يأتي يوم مؤتة، وليكون نائبا لزيد بن حارثة! بهكذا شأن يصنع التاريخ منه مائدة تربية وولاء ووفاء، ودونما نظر لصارف أو فارق، ودونما اعتبار لفاضل أو فاصل بين البشر، إلا فاصلا واحدا هو التقوى والعمل الصالح.

فإن هذا زيد الرقيق يعين قائدا أولا! ليكون نائبه جعفر ابن عم النبي صلى عليه وسلم!! وهاتوا لنا من التاريخ صنيعا كهذا!!

([٣٥])صحيح البخاري: ٤٢٥١

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ثم ليبذل جعفر بذلا حسنا، وحين لقي ربه ببضع وتسعين طعنة سيف ورمح ونبل! وكأنما كان لسع بعوضة! وإلا لنحاش من أول طعنة، في وقائع تاريخية مجيدة تسطر أن الجهاد في سبيل ظاهره الرحمة وباطنه الرأفة! وحين لا يكاد يشعر المجاهد إلا كوخز إبرة، وحين يطعن في سبيل تعالى.

وها هو جعفر يمسك رايته بشماله، وحين قطعت يمينه، ثم يحملها بين عضديه، وحين قطعت شماله، في واقعة اعتزاز بالراية، ولأنها راية المجد والخير للبشرية، وحين جاءت تحمل خيرها وهداها للناس وأن أبوا!

ولأجل ذلك عوضه تعالى بيديه جناحين يسبح بهما في الجنة. وكما روى الإمام البخاري رحمه تعالى أن ابن عمر رضي عنهما كان إذا سلم على ابن جعفر، قال السلام عليك يا بن ذي الجناحين[٣٦].

وإذ كان جعفر يدعى (أبو المساكين)؛ ولشدة جوده، وكرمه، وسخائه.

فعن أبي هريرة قال ما احتذى النعال ولا ركب المطايا ولا وطئ التراب بعد رسول صلى عليه وسلم أفضل من جعفر بن أبي طالب[٣٧].

وهذا لا شك فضل له، ومن حيث بذله وجوده، لكن أبا بكر الصديق كان أسبق، ولكن عمر الفاروق كان أفضل أيضا، وهذا باتفاق أهل العلم قاطبة.

وعلى كل حال نريد أن نفسح مجالا لإمامنا أبي هريرة وصفا لجعفر، وحين قال: كنت ألزم النبي صلى عليه وسلم لشبع بطني، حين لا آكل الخمير ولا ألبس الحرير، ولا يخدمني فلان ولا فلانة،

([٣٦])صحيح البخاري: ٣٧٠٩

([٣٧])الأنوار الكاشفة، المعلمي: ١٤٩، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وألصق بطني بالحصباء، وأستقرئ الرجل الآية، وهي معي، كي ينقلب بي فيطعمني، وخير الناس للمساكين جعفر بن أبي طالب، ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته، حتى إن كان ليخرج إلينا العكة ليس فيها شيء، فنشتقها فنلعق ما فيها[٣٨].

وكان في جملة هدايا المقوقس إلى نبينا صلى عليه وسلم غلام أسود اسمه مأبور، وكان خصيا، وكان يدخل على مارية، وعلى عادات المصريين يوم ذاك، وإلى يوم الناس هذا!، فجعل الناس يتكلمون، وحين لم يعلموا أنه خصي! حتى قال بعضهم إنه الذي أمر رسول ﷺ علي بن أبي طالب بقتله فوجده خصيا فتركه.

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول و إياكم ۙ أن تؤمنوا ب ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي و ابتغاء مرضاتي ۚ تسرون إليهم بالمودة و أنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ۚ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ [الممتحنة١].

وعن علي بن أبي طالب بعثني رسول صلى عليه وسلم أنا، والزبير، والمقداد، فقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوا منها. قال فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها أخرجي الكتاب، قالت ما معي كتاب، فقلنا لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، قال فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول صلى عليه وسلم، فإذا

[٣٨] صحيح البخاري: ٥٤٣٢

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فيه من حاطب بن أبي بلتعة، إلى ناس بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول صلى عليه وسلم. فقال رسول صلى عليه وسلم يا حاطب، ما هذا؟! قال يا رسول ، لا تعجل علي؛ إني كنت امرأ ملصقا في قريش -يقول كنت حليفا، ولم أكن من أنفسها- وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت -إذ فاتني ذلك من النسب فيهم- أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول صلى عليه وسلم أما إنه قد صدقكم، فقال عمر يا رسول ، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل اطلع على من شهد بدرا، فقال اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم. فأنزل السورة {يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق} إلى قوله {فقد ضل سواء السبيل} [الممتحنة ١][٣٩].

هذا هو شأن إسلامنا، ليس يترك مناسبة تتعرض فيها الدولة الإسلامية إلى ما يهدد كيانها أو أن يطل فيها من يكون عمله غير صالح إلا وتعرض، وإلا وواجه، وإلا وزأر! وذلك لأن المعيار الذي تقوم عليه شهادة التوحيد هو ذلكم الولاء والبراء في ، واللذان يحكيان حكاية الصدق في قولها، ويرويان رواية الإخلاص في صحتها.

إن شهادة التوحيد ليست صكا يمنح ودون تبعة، ومنها هو هذا الولاء والبراء في تعالى الحق المبين سبحانه. وتعريتها عن هذا الولاء والبراء يجعلها عدما تماما! وهذا الذي حمل عمر الفاروق على استحصال إذنه صلى عليه وسلم لقتل حاطب بن أبي بلتعة، ويوم أن تأول إعلام قريش بمقدم رسول صلى عليه وسلم يوم الفتح الأعظم، وفي عبارات تحكي معاني الصدق، وأنه صلى عليه

(٣٩)صحيح البخاري: ٤٨٩٠

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل، وأقسم ب لو سار إليكم وحده، لنصره عليكم، فإنه منجز له ما وعده[٤٠]!

فهذا قول يحمل ظاهره التنديد والوعيد لقريش مقدم نبينا صلى عليه وسلم! ولكنه أيضا يحمل في ثناياه ما يخالف عقد الولاء والبراء في تعالى، ولذا قامت القائمة على إثره، ولا هوادة هنا! لأن الأمر متعلق وكما أسلفنا بحكاية الولاء والبراء، والتي لا يسكت عنها، وإن سكت عنها ساكت!

إن عقيدة الولاء والبراء في تعالى هي التي نصب لها الأنبياء لواءها، وكيما تكون عقدا فريدا، لا يزدان إيمان العبد إلا معها! ولا يقيم صلب إسلام المرء سواها، وجنبا إلى جنب مع أخواتها من الأصول، وعملا بها وكذا الفروع! ولئن جاز القول بفروع!

وليس يكون أعظم مما نحن فيه، وحين واجه المجتمع المسلم كله حاطب بن أبي بلتعة؛ ولأنه لو لم يكن في فعله ما ينقض الإسلام حجرا حجرا! ما فعلوا ذلك، ويتقدمهم نبيهم صلى عليه وسلم!

وهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام، وحين واجه أباه قائلا ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون وأدعو ربي عسىٰ ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾ [مريم: ٤٨].

وهذه العقيدة الإسلامية ناصعة كبياض النهار، عبر عنها كل من نبينا صلى عليه وسلم ومع حاطب، وكما وعبر عنها أبوه إبراهيم عليه السلام ومع والده، في حكاية دين لا يقبل من الطريق أنصافه، وفي رواية نظام عالمي جديد لا يقبل من السبيل أبعاضه!

إن فتح مكة عمل فتحوي هام! كان بداية عصر جديد لمحو الأصنام من القلوب، ولدك هاماتها أسفل سافلين! وليس ينظر في ذلك أن قريشا كانت سدنة البيت الحرام، وليس يغني من ذلك

---

(٤٠)السيرة النبوية، ابن كثير: ج٣ / ٥٣٧

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

كونها كانت تلت السويق وتوزعه على الناس يوم حجيجهم! فالدين دين، وأوله رسما هو التوحيد، وآخره نظما هو الولاء والبراء في تعالى! وإن كل ما يفسر على أنه انقضاض على هذا المعنى، أو كان مغايرا له، فيكون منعدما انعداما مطلقا، لا يلحقه تصحيح، وأمام أية درجة من درجات التقاضي! وإلا من إزالة ركام الجاهلية الهابط، وإلا من محو آثاره، وتطهير سبله، ومما ماثل شركا، أو ولاء لغيره تعالى.

وإذ لست مقعدا، وإذ لست أريد بحثا عن تكييف مسألة الولاء والبراء، وهل هي من لوازم التوحيد، أم أنها من معناها، ولأن مثل ذلكم بحث وعلى أهميته، وإنما سيدخلنا فيما لسنا نحمد نتيجته، من إضعاف معناها في القلوب، وإذ كفى بنا قول عمر الفاروق، وإذ حمل على حاطب، وكما قيل: من ثلاث جهات أولها النفاق، وثانيها الكفر، وثالثها البراء من الدين، ولولا أنه كان من أهل بدر، أو كان منه تأولا.

إن عقيدة الولاء والبراء في تعالى هي المحرك وهي المحك! وفيها النظر، وعليها المعتبر!

ولا شأن لتدافع الناس على أبواب المساجد، أو نصب خيام إطعامهم، أو مما سواهما! وأن عاقلا عالما لا يغرنه التدافع على أبواب المساجد، ودون عرضهم على الولاء والبراء!

إنه لو لم يكن من حاطب إلا أنه كان من أهل بدر لفعلت معه الأفاعيل!

ولكن هذا هو الفاروق عمر يبين لنا عظم فعل حاطب، ولما قال: يا رسول دعني أضرب عنق هذا المنافق.

فقال صلى عليه وسلم «إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل قد اطلع على من شهد بدرا، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم». وليتنزل تعالى فيها قرآنا يتلى، وإلى يوم الدين، وحين قال تعالى

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا ب ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾!

ولهذا جاء ختم الآية بمثل ذلك، وحين قال تعالى ﴿ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾. في إشارة إلى خصوصية حاطب- ومن تأوله- لا خصوصية فعله!

فلما رأت الجد منه قالت أَعرِضْ، فأَعرَضَ!

فلما رأت الجد منه قالت أعرض، فأعرض، فحلت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته إليه[٤١]!

هذا فعل امرأة تحصنت، وهذا عمل نسوة تحجبت! وإذ كانت مشركة!

قال ابن إسحاق: ثم أعطاه امرأة يزعم محمد بن جعفر أنها من مزينة وزعم غيره أنها سارة مولاة لبعض بنى عبد المطلب[٤٢].

قال فكتب حاطب كتابا وأرسله مع أم سارة كنود المزني.

([٤١])السيرة النبوية، ابن هشام الحميري: ج ٤ /٨٥٨

([٤٢])السيرة النبوية، ابن هشام الحميري: ج ٤ / ٨٥٨

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

هذا هو الحجاب

والمثير عجبا أنها وحين عملت عملها، وهو ذهابها سفير شر إلى قريش، إلا أنك تراها متمسكة بحجابها، معتزة بسترها، وعلى كفرها! وحين أبت أن تكشف عن رأسها؛ حتى لا يرى فريق البحث والتتبع- علي والزبير بن العوام والمقداد- شعر رأسها! وهي إذ تكشف عنه لتبرز رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش! وفي سلوك مهيب حقا، وفي عمل حشمة ناطق بالفطرة وحقها معا!

وفيه دليل جواز التهديد لإرغام المتهم على الاعتراف، ولقول علي بن أبي طالب إني أحلف ب ما كذب رسول ﷺ ولا كذبنا، ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك[٤٣].

وفيه جواز الحلف لتأكيد صدق فريق البحث الجنائي. ولحمل المتهم على الاعتراف أيضا، ولأن فيه إبهاته، ويكأن فيه استنطاقه.

وفيه جواز التفتيش لاستخراج ما أحرزه المتهم، برهان عمل علي والزبير بن العوام والمقداد، وحين استنزلوها، فالتمسوه في رحلها، فلم يجدوا فيه شيئا.

وكما أن فيه إرسال أكثر من واحد في فريق البحث الجنائي، بحثا عن الأدلة تعاونا وكشفا، وضمان شبهة عدم الاتفاق مع المتهم، وحين كان البحث الجنائي مؤلفا من واحد وحسب، وذلك لأنه صلى عليه وسلم أرسل عليا والزبير والمقداد؛ لأداء مهمة استحصال رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش.

وغير أنه رضي تعالى عنه، وحين دعاهم إلى الإسلام، ولم يحسنوا أن يقولوا أسلمنا، وقال وا صبأنا صبأنا، أي رجعنا رجعنا! ولعله كان رجوعا عن كفرهم إلى إيمانهم! وإذ فهم خالد بن الوليد رضي

([٤٣])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٤ / ٣٢٤

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

تعالى عنه أنهم قد أبوا، وأن من أسلم منهم قد ارتد! فأخذ فيهم قتلا قتلا! بأيدي جنوده، وعدة أفراده، وقوة عتاده! إلا عبد بن عمر وسالم مولي بني حذيفة رضي تعالى عنهما، وإذ زايلوا المقاتلة، وحين تبدى لهما ألا سند لخالد يسنده، وإن تأول! وما عليهما! وقد ذهب مذهبه! ولأنهما كانا يعرفان عرفا، ولأنهما كان يعلمان علما، أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وعلى حد ما روى علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه أن النبي صلى عليه وسلم بعث جيشا، وأمر عليهم رجلا فأوقد نارا وقال ادخلوها، فأرادوا أن يدخلوها، وقال آخرون إنما فررنا منها، فذكروا للنبي صلى عليه وسلم، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة، وقال للآخرين لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف[٤٤].

فعن علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه: بعثني رسول صلى عليه وسلم أنا، والزبير، والمقداد، فقال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوا منها. قال: فانطلقنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، قلنا لها: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب، أو لنلقين الثياب، قال: فأخرجته من عقاصها، فأتينا به رسول صلى عليه وسلم، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة، إلى ناس بمكة من المشركين، يخبرهم ببعض أمر رسول صلى عليه وسلم. فقال رسول صلى عليه وسلم: يا حاطب، ما هذا؟! قال: يا رسول ، لا تعجل علي؛ إني كنت امرأ ملصقا في قريش -يقول: كنت حليفا، ولم أكن من أنفسها- وكان من معك من المهاجرين من لهم قرابات يحمون أهليهم وأموالهم، فأحببت -إذ فاتني ذلك من النسب فيهم- أن أتخذ عندهم يدا يحمون قرابتي، ولم أفعله ارتدادا عن ديني، ولا رضا بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول صلى عليه وسلم: أما إنه قد صدقكم، فقال عمر: يا رسول ، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال: إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل اطلع على من شهد بدرا، فقال: اعملوا

---

(٤٤)صحيح البخاري: ٤٣٤٠

www.sadah.net

ما شئتم؛ فقد غفرت لكم. فأنزل السورة: {يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق} إلى قوله: {فقد ضل سواء السبيل} [الممتحنة: ١][٤٥].

(٤٥)صحيح البخاري: ٤٢٧٤

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

يا رسول أتخلفني في النساء والصبيان؟!

هذا هو استفهام علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه، ويوم استخلفه نبينا محمد صلى عليه وسلم على أهله وأهله يوم تبوك.

وهذا الاستفهام تعجبي لا حقيقة، ولأن هؤلاء الصحب الغر الميامين كانوا يحبون الجهاد حبا جما، وكانوا يؤثرون الشهادة في سبيل تعالى، رغبة في جنات عرضها السماوات والأرض، أعدت للمتقين، وقد كانوا يعلمون قول ربهم الرحمن ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ [الحديد:١٩].

وإلا أننا ننظر إلى هذا الحدث، وحين كان موازيا لحدث آخر أكثر فظاظة، وأعلى فظاعة، وحين رجع عبد بن أبي بن سلول من طريق غزوة يوم تبوك هذا، وفي ثلاثين ألفا ممن معه! وهذا جرح نازف في جسد الأمة يومها، وكل يوم، وحين يتجمع معسكر النفاق، والذين في قلوبهم مرض، ويعملون من ثم على النكوص والرجوع والإدبار، وليكشفوا ظهر نبيهم محمد صلى عليه وسلم، وما هو بمكشوف!

ولأن هذا الدين منتصر بنا أو بغيرنا، وإنما ولأنه دينه تعالى، وما الناس إلا سبب وبه يكافؤون، وعليه يؤجرون جنات عرضها السماوات والأرض، ومن دنيا يصيبونها، ومن ثم يكون لهم قصب السبق والثناء من رب الأرض والسماء.

والحاصل أن هذا فرد استخلفه نبينا محمد صلى عليه وسلم، وإذ كان وكمثابة أولاء الذين تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا ألا يجدوا ما ينفقون!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولكننا نهدف من وراء استخلافه عليا معنى ملائما، وحين نعرف أن بيت القائد يكون هدفا مرادا، ويتربص به الخصوم الدوائر، ولهذا فليس يستغرب أن يخلف عليا على البيتين معا.

ولكننا أيضا نسجل قول علي بن طالب رضي تعالى عنه لرسول صلى عليه وسلم هذا: يا رسول أتخلفني في النساء والصبيان؟

وكما قلت ليعلم ابن أبي، ومن على شاكلته طبائع الرجال الكرام النبلاء وبذلهم.

وكأننا نتلطف بتلطف نبينا محمد صلى عليه وسلم، وحين كان مهدهدا عليا رضي تعالى عنه، وحين قال له: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي»؟

وهذه درجة صديقية له رضي تعالى عنه، وقد سجلت له، ونظير حرصه على بذله نفسه في سبيل تعالى مولاهم الحق المبين، وحين علم تعالى صدقه، وحين أيقن النبي صلى عليه وسلم إخلاصه.

وإلا أننا نسجل استخلافه صلى عليه وسلم على المدينة أحدهم، وعلى خلاف في اسمه، وهل هو محمد بن مسلمة الأنصاري، وعلى قول الإمام ابن هشام رحمه تعالى، أو هو سباع بن عرفطة، وعلى ذكر الدراوردي رحمه تعالى، أو هو علي بن أبي طالب، وعلى رواية الإمام أحمد رحمه تعالى.

فعن سعد بن أبي وقاص: أمر معاوية بن أبي سفيان سعدا فقال: ما منعك أن تسب أبا التراب؟ فقال: أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول صلى عليه وسلم فلن أسبه، لأن تكون لي واحدة منهن أحب إلي من حمر النعم؛ سمعت رسول صلى عليه وسلم يقول له، خلفه في بعض مغازيه، فقال له علي: يا رسول ، خلفتني مع النساء والصبيان؟! فقال له رسول صلى عليه وسلم: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه لا نبوة بعدي. وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب ورسوله، ويحبه ورسوله، قال: فتطاولنا لها فقال: ادعوا لي عليا، فأتي به أرمد، فبصق

www.sadah.net

في عينه ودفع الراية إليه، ففتح عليه. ولما نزلت هذه الآية: {فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم} [آل عمران: ٦١] دعا رسول صلى عليه وسلم عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فقال: م هؤلاء أهلي[٤٦].

وعلى هذا فإنه يحمل استخلافه صلى عليه وسلم عليا رضي تعالى عنه، وإنما كان على المدينة وأهلها، وليس على آله وآل علي وحدهما، وبه تنتفي شبهة تخلفه، ولأن هذا عمل منضاف إلى أعمال الإمام الأعظم، وحيثما قام به أو أناب.

وهذا عمل إداري ممتاز، كيما يحفظ على الجبهة الداخلية التئامها ووحدتها وحاجتها.

ولكننا أيضا نسجل موقف المنافقين، والمرجفين، والصيادين في الماء العكر، وحين أخذوا من هذا الموقف زعما أنهم بإمكانهم شق الصف، ومن حول نبينا محمد صلى عليه وسلم، وحين تبادلوا من قولهم، ومن قبل غيرهم، وأن محمدا أراد استقلال عليا واستخفافه، وليس يريده في المقاتلة، وإلا فقد كان ألحقه مع الجند!

وهذا الذي كشفنا نقابه عما قليل.

وهذه هي الحرب الإعلامية الضروس، والتي تشن على العصبة المؤمنة، والجماعة المسلمة وفي كل آن، وحين وإذ يجب على الجهاز الإعلامي في هيئة الشؤون المعنوية للقوات المسلحة أن تكون جاهزة للرد والادعاء المضاد، وكيما تخمد فتنة، وكيما ترد كذبة، بل ولعلها تقوم في وجه خصمها فتلقنه الدرس يوما، ومن بعد يوم آخر، فتفقده توازنه.

فعن علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه: أن رسول صلى عليه وسلم لما زوجه فاطمة بعث معه بخميلة، ووسادة من أدم حشوها ليف، ورحيين وسقاء وجرتين، فقال علي لفاطمة ذات يوم: و

([٤٦])صحيح مسلم: ٢٤٠٤

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

لقد سنوت حتى لقد اشتكيت صدري، قال: وقد جاء أباك بسبي، فاذهبي فاستخدميه، فقالت: وأنا و قد طحنت حتى مجلت يداي، فأتت النبي صلى عليه وسلم، فقال: ما جاء بك أي بنية؟ قالت: جئت لأسلم عليك، واستحيت أن تسأله ورجعت، فقال: ما فعلت؟ قالت: استحييت أن أسأله، فأتيناه جميعا، فقال علي: يا رسول ، و لقد سنوت حتى اشتكيت صدري، وقالت فاطمة: قد طحنت حتى مجلت يداي، وقد جاءك بسبي وسعة، فأخدمنا، فقال رسول صلى عليه وسلم: و لا أعطيكما وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم، لا أجد ما أنفق عليهم، ولكني أبيعهم وأنفق عليهم أثمانهم، فرجعا، فأتاهما النبي صلى عليه وسلم وقد دخلا في قطيفتهما، إذا غطت رؤوسهما تكشفت أقدامهما، وإذا غطيا أقدامهما تكشفت رؤوسهما، فثارا، فقال: مكانكما، ثم قال: ألا أخبركما بخير مما سألتماني؟ قالا: بلى. فقال: كلمات علمنيهن جبريل، فقال: تسبحان في دبر كل صلاة عشرا، وتحمدان عشرا، وتكبران عشرا، وإذا أويتما إلى فراشكما فسبحا ثلاثا وثلاثين، واحمدا ثلاثا وثلاثين، وكبرا أربعا وثلاثين، قال: فو ما تركتهن منذ علمنيهن رسول صلى عليه وسلم، قال: فقال له ابن الكواء: ولا ليلة صفين؟ فقال: قاتلكم يا أهل العراق، نعم، ولا ليلة صفين[٤٧].

---

(٤٧)تخريج المسند، شعيب الأرناؤوط: ٨٣٨. خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن.

السلام للفكر والثقافة
www.sadah.net

من آذى عليا فقد آذاني

هذا قول نبينا محمد صلى عليه وسلم، ومناسبة شكوى قدمها عمرو بن شاس الأسلمي، رضي تعالى عنه، وكان من أصحاب الحديبية، وحين قدم مع علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه، لدعوة أهل اليمن إلى هذا الدين الحنيف الخالد الإسلام، وكان قد جاء علي وعلى حد قوله هذا عمرو بن شاس الأسلمي، وكما قلنا آنفا، فإن هذا الذي يمكن أن يحدث بين فرقاء العمل الواحد، وحين يمكن تلافيه، فكان أفضل، ولكنه وإن حدث فثم توجيهه وعلاجه والأخذ على يدي صاحبيه، وكيما يخمد، ويسكن، ويذهب أدراج رياحه، وهذا الذي فعله نبينا محمد صلى عليه وسلم، وحين قد بلغه ذكر عمرو بن شاس الأسلمي عليا بما لم يكن فيه، وإلا أنه أمكن علاجه بينهما البين، وعلى فرض حدوث موجب شكواه من علي، أو بتحكيم هذا النبي محمد صلى عليه وسلم بينهما، وبالتالي فقد كانوا، وكان مجتمع المدينة النبوية الفاضلة في غنى عما أشاعه عمرو بن شاس الأسلمي، ولهذا السبب فكان الحزم هو هذا الذي تدرعه هذا النبي صلى عليه وسلم، وحين قال قوله هذا: من آذى عليا فقد آذاني.

ولأن هذا النبي يعمل دائما بالوحي، وكسنن حسن لغيره ألا يعمل إلا بوحي أيضا، ومنه فقد كان اختيار علي هو اختيار نبي، وبالتالي فقد لزم ألا تحوم حوله إلا الخيرات الحسان، ولا سيما أنه خريج بيت النبوة، وليس رجلا من مثل غيره، والذين ولا شك أنهم تربوا على المائدة المحمدية الكريمة، وإلا أنه يبقى فارق أنه من بيت النبوة، ليلها ونهارها، وبالتالي فقد كان موضع الثقة النبوية الكريمة، وإن تأول عمرو بن شاس الأسلمي، وإن قال هو، أو قال غيره فيه، وكما قد أنف من عبد بن بريدة، وحين كانت مسألة الغنائم والوصيفة، وقد تناولناها من وقتها وتوا، ومن هذه السيرة النبوية المباركة.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وأقول: إن القائد، وقد اختار، وكان يمكن حدوث ما حصل من جفاء عليٍّ، وعلى دعوى عمرو بن شاس الأسلمي، ولأن الناس ما زالوا بشرا، ويسري عليهم قانون الخطأ، وهذا سننه الذي قال عنه هذا النبي محمد صلى عليه وسلم: كل ابن آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون[٤٨].

وإلا أنه، وقد أنف، وحين أمكن علاج ذلك بما أنف أيضا، ومن استحضار طرفي النزاع، وبسط كل منهما حجته، ومن ثم تتضح الأمور جلية، ولعله لم يكن جفاء من أصل، ويكأنه لم يكن تعد في الغنيمة من أصل، ومن فرع أيضا!

ولكنك وقفت على كم كانت قلوب أولاء القوم! وحين أمكنها استسلام لهذا النبي، ومن توها، ولم تطل فترة استنقاهها، ولم يعز الموقف أكثر من توجيه لوم، وحين يرجع كل إلى صوابه، ومن جلسة واحدة! ويكأنك تعجب وحين يأخذ مثل هذا أو منه أقل، وربما الدهر كاملا! وبين أخوين، كانت بينهما العروة الثقة دينا، وكان بينهما الإلف في سننا حسنا وسبيلا، وكان بينهما الولاء في شرعة ومنهاجا، وإلا أن الشيطان نفث نفثة واحدة، ففرق بها بين المرء وزوجه، وبين الأخ وأخيه، و الهادي.

ودلك على صحة مذهبنا هذا ما جاء عن عمرو الأسلمي وكان من أصحاب الحديبية قال كنت مع علي بن أطالب في خيله الذي بعثه فيها رسول (صلى عليه وسلم) إلى اليمن فجفاني علي بعض الجفاء فوجدت عليه في نفسي فلما قدمت المدينة اشتكيته في مجالس المدينة وعند من لقيته فأقبلت يوما ورسول (صلى عليه وسلم) جالس في المسجد فلما رآني أنظر إلى عينيه نظر إلي حتى

---

[٤٨] الوهم والإيهام، ابن القطان: ٤١٤/٥، خلاصة حكم المحدث: صحيح.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

جلست إليه فلما جلست قال إنه و يا عمرو بن شاس لقد آذيتني فقلت إنا وإنا إليه راجعون أعوذ ب وبالإسلام أن أؤذي رسول (صلى عليه وسلم) فقال من آذى عليا فقد آذاني[٤٩].

(٤٩)تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج ٤٢ / ٢٠٣

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

السلام على همدان، السلام على همدان

هذا قول نبينا محمد صلى عليه وسلم، وحين راسله عليٌّ بن أبي طالب رضي تعالى عنه، بإسلام همدان من أهل اليمن، وبعد ستة أشهر من التناوب في دعوتهم، وما بين خالد بن الوليد رضي تعالى عنه مرة، وما بين علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه مرة أخرى.

وهذا بيان كم كان صبر دعاة الحق والخير والهدى والنور والصلاح والحبور والسرور على أقوامهم وألا تأخذهم العجلة من أمرهم.

وهذا بيان محبة الخير للناس، وحين كان هدف أهل الحق هو إسلام الناس وجوههم لله تعالى رب العالمين وحده لا شريك له. وما مسألة الجزية وإلا حثا للناس على مراجعة أنفسهم الفينة بعد الفينة؛ وكيما يؤوبوا ويتوبوا.

وهذا إعمال لسورة العصر، وحين كان اشتمالها وعلى هؤلاء الأربعة الأعمدة من أسس نجاحات الدعوات، وحين كانت صلبة في بيان الحق، وألا مهادنة ولا مواربة فيه، وحين كان العمل الصالح هو دلالة إيمان العبد، وإلا كان هذا الإيمان دعوى يعوزها البرهان، وإذ كان برهانها ذلكم العمل، وإذ كان دليلها ذلك الانقياد.

ولما كان هذان الأصلان ليسا ميسورا تحقيقهما في كل حين، ولذا جاء النص على التواصي بهذا الحق، وعلى التواصي بهذا الصبر، وعلى ما يمكن أن يبتلى به الداعية إلى تعالى من تعب ونصب، وابتلاء واختبار، وتشديد وترحيل، ونفي وتسجين، وصلب وتعذيب؛ وإن كل ذلك إلا ولأنه يدعوهم إلى النجاة، وإلى طريق تعالى المستقيم، صراط الذين أنعم تعالى عليهم من النبيين والصديقين

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا. وإذ هم أولئك البعداء يدعونهم إلى النار، يدعونهم ليكفروا ب تعالى، مما لم يأذن به تعالى.

وهذا توكيد لفظي بلاغي من نبينا محمد صلى عليه وسلم، وحين أضفى على النظم راحة بالسلام، وسكينة ومن سببه، وطمأنينة ومن موجبه، وحين كان هذا البيان العالي معبرا عن هكذا فرح نبينا محمد صلى عليه وسلم، وبما يحمل من بين ثناياه من موجبات هذا الفرح والغبطة والسرور؛ بإسلام همدان، وعلى يدي هذا العبد علي بن أبي طالب، ومن جولته تلك، وحين قد تناوب وأخوه خالد بن الوليد رضي تعالى عنهما، على دعوة أولاء همدان من اليمن.

وهذا الذي نقف عنده، ومن دلالات بلاغية شفافة، من وراء هذا التوكيد اللفظي، وحين قال نبينا محمد صلى عليه وسلم: السلام على همدان، السلام على همدان، وكناية فرح وسرور، ودلالة غبطة وحبور، بإسلام همدان أولاء، ومن بعد ستة أشهر دعوة كاملة.

وهذا درس للدعاة أن يصبروا وأن يصابروا وألا يعجلوا وإن أخذ منهم ستة أشهر بل سنوات.

وأنت خبير وبعد كم أسلمت قريش وجهها لله تعالى رب العالمين؟ ومن بعد ثمانية عشر عاما كاملة، هي ذلكم الزمن المقيس، ومن بعثته صلى عليه وسلم، وإلى يوم الفتح المبين، فتح مكة البلد الأمين! وإذ ولما كان قد دخلها، وإذ كان من إمكانه أن يدكهم دكا دكا، ولكنه ذلكم النبي الرسول الأمي العربي القرشي الكريم، وإذ كان هو الرحمة المهداة، والمنحة المسداة، ولما دخل مكة سلما سلما، وإذ إن بينه وبينهم نسبا وصهرا! وها هو ذلكم النبي يحسب حساب الألفة، ويحمل مشاعر الرحمة، ومن بين نبضات قلبه، ومن بين خلجات فؤاده، تنبض مشاعل الرأفة.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهذا شأن دعوي عام، وإذ ولما كان المسلمون يرغبون، ويلحون على أقوامهم، وأن يتقوا تعالى ربهم مسلمين مذعنين، وإذ ولما كان الناس وبهذا البعد، وبهذا الكيد، وبهذه الجهالة، وهذا الطمس لأبواب الخير، وإغلاق منافذ البر. ولكن المسلمين يحتسبون وقفتهم لله تعالى ربهم الحق، ويتحملون الشيء الكثير، ومما يلاقونه، ولديهم هذا الصبر، ويحملون هذا الجلد، وإذ ها هم يصرون على مواصلة طريق دعوتهم للناس إلى البر والهدي، والذي بينه تعالى في كتابه القرآن الحكيم والذكر المبين، وكذا وضح النبي صلى عليه وسلم سبيله، وأبان طريقه.

السداد للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إنما لكم فيها سهم كما للمسلمين.

هذا قول الإمام علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه لأبي سعيد الخدري سعد بن مالك بن سنان رضي تعالى عنه، وحين سأله وصحبه، أن يسمح لهم بركوب إبل الصدقة، ولأن إرهاقا وجدوا إبلهم عليه، وعلى حد قول أبي سعيد الخدري هذا: ونريح إبلنا، وكنا قد رأينا في إبلنا. إن خللا شاهدوه فيها، ومن نصب العمل وكَلِّ السفر، وإلا أن عليا قد أبى؛ ولأنهم يصبرون، وإلى حين قسمة هذه الأموال على المسلمين، ولأنه ليس يشرع الإفادة منها لقسم من المسلمين دون الآخر. وهذا الذي يتبدى لنا من سياق النص وظاهره، وأنهم لم يروحوا إليه بطلبهم هذا أجمعهم. وإلا فما كان قد ردهم، و تعالى أعلى وأجل وأعز وأعلم.

وهذه هي نظرة هذا الدين الإسلام الخالد إلى المال العام، وأنه يرعى، وأنه يحبس، وإلى يوم قسمته، وعلى قسمة سورة الأنفال، وحين قال تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال:٤١]. وسورة الحشر ﴿مَّا أَفَاءَ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا ۖ إِنَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر:٧]. وإن غير ذلك ليعد تعديا، وقف دونه هذا الإمام وقفة حازمة حاسمة.

وإذا انضاف إلى ذلك ما قالوه، وحين راح علي بن أبي طالب، من اليمن إلى المدينة؛ ليلحق بالرسول صلى عليه وسلم إلى الحج، وحين قد أمر عليٌّ عليهم رجلا منهم، وأنه قد سمح لهم بركوب الخيل، وقد كسا كل واحد منهم حلة، وقبل القسمة، ولدى رجعة عليٍّ، لامه وعلى فعله هذا.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولعل مسائل ركوب الإبل، والحلة، والوصيفة، كانت وراء شكوى، قدمت ضد الإمام علي بن أبي طالب، وبين يدي نبينا محمد صلى عليه وسلم.

ولكن الصحب الكرام رضي تعالى عنهم، وربما غاب عنهم أمر علي بألا يوزع من الفيء شيء، وإلا حين يقسم هذا الفيء، ولهذا السبب كان لومه لمن خلفه يوم لحاقه إلى الحج رفقة النبي صلى عليه وسلم.

وهنا أمور منها:

الأمر الأول: جواز تفويض النائب لغيره، ومن أعمال نيابته، وبرهان إنابة علي لغيره يوم راح إلى الحج مع رسول محمد صلى عليه وسلم.

ومن حيث لم يرد في أمر الإنابة الأول ما ينهى عن ذلك أو ينفيه، وبالتالي صار حقا له مشروعا.

وهذا فن إداري سبق، كان لهذا الدين الحنيف الخالد الإسلام قصب السبق فيه. وكيما تنتظم أمور الجهة الإدارية، ولتؤدي أعمالها، وعلى وتيرة مرنة، فلا يصيبها جمود، وحين انعدام هذا التفويض، ولو ببعض الصلاحيات الممنوحة.

الأمر الثاني: مشروعية توجيه اللوم للنائب المخالف، ولما رآه المنيب خروجا، وعن مألوف القرارات الإدارية التي له اتخاذها فترة إنابته، وخاصة وأنه ليست بين أيدينا نصوص لذلك، فدل على مشروعية توجيه هذا اللون من الجزاء الإداري.

الأمر الثالث: عدم التعسف في استخدام السلطات المخولة للنائب، وهو هنا الرئيس الإداري للنائب الثاني، ومنه الاكتفاء بتوجيه اللوم، ورغم ما يظهر من عمله في السماح للصحب الكرام

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

بركوب خيل الصدقات والفيء، وكذا إكساء كل منهم حلة من حلل هذا الفيء، وهما أمران ربما كان الجزاء لمخالفتهما أحدهما أو كليهما غير ذلك، ولأنه وليس ما أنف، وحين لم يذكر شيء من ذلك في قرار الإحالة أو الإنابة، وبالتالي كان توجيه اللوم جزاءً إداريا كافيا.

الأمر الرابع: مشروعية التظلم من قرارات الرئيس الإداري وأمام الجهة الأعلى منه على سلم الهرم الإداري: وهذا عمل أبي سعيد، ويوم رجعوا إلى النبي محمد صلى عليه وسلم، ومن بعد انقضاء فترة عملهم.

وهذا فن إداري آخر سامق عال رفيع، وحين ينتظر، ولدى لقاء الرئيس الأعلى، وليس من عجلة من أمر؛ وكيما يستقر عمل الجهة الإدارية، ومنه فلا مجال للتمرد، وبل مدعاة للتجرد، وحين لازموا الصبر والاصطبار، ويكأن هذا هو عين التفرد! وإذ كان صفة لازمة لصيقة بهؤلاء الصحب الكرام رضي تعالى عنهم.

الأمر الخامس: خلو أوراق الدعوى(التظلم) من أدلة مادية لإدانة الإمام عليّ: ويبدو أن هذين السببين كانا وراء شكوى الإمام علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه أمام النبي محمد صلى عليه وسلم، ومنضافتان إلى ما أنف من مسألة الوصيفة، والواضح من عرائض الدعوى، أن الأمر خلو من هكذا شكوى، وبرهانا على عدم جدية الدعوى، وبالتالي تعتبر دعوى ساقطة من مبدئها، ومن بعد أخذ أقوال المدعين، وبالتالي صدر الحكم القضائي النبوي بحفظ أوراقها لعدم جديتها.

الأمر السادس: هذا الالتزام الأدبي: من أولاء الصحب الكرام رضي يوم تعالى عنهم، أن صبروا على شكواهم، وإلى حين ملاقاة الرئيس الإداري الأعلى، والقائم على قمة الهرم الإداري، وهذا عمل

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إداري ممتاز، وحين يمكن التزام المرؤوس، وأمام مهام وصلاحيات رئيسه، وهذا اتباع إداري فائق لقواعد العمل الإداري، وألا يتخطى فيه رئيسه، وألا يحقن فيه أفئدة مرؤوسيه.

الأمر السابع: هو ذلكم سماع النبي محمد صلى عليه وسلم لأطراف النزاع: وسماعا جيدا، ويريح به أفئدتهم، ولعل من شكواهم معتبرا، وإن بدا فيما بعد أنها ليست شكوى موضوعية، ومن بعد سماع أطرافها.

الأمر الثامن: هو هذا الالتزام الخلقي العالي لمكارم هذه الأخلاق الحميدة: والتي نعتبرها كانت متجذرة في قلوب القوم، ومما ساعدهم في ذلك، ألا يبدو من أحدهم خروج على مألوف هذه الخصال الحميدة، ومما لم ينبس أحدهم ببنت شفة واحدة، على أميره؛ دلالة اصطباغ أولاء الصحب الكرام بمكارم خلق دين، قد تدينوه، وحين أصبح ويكأنه لباسهم الذي يلبسون، ويكأنه قد ألفيناه رداءهم الذي به يرتدون أيضا، سننا وهديا حسنا.

ودلك على صحة مذهبنا هذا ما رواه الإمام العماد الحافظ عن الإمام البيهقي رحمهما تعالى عن أبي سعيد الخدري رضي تعالى عنه أنه قال: بعث رسول علي بن أبي طالب إلى اليمن فكنت فيمن خرج معه فلما أخذ من إبل الصدقة سألناه أن نركب منها ونريح إبلنا وكنا قد رأينا في إبلنا خللا فأبى علينا وقال إنما لكم فيها سهم كما للمسلمين قال فلما فرغ علي وانطفق من اليمن راجعا أمر علينا إنسانا وأسرع هو وأدرك الحج فلما قضى حجته قال له النبي صلى عليه وسلم ارجع إلى أصحابك حتى تقدم عليهم قال أبو سعيد وقد كنا سألنا الذي استخلفه ما كان علي منعنا إياه ففعل فلما عرف في إبل الصدقة أنها قد ركبت ورأى أثر الركب قدم الذي أمره ولامه فقلت أما إن لله علي لئن قدمت المدينة لأذكرن لرسول ولأخبرنه ما لقينا من الغلظة والتضييق قال فلما قدمنا المدينة غدوت إلى رسول صلى عليه وسلم أريد أن أفعل ما كنت حلفت عليه فلقيت أبا بكر

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

خارجا من عند رسول صلى عليه وسلم فلما رآني وقف معي ورحب بي وساءلني وساءلته وقال متى قدمت فقلت قدمت البارحة فرجع معي إلى رسول صلى عليه وسلم فدخل وقال هذا سعد بن مالك ابن الشهيد فقال ائذن له فدخلت فحييت رسول وحياني وأقبل علي وسألني عن نفسي وأهلي وأحفى المسألة فقلت يا رسول ما لقينا من علي من الغلظة وسوء الصحبة والتضييق فاتئد رسول وجعلت أنا أعدد ما لقينا منه حتى إذا كنا في وسط كلامي ضرب رسول على فخذي وكنت منه قريبا وقال يا سعد بن مالك ابن الشهيد مه بعض قولك لأخيك علي فو لقد علمت أنه أحسن في سبيل قال فقلت في نفسي ثكلتك أمك سعد بن مالك ألا أراني كنت فيما يكره منذ اليوم ولا أدري لا جرم و لا أذكره بسوء أبدا سرا ولا علانية[٥٠].

وكذا ما رواه الإمام محمد بن إسحاق رحمه تعالى عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة قال: إنما وجد جيش علي ابن أبي طالب الذين كانوا معه باليمن لأنهم حين أقبلوا خلف عليهم رجلا وتعجل إلى رسول ﷺ قال: فعمد الرجل فكسى كل رجل حلة، فلما دنوا خرج عليهم علي يستلقيهم فإذا عليهم الحلل، قال علي: ما هذا؟ قالوا: كسانا فلان. قال: فما دعاك إلى هذا قبل أن تقدم على رسول فيصنع ما شاء فنزع الحلل منهم، فلما قدموا على رسول اشتكوه لذلك، وكانوا قد صالحوا رسول ؛ وإنما بعث عليه إلى جزية موضوعة[٥١].

ودلك على صحة مذهبنا هذا ما رواه الإمام البخاري رحمه تعالى عن عبد الرحمن ابن أبي نعم، سمعت أبا سعيد الخدري يقول: بعث علي بن أبي طالب رضي عنه إلى رسول صلى عليه وسلم من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ، لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر، بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع: إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من

---

(٥٠)البداية والنهاية، ابن كثير: ٩٤/٥. خلاصة حكم المحدث: إسناده جيد.
(٥١)البداية والنهاية، ابن كثير: ٩٤/٥. خلاصة حكم المحدث: إسناده جيد.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي صلى عليه وسلم فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء صباحا ومساء، قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال يا رسول اتق ، قال: ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول ، ألا أضرب عنقه؟ قال: لا، لعله أن يكون يصلي فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول صلى عليه وسلم: إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم قال: ثم نظر إليه وهو مقف، فقال: إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب رطبا، لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، وأظنه قال: لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود[٥٢].

علم نبوة ضاف!

ثقة في وعد تعالى!

إن سيهدي لسانك، ويثبت قلبك.

هذا قول نبينا محمد صلى عليه وسلم للإمام علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه، وحين بعثه على أهل اليمن قاضيا، ولأن عليا، وعلى ما يبدو من ظاهر الحديث، كان قد استوحش التعرض لهذه المهمة، ولعلمه بخطرها، ولأنها جد عظيمة، وليس يتجاسر عليها من أحد عرف قدرها، ولأنها محفوفة بالمكاره، وحين كان الخصوم لهم مشارب شتى، ولما كانت الأحداث لها موارد قددا، وبين

([٥٢])صحيح البخاري: ٤٣٥١

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

هـذا وهـذا زقـاق وحـارات وتشـعبات وتفريعـات، ولا يكـاد يتحصـل القاضـي على حقيقـة الأمـور وسبرها، وإلا أن حين يكون عونه تعالى سابقه وحاديه، ولما يكون توفيقه تعالى حليفه ومؤيده.

ولأجل ما أنف، كان استثقال عليٍّ لهكذا مهمة عظيمة، وخاصة أنه لم يكن لذلك أمر عظيم به خبيرا، وحين قال قوله هذا للنبي محمد صلى عليه وسلم: تبعثني إلى قوم يكون بينهم أحداث، ولا علم لي بالقضاء. فقد جمع بين اثنتين عظيمتين، وهما:

الأولى: عظم الأحداث والمهام، وكبرها الكبار الجسام، وكما أنف، لحواريها وزقاقها المتشعبة، وكذا اختلاف مشارب الخصوم ودوافعهم وكثرتهم وعددهم، وأدوار كل منهم، حتى ليكاد الوصول إلى الحقيقة منالا عظيما.

الثانية: هو هذه الخبرة بالقضاء، وإذ يكاد الرجل عندها خاليا، ومن ظاهر قوله الآنف الذكر. وبه دل على كم هي تيكم خبرة بالقضاء لازمة، وقبل التصدر إليه؛ ولما أنف من تعدد وتشعب، وكثرة المداخل والمخارج والمآرب والمصالح والغايات والأسباب.

وينضاف إلى ذلك ما ذكر من رواية الإمام أحمد رحمه تعالى الأخرى وإذ قال عليٌّ رضي تعالى عنه: يا رسول تبعثني إلى قوم أسن مني، وأنا حدث لا أبصر القضاء. ولعله قد جمع بين كل هذه الحيثيات، والتي كان من موجبها اشتمامنا تعجبه لاختياره هكذا مهمة، وحاله ما أنف!

وهذا الذي نقف عنده أيضا، ولأن التجشم لهكذا مهمة عظيمة، محفوف بالمخاطر العظام، ومسيج بالمسائل الجسام، وليس يكاد يتعرض لها إلا من علم سبرها، علما، وفقها، وتأدبا بآدابها، ولما أنف ذكره أيضا.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولكن نبينا محمدا صلى عليه وسلم، وإذ كان ليس يخفى عليه من أمرها هذا الذي ذكره الإمام علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه، وإنما تلزم هذه مهمة رجالها وأهلها من علم، وفقه، وأدب، وحلم، ولطف، وسداد رأي، وحكمة بالغة، وحجة دامغة، وتجرد من هوى، وانخلاع من ميل إلى أحد المتخاصمين.

ولهذا السبب كان دعاؤه صلى عليه وسلم ربه أن يهدي عليا لهكذا مهمة، وبقوله دعاءً مرة: م ثبت لسانه، واهد قلبه. وبقوله خبرًا مرة أخرى، وعلى رواية الإمام أحمد رحمه تعالى أيضا: إن سيهدي لسانك، ويثبت قلبك. وفي دلالة على أهمية التجاء العبد إلى تعالى، وفي كل ما يقدم عليه من فعل، ولدى سائر ما يعزم عليه من ترك؛ ولأن تعالى هو الذي بيده أزمة الأمور، وأنه تعالى بيده مقاليد السماوات والأرض، ويبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، ولما كان هذا القضاء من رزق، فكان حريا دعاؤه صلى عليه وسلم، لهذا العبد، التقي، النقي، الخفي، علي بن أبي طالب، رضي تعالى عنه، بالسداد في مهمته، وبالتوفيق في أداء رسالته.

ولكن النبي صلى عليه وسلم، ولعلمه بمدخل عظيم لمهمة القضاء، وحين وضع قدمي عليٍّ علَى طريقها، وإذ كانت بداية هذا الطريق، ومن قوله صلى عليه وسلم: يا علي: إذا جلس إليك الخصمان، فلا تقض بينهما، حتى تسمع من الآخر، ما سمعت من الأول، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك.

وهذا يعد في الواقع صنوان القضاء، وأساسه، وذروة سنامه، والأمر جد، ليس متعلقا كثيرا بإعمال النصوص فحسب، ولكنه متعلق بمدى سبر القضية المعروضة، والخروج منها، ومن دروبها بخلاصة الحكم، وكيما تنطبق على ذلك النصوص الحاكمة، وهذان أمران جد مهمان:

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الأمر الأول: وجوب سماع أطراف الدعوى جيدا، وهذا السماع جد عظيم، وليس من أطرافها وحسب، وإنما من تجرد السماع أيضا! وهذا الذي يورد القاضي مهلكته، وحين لم يكن واعيا لمهمته جد وعيها! وما أعظم تجرده! وأجمل بحيدته! وحين يكون فيصلا، وحين يكون قائدا، ولما يكون سائقا ودليلا.

الأمر الثاني: هو ذلكم العلم بالنصوص الحاكمة، والتي سينبني عليها قراره وحكمه، وهذه النصوص لها سبرها أيضا، ولدى جوانبها الشكلية، وعند مواردها الموضوعية، وهما أمران جد حاسمان في المسألة، ومن مطلق ومقيد، ومن عام وخاص، ومن أسباب نزول، ومن ناسخ ومنسوخ، ومن فقه لغة، ومن دلالات الألفاظ، ومن مناطات الأحكام، ومن عادات وأعراف، ومن اختلاف الأطراف، والمشارب، والمداخل، والمخارج، والنوازع، والمشاعر، والهواجس، والمقاصد، والرضا، والغضب، والغصب، والإكراه.

وقد بان لقارئ كريم مقصدنا بالنصوص، وإذ ها هي نصوص كتاب ربنا، وكذا سنة نبينا محمد صلى عليه وسلم، ومنه إننا نعرض النظر، ونكف البصر، عما سواهما؛ ولأن الحكم بهما هو الإيمان، ولأن الحكم مما سواهما فناقض لهذا الإيمان، وطاعن في هذا الإسلام. وربنا الهادي لأمة رشيدة، أن تعود إلى الكتاب، وأن تقضي بما فيه، وكذا سنة رسول محمد صلى عليه وسلم، وذلك أمر حري بها أن تتبوأ مقعدها بين الأمم، وأن تنال الفوز يوم الحساب.

ولكن مراعاة المزاوجة بين جانبي الإجراءات، ومن حيث الشكلية منها والموضوعية معا؛ ولأن الضرب على وتر إحداهما، دون الأخرى، وإنما هو أمر يصيب الدعوى برمتها من مقتل، وتظل عالقة كالمعلقة! لا هي قد طلقت، وقد سرحت بإحسان، ولا هي قد أمسكت! فأمسكت بإحسان! فتراوح مكانها، وكيما ييأس الخصوم من تداعيها، وكيما يتفلت المدعون من دواعيها!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولكن عليا رضي تعالى عنه، وإذ حالفه التوفيق الرباني، وإذ وافقه التسديد الإلهي، ولما قال من إثر دعائه صلى عليه وسلم له: فما شككت في قضاء بين اثنين.

وهذه بركات الدعاء، ولاسيما ولما كان من رسول صلى عليه وسلم، ويكأنه نظام العبد، وحين يسلك طريقا، وإذ ها هو متأبط بالدعاء، وإذ ها هو متسلح بالالتجاء، إلى تعالى رب الأرض والسماء، ولأن العبد في البدء وفي المنتهى، ليس يملك من الأمر شيئا، ولأن الأمر كله لله تعالى العلي الأعلى سبحانه.

ولكنما أحسب أن موقف عليٍّ هذا من القضاء كان خشية؛ ولأن الرجل كان فقيها، وعالما، ونحريرا، وإنما يكون هذا الصنف من الناس هذا شأنهم، عن القضاء ترفعا، وخوفا، ووجلا، وخشية.

وإنما قلت قولي هذا؛ ولأن عليا بن أبي طالب رضي تعالى عنه هذا نفسه، هو الذي قال يوما: سلوني عن كتاب فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أم في جبل[٥٣].

ولدينا مثالان، تطبيقيان، عمليان، دالان على ذلكم السداد، وما مُنِحَهُ عليٌّ من رب العباد:

المثال الأول: ويوم أن رفعت أمامه قضية اختلاف ثلاثة الرجال، وحين وطئوا ملك يمين لهم، وكان حكمه فيها على القرعة بين الثلاثة، وأيهم خرجت عليه ألزمه ثلثي الدية، ونسب الولد إليه! ومن ثم يقسم الثلثين على الاثنين الآخرين اللذين خرجا من القرعة، وحين وصل خبر ذلك إلى النبي صلى عليه وسلم قال: لا أعلم إلا ما قال علي!

وهذا أمر جد رشيد، وحين يحكم هذا الإمام بحكمه تعالى، وبرهان موافقته لقضاء النبي محمد صلى عليه وسلم، وإذ ها هو من أصغر الناس سنا، وإذ ها هو حديث عهد بالقضاء!

([٥٣])الإتقان في علوم القرآن، السيوطي: ٣٣/٤

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولكن القرعة عمل مشروع، وعند عدم القدرة على إيجاد الدليل، ولما كانت هي غاية المقدور عليه، وعند فقدان مرجح غيرها كالبينة، أو الإقرار، أو القافة.

ولكن البراعة والفطنة، ولما لم يسأل علي عن هذا العمل، وكيف أتوه من طهر واحد؛ ولأن ما وقع بعد كان أعظم! وهذا من باب حسن هذا الدين، وحين أرخى سدول ستره على العصاة والمذنبين، ولما أحاطهم هكذا بحجابه! أو كأن جناية أعظم غطت على مخالفة أدنى، أو كأن المخالفة يسبرها استغفار الغفار القهار وكفى، ومن حيث ليس عليها من حد، ويجبرها ذلكم استغفار العبد. أو قل: وكأن الجميع مؤتلف.

فعن زيد بن أرقم: كنت جالسا عند النبي صلى عليه وسلم فجاء رجل من اليمن فقال إن ثلاثة نفر من أهل اليمن أتوا عليا يختصمون إليه في ولد وقد وقعوا على امرأة في طهر واحد فقال لاثنين منهما طيبا بالولد لهذا فغليا ثم قال لاثنين طيبا بالولد لهذا فغليا ثم قال لاثنين طيبا بالولد لهذا فغليا فقال أنتم شركاء متشاكسون إني مقرع بينكم فمن قرع فله الولد وعليه لصاحبيه ثلثا الدية فأقرع بينهم فجعله لمن قرع فضحك رسول صلى عليه وسلم حتى بدت أضراسه أو نواجذ[٥٤].

وبعد، فاختلف الفقهاء في هذا الحكم، فذهب إليه إسحاق بن راهويه، وقال: هو السنة في دعوى الولد، وكان الشافعي يقول به في القديم، وأما الامام أحمد، فسئل عن هذا الحديث، فرجح عليه حديث القافة، وقال: حديث القافة أحب إلي.

الذكر والدعاء يوم عرفة

([٥٤])صحيح أبي داود، الألباني: ٢٢٦٩.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وأما أحاديث الذكر والدعاء يوم عرفة، فقد أعرضت عنها؛ ولضعف ما وقفت عليه منها. ولئن كان الذكر محمودا في كل وقت وحين، وإن لم يخصص يوم عرفة بذكر محدد، ولا بدعاء ثابت، ولكن الأصل أنه يوم تضرع، وبما شاء العبد، وبما فتح ربه تعالى عليه، وسواء من الأدعية الشرعية الواردة في السنة الصحيحة، أو ما جاء نظما في القرآن الحكيم، أو ما تيسر للعبد، ومن حاجة ألمت به؛ ليرفعها تعالى عنه، أو من نعمة نزلت به؛ ليشكره تعالى عليها، وشرط ألا يتعدى في دعائه.

وإلا أنه صلى عليه وسلم كان يكثر من التلبية في مزدلفة. وذلك لحديث عبد بن مسعود رضي عنه أنه قال بجمع: ((

سمعت الحجاج يقول على المنبر: السورة التي يذكر فيها البقرة، والسورة التي يذكر فيها آل عمران، والسورة التي يذكر فيها النساء، قال: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: حدثني عبد الرحمن بن يزيد أنه كان مع ابن مسعود رضي عنه حين رمى جمرة العقبة، فاستبطن الوادي حتى إذا حاذى بالشجرة اعترضها، فرمى بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة، ثم قال: من هاهنا -والذي لا إله غيره- قام الذي أنزلت عليه سورة البقرة صلى عليه وسلم[55].

وإلا أنه صلى عليه وسلم كان قد دفع من مزدلفة قبل أن تطلع الشمس.

فعن عبد بن عباس قال: خرجنا مع عبد رضي عنه، إلى مكة، ثم قدمنا جمعا، فصلى الصلاتين كل صلاة وحدها بأذان وإقامة، والعشاء بينهما، ثم صلى الفجر حين طلع الفجر، قائل يقول: طلع الفجر، وقائل يقول: لم يطلع الفجر، ثم قال: إن رسول صلى عليه وسلم قال: إن هاتين الصلاتين حولتا عن وقتهما، في هذا المكان، المغرب والعشاء، فلا يقدم الناس جمعا حتى يعتموا، وصلاة الفجر هذه الساعة، ثم وقف حتى أسفر، ثم قال: لو أن أمير المؤمنين أفاض الآن أصاب

(55)صحيح البخاري: ١٧٥٠

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

السنة، فما أدري: أقوله كان أسرع أم دفع عثمان رضي عنه، فلم يزل يلبي حتى رمى جمرة العقبة يوم النحر[٥٦].

وفيه التلبية، ومن حين دفعه صلى عليه وسلم من مزدلفة وإلى أن رمى العقبة الكبرى يون النحر. وكما أنف.

ولكنه صلى عليه وسلم ما كان قد سئل عن شيء قدم أو أخر من مناسك يوم النحر وإلا أجازه، ومن ثم فلا حرج على مسلم في هذا اليوم إن قد أو أخر نسكا عن أخيه.

ولكنه صلى عليه وسلم قد جاءته جارية شابة تستفتيه عن جواز حجها عن أبيها وقد مات قبل أن يحج فأجاز لها ذلك، وهذا من بر الوالدين، وقد سجله التاريخ لهذه الجارية الشابة. وكما وأنها سوف تلقى جزاء برها بأبيها عند هذا الرب الحليم الكريم اللطيف سبحانه.

وإلا أنه صلى عليه وسلم كان قد ألوى عنق الفضل عن هذه الجارية الشابة؛ وسدا لذريعة الفتنة.

فعن علي بن أبي طالب: وقف رسول صلى عليه وسلم بعرفة فقال: هذه عرفة وهو الموقف، وعرفة كلها موقف. ثم أفاض حين غربت الشمس، وأردف أسامة بن زيد، وجعل يشير بيده على هيئته، والناس يضربون يمينا وشمالا يلتفت إليهم، ويقول: يا أيها الناس، عليكم السكينة. ثم أتى جمعا فصلى بهم الصلاتين جميعا، فلما أصبح أتى قزح ووقف عليه، وقال: هذا قزح، وهو الموقف وجمع كلها موقف. ثم أفاض حتى انتهى إلى وادي محسر، فقرع ناقته فخبت حتى جاوز الوادي، فوقف وأردف الفضل، ثم أتى الجمرة فرماها، ثم أتى المنحر فقال: هذا المنحر ومنى كلها منحر.

([٥٦]) صحيح البخاري: ١٦١٢

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

واستفتته جارية شابة من خثعم، فقالت: إن أبي شيخ كبير، قد أدركته فريضة في الحج، أفيجزئ أن أحج عنه؟ قال: حجي عن أبيك. قال: ولوى عنق الفضل، فقال العباس: يا رسول ، لم لويت عنق ابن عمك؟ قال: رأيت شابا وشابة، فلم آمن الشيطان عليهما. فأتاه رجل، فقال: يا رسول : إني أفضت قبل أن أحلق قال: احلق ولا حرج، أو قصر ولا حرج. قال: وجاء آخر، فقال: يا رسول ، إني ذبحت قبل أن أرمي، قال: ارم ولا حرج. قال: ثم أتى البيت فطاف به، ثم أتى زمزم، فقال: يا بني عبد المطلب، لولا أن يغلبكم عليه الناس لنزعت[٥٧].

ولا أعطي عليها شيئا في جزارتها.

وقد أنف الكلام حول الهدي ونحره قيام نبينا عليه بنفسه ومشاركة علي في ذلك.

ولكن ههنا وإذ ها هو علي يقف على أمره صلى عليه وسلم تتبعا وترسما وهديا حسنا، وهذا وقوف الناس يومهم هذا على أوامر نبيهم فيأتونها، وعلى نواهيه فينتهون عنها، وطواعية واختيار وتعبدا وانقيادا، وبه قام ميزان هذا الدين، وقسطه، وعدله، وحين كانت هذه أمة عند نصوص قرآنها وقافة، وعلى سبيل نبيها صلى عليه وسلم أيضا.

ولكن هذا عليٌّ وإذ أمره النبي صلى عليه وسلم، وأن يقسم كل شيء من الهدي، لحمه، وجلاله، وجلوده، وألا يعطي منها الجزار، واحتسابا من أجرته. وإن جاز إعطاؤه منها على وجه الصدقة والهدية.

والجل: مَا تغطى بِهِ الدَّابَّة لتصان[٥٨].

([٥٧])سنن الترمذي: ٨٨٥

([٥٨])أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، ابن الأحمر: ١ / ٢٠٤

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وجلال كل شيء: غطاؤه نحو الحجلة وما أشبهها. وتجليل الفرس: أن تلبسه الجل، وتجلله أي علاه. وفي الحديث: أنه جلل فرسا له سبق بردا عدنيا أي جعل البرد له جلا. وفي حديث ابن عمر: أنه كان يجلل بدنه القباطي. وفي حديث علي: م جلل قتلة عثمان خزيا أي غطهم به وألبسهم إياه كما يتجلل الرجل بالثوب[٥٩].

فعن علي بن أبي طالب بعثني النبي صلى عليه وسلم، فقمت على البدن، فأمرني فقسمت لحومها، ثم أمرني فقسمت جلالها وجلودها. وفي رواية: أمرني النبي صلى عليه وسلم أن أقوم على البدن، ولا أعطي عليها شيئا في جزارتها[٦٠].

﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح:٢٧].

وهذا بيان القرآن الحكيم في الحلق والتقصير، ومن حيث قد جاء مشتركين حكما، ومتساويين أيضا.

وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له وأطيعوا ما قادكم بكتاب .

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قالَ: إنَّ خَلِيلِي أَوْصَانِي أَنْ أَسْمع وَأُطِيعَ، وإنْ كانَ عَبْدًا مُجَدَّعَ الأطْرَافِ، وَأَنْ أُصَلِّيَ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا، فإنْ أَدْرَكْتَ القَوْمَ وَقَدْ صَلَّوْا كُنْتَ قدْ أَحْرَزْتَ صَلَاتَكَ، وإلَّا كَانَتْ لكَ نَافِلَةً[٦١].

هذا حديث صحيح، رواه الإمام ابن ماجه رجمه تعالى، وهو حديث يبين منه مدى أهمية السمع والطاعة للإمام، وكما أنه يبين منه مدى أهمية الإمام للأمة؛ ولأنه صمام الأمان لها، وبه يقام

(٥٩)لسان العرب، ابن منظور: ج ١١ / ١١٩
(٦٠)صحيح البخاري: ١٧١٦
(٦١)صحيح مسلم: ٦٤٨

www.sadah.net

سوق العدل، ومعه ينظم سلك العقد، فليس ينفرط، وعليه تبعة قيادة الأمة إلى الفتح المبين، ودعوة الناس إلى رب العالمين، وهذه هي وظيفة الإمام العظمى، والتي من أجلها سود الرعاة، وأمرت الرعية باتباعها وطاعتها والسمع لها.

لكن أولاء الرعاة، ومن شرط اتباعهم أن يكونوا قادة الأمة بكتاب ربها، وسنة نبيها صلى عليه وسلم، وهذان هما شرطا الاتباع؛ ولأن الطاعة ههنا، وإنما تكون بالمعروف؛ ولأنه ليس معروفا أعظم من قيادة الناس بمنهج تعالى ربهم الحق المبين سبحانه.

ولكنك وقفت على مدى وأهمية هذه الطاعة، ولما كانت يوم النحر يوم الحج الأكبر، وما تعنيه من لفت الأنظار إلى أهمية وداع النبي صلى عليه وسلم للأمة، وها هو إذ يوقفهم على خلاصة منهج جاء به، وأنه هو هذا الذي منه طاعة الولاة، وما أقاموا في الناس شرع ربهم، وحكموا فيهم كتاب ربهم، وأقاموا بينهم سنة نبيهم محمد صلى عليه وسلم.

وهذا الذي جاءت به السنة، مقيدة هذه الطاعة، وأيضا، وحين قال صلى عليه وسلم: إنما الطاعة في المعروف.

فعن علي بن أبي طالب: أن النبي صلى عليه وسلم بعث جيشا، وأمر عليهم رجلا فأوقد نارا وقال: ادخلوها، فأرادوا أن يدخلوها، وقال آخرون: إنما فررنا منها، فذكروا للنبي صلى عليه وسلم، فقال للذين أرادوا أن يدخلوها: لو دخلوها لم يزالوا فيها إلى يوم القيامة، وقال للآخرين: لا طاعة في معصية، إنما الطاعة في المعروف[٦٢].

([٦٢])صحيح البخاري: ٧٢٥٧

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وعليه يحمل حديث:" اتقوا ربكم وصلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا ذا أمركم، تدخلوا جنة ربكم "[٦٣].

التفويض الإداري في الهدي النبوي

علي الأمير الأمين

حين مرجع نبينا صلى عليه وسلم من حجة الوداع، وأثناء الطريق، في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة عامئذ، وكان يوم الأحد، بغدير خم، تحت شجرة هناك، وفي هذا المكان خطب الناس، وعلى عهده أبدا؛ ليعظهم، ومتخولا إياهم، وكما أنف، وهو عهده صلى عليه وسلم أيضا، ومخافة السأم، وتنشيطا للناس، واستحضارا للعظة والعبرة، وهذا بيان أهمية التذكير للعصبة المؤمنة أبدا، ولأشواك الدنيا، ومنحنيات طرقها، وتعرجات سبلها، ومطبات محطاتها، فكان أقوم بالتذكير، وتغلبا وعلى مثل ما يجد من أحداث، أو قد كان حدثا بالأمس؛ وكيما لا يتبقى في الصدور ما يوجب وحشة، أو غيبة، أو بهتة، أو حملا في الصدور، ولتخليتها إلى الأفق الأعلى، من التذكر، والخوف، والرهبة، والخشية، والإنابة، والعبودية لله تعالى، وحين تخلى عن ركام الدنيا وبلائها وفتنتها.

ولكن هذا النبي صلى عليه وسلم ههنا قد ذكر الناس، وأعاد في مسألة علي بن أبي طالب رضي تعالى عنه، وحين تنقصه بيردة وبقوله له: ويلك انزع قبل أن ينتهي به إلى رسول ﷺ. ويوم كان أميرا عليهم باليمن.

---

(٦٣)صحيح الترمذي، الألباني: ٦١٦

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ولكنك قد رأيت كيف كان قوله: تنقصته! وهذا موجب المؤاخذة، وهذا سبب المأخذ والنكير والتذكير للناس، وحتى لا يتنقص بعضهم بعضا، وإذ ولا زال بينهم نبيهم صلى عليه وسلم، وماذا هم فاعلون، ويوم يغادر دنياهم؟!

ولكن هذا عليا، وكما أنف في موضعه، قد كان تصرَّف تصرُّف الأمير الأمين، ومن جوانب:

الجانب الأول: وهو ذاك تصرف أميره، وفيما ليس له، بل من بيت مال المسلمين! وحين منح لباسا لكل من معه! ودون حاجة ملحة، يمكنها أن تكون شفيعا له؛ وجراء تصرفه هذا، بل ومن لسانه، وليتجملوا به إذا قدموا في الناس! وهذه حجة لا تنهض فإن الناس يرتدون ما ستر، ولله الحمد وكفى!

والأمر الثاني: أنه قد خرج بتصرفه هذا عن حدود التفويض، وإلا ما آخذه أميره المفوض، وهذه حيثية قمنة درسا، ومن ثم يكون من عمل المفوض النظر فيما فوض فيه، وعند وجود النص، واللوائح التي تحكم هكذا أعمال التفويض، ولو كان شفويا أيضا، وإلا فيرجع على من فوضه؛ وليستشيره فيما يريد عمله؛ ولأن هذا الأمير نفسه ليس مخولا؛ ولأنه مفوض هو الآخر من نبينا محمد صلى عليه وسلم، وبالتالي فإن هذه مسألة جدير وقوف عندها مليا؛ لاستتباب أمر العمل الإداري، فيكون ملتئما، منسجما، متحدا، مؤتلفا.

الأمر الثالث: هو هذه خشية عليٍّ رضي تعالى عنه، والتي قد زكاه بها النبي صلى عليه وسلم، وحين علمنا أن نبينا صلى عليه وسلم لا ينطق عن الهوى، فثم الوقوف ههنا، ونوقن بأن عليا ذو خشية ورهبة، أهلاه هذان الوصفان أن يكون أميرا للناس على اليمن.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الأمر الرابع: ولا سيما أيضا أن عليا كان قد ترك الناس، وهو أعلم بحالهم، وليس بالطبع قد رأى نقصا على حالهم باديا، وحتى يسده هذا الأمير المفوض، وخاصة انه لم يمر فاصل زمني متبرع ليقال به إن الظروف والاحوال المواتية قد تغيرت، وبما يترك مساحة لتقبله عمله هذا!

الأمر الخامس: ولا سيما أيضا أن عمله هذا، وإضافة إلى خروج به عن حد التفويض، ولربما أحدث فتنة، وحين يمكن تنقص الرعية من عليٍّ نفسه! وبالتالي فإن الوقوف على حدود التفويض، واستشارة المفوض فيما يجد من أعمال، فإن هذا عمل إداري حسن.

الأمر السادس: وحتى عليٌّ نفسه، وإذ رأيناه يخشى من مؤاخذة النبي صلى عليه وسلم له، ونعرف هذا من قوله: ويلك إنزع قبل أن ينتهي به إلى رسول ﷺ. ولأنه بهذا يكون هو المسؤول أمام النبي وعن تصرفات أميره النائب عنه.

وهذا عمل إداري عبقري؛ به يستتب عمل الجهة الإدارية وينساب.

الأمر السابع: ولا ننسى أن عليا تربية مدرسة نبينا محمد صلى عليه وسلم، وبالتالي فإن هذه هي عصارة أهل البيت- وإن جاز التعبير- وإن الطعن فيه، وحين السكوت على هذا الطعن، فإنه مفض حتما وإلى الطعن في النبي صلى عليه وسلم، ولربما في النبوة من أساسها، وفصلها، ومبدئها، وانتهائها.

الأمر الثامن: ولذلك كان لابد من البيان، وعدم التأخير فيه، بل لابد من التذكير به، ولا سيما أن هذا النبي صلى عليه وسلم، ولربما كان قد رأى في نفوس الرعية من أولاء الذين رافقوا عليا رحلة اليمن، وأنه مازالت فيهم بقية مما قاله بريدة هذا، بل بريدة نفسه، وما زال قلبه معلقا، وبمثل حدثه هذا.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الأمر التاسع: وها هو قد أراد صلى عليه وسلم أن يميط اللثام عنها، أو أن يكشف نقابها، وليكون الناس على قلب رجل واحد، أو قاب قوسين أو أدنى! ولا سيما أننا على مشارف وداعهم لنبيهم صلى عليه وسلم، وقد أراد أن يترك الناس قلوبهم صافية، ومحبتهم وافية، وأفئدتهم دانية.

قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عبد بن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة، قال: لما أقبل علي رضي عنه من اليمن ليلقى رسول صلى عليه وسلم بمكة، تعجل إلى رسول صلى عليه وسلم واستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي رضي عنه، فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، قال: ويلك! ما هذا؟ قال: كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال: ويلك! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول صلى عليه وسلم. قال: فانتزع الحلل من الناس، فردها في البز، قال: وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم.

وعن أبي سعيد الخدري، قال: اشتكى الناس عليا رضوان عليه، فقام رسول صلى عليه وسلم فينا خطيبا، فسمعته يقول: أيها الناس، لا تشكوا عليا، فو إنه لأخشن في ذات ، أو في سبيل ، من أن يشكي[٦٤].

(٦٤)السلسلة الصحيحة، الألباني: ٦٢٦/٥

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وعن زيد بن أرقم أيضا قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا؛ رأيت رسول صلى عليه وسلم، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول صلى عليه وسلم، قال: يا ابن أخي، و لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول صلى عليه وسلم، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفونيه. ثم قال: قام رسول صلى عليه وسلم يوما فينا خطيبا بماء يدعى خما بين مكة والمدينة، فحمد وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد، ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب ، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب ، واستمسكوا به، فحث على كتاب ورغب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم في أهل بيتي، أذكركم في أهل بيتي، أذكركم في أهل بيتي. فقال له حصين: ومن أهل بيته؟ يا زيد، أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم. وفي رواية: كتاب فيه الهدى والنور، من استمسك به وأخذ به، كان على الهدى، ومن أخطأه ضل. وفي رواية: دخلنا عليه فقلنا له: لقد رأيت خيرا؛ لقد صاحبت رسول صلى عليه وسلم، وصليت خلفه... وساق الحديث، غير أنه قال: ألا وإني تارك فيكم ثقلين؛ أحدهما كتاب عز وجل، هو حبل ، من اتبعه كان على الهدى، ومن تركه كان على ضلالة، وفيه: فقلنا: من أهل بيته؟ نساؤه؟ قال: لا ، وايم ، إن المرأة تكون مع الرجل

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

العصر من الدهر، ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها أهل بيته أصله، وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده[٦٥].

هذا حديث صحيح رواه الإمام مسلم رحمه تعالى.

وهذا الحديث عمدة في استدلال الشيعة على إمامة الإمام علي رضي تعالى، وبدلا عن أبي بكر يوم وفاة نبينا قوله صلى عليه وسلم، وإذ كان في نظرهم أحق بالخلافة منه! ومن قوله صلى عليه وسلم: من كنت مولاه فهذا وليّه، م والِ من والاه، وعادِ من عاداه.

ولكن هذا الحديث ليس فيه ما أبعدوا فيه النجعة؛ ولأن الولاية والولاية شيء، وأن الخلافة شيء آخر تماما، وإلا فقد أصبح يمكن لكلٍّ ادعاء هذه الولاية، ومن قوله تعالى ﴿إِن تَتُوبَا إِلَى فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤].

فأصل الولاية منعقد بين المؤمنين، وهي من باب الولاء والبراء. وكما قال تعالى ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ۗ إِنَّ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:٧١].

ومنه فإن استدلال الناس على إمامة عليٍّ ودون أبي بكر رضي تعالى عنهما بعيد، وإلا وكما أسلفنا، فقد أصبح لكل مسلم ومن إمكانه ادعاء هذه الولاية، ومن نص الآية آنفا.

هذا، وهو قول تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

---

(٦٥)صحيح مسلم: ٢٤٠٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهذه الآية ومن المعروف أنها قد تنزلت يوم الثامن من ذي الحجة، وهو كما ترى فيها أن إكمال الدين كان من يومها، وكذا إتمام النعمة، ومنه فلو كان بيان هذا الحديث من أصول الملة لكان قد بينه نبينا محمد صلى عليه وسلم، ومن يوم ذي الحجة أو قبله، وحتى يمكن اعتماد الناس عليه، وإن كان هذا القول أيضا، ولأن إصرارنا على أن المقصود بولاية عليٍّ هي التي من باب الولاء والبراء، وكما أنف، وليس مقصودا منها الإمامة بحال.

هذا، وإن السياق الذي قد جاء فيه هذا الحديث، وكما أنف أيضا، كان من بيانه صلى عليه وسلم؛ وأجل ألا يكون في نفوس المؤمنين بعضهم بعضا شيء، وأن تعالى وإنما فرض هذه الولاية، وبين المؤمنين بعضهم بعضا، وهذا شيء غير ما راح إليه الناس تماما!

وأقول مرة أخرى: فإن النبي صلى عليه وسلم كان قد أراد أن يزيل أثر ما قد حدث بين علي رضي تعالى عنهما، وبين إخوانه المؤمنين، ويوم أن أخذوا عليه تقسيم غنائم أهل اليمن، وكما قد بسطناه في موضعه، وأنه لم يفعل وإلا ما كان طبقا لأحكام توزيع الغنائم، ومن قوله تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنفال:٤١].

وكذا كان صلى عليه وسلم قد أراد أن يزيل لبسا قد حدث بين عليٍّ رضي تعالى عنه وعامله بريدة، ويوم أن وزع كساء على جنده، ممن كانوا تحت إمرته ويوم أن أمره عليٌّ على الناس في اليمن، وحين قد راح يحج مع النبي صلى عليه وسلم، وهذا الذي أنف معالجته أيضا.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومن كل ما أنف، فليس قد كان في ذلك ما يوحي أن هذا النبي صلى عليه وسلم قد أشار لا من قريب ولا من بعيد إلى إمامة عليٍّ رضي تعالى عنه، ومن بعده، وعلى خلاف ما قد جرى من إمامة أبي بكر رضي تعالى عنه.

هذا، وإن هذا النبي صلى عليه وسلم هو نفسه الذي قال: إن لا يجمع أمتي - أو قال: أمة محمد صلى عليه وسلم - على ضلالة ويد مع الجماعة، ومن شذ شذ إلى النار[٦٦].

وها هم قد اجتمعوا على أبي بكر! وما هو قائل، ومن بعد هذا البيان النبوي الكريم؟!

إن اجتماع نواب أمة بأكملها يوم دار السقيفة، وإجماعهم على هذا الصديق أبي بكر، ليرد قول قائل سواه، وإذ إن هذه أمة مرحومة في إجماعها، ومن إجماعها أيضا.

وكذا، وحين سبق القرآن الذكر الحكيم بيان أن هذا الأمة معصومة من الضلالة، ويوم كان إجماعها، وهو الذي قال تعالى عنه: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

هذا، وكما قد بينا آنفا، إن أصول هذا الدين كانت قد بينت، ومن يوم نزول آية المائدة، وحين قال تعالى ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

ولا سيما أن النبي صلى عليه وسلم كان قد قال قوله هذا، وإذ ليس كل الناس من الحجيج قد كانوا معه، فإن منهم من كان من أهل مكة، وغيرها، ولما لم يرجعوا معه إلى المدينة، ومعلوم أن هذا الحديث كان قد قاله النبي صلى عليه وسلم يوم غدير خم، ويوم عودته من حجه الحج الأكبر إلى المدينة، وفي الطريق إليها، وليس معقولا أن يبين أصول الملة لأولاء الأنصار الكرام، والمهاجرين،

([٦٦])صحيح الترمذي، الألباني: ٢١٦٧

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ودون بقية إخوانهم من المسلمين، الذي حجوا معه صلى عليه وسلم، ومن كل صوب وحدب، وإلا فإن هذا مفض إلى كثير مما كانت الأمة عنه في غنى، وكما الذي بين الناس اليوم، وفاعل فعله هذا!

ولكن الذي بين أيدينا من بيان أنه صلى عليه وسلم كان قد حرص على إزالة وما يمكن تسميته من ثمة راسب بين أولاء الذين كانوا في اليمن صحبة عليٍّ، وما قد جرى بينهما، وهذا هو بيت القصيد ههنا، ومنه فلم يلزم حضور بقية الحجيج يومهم هذا؛ ولأن الآخرين منهم لم يحضروا الواقعة، ولما لم يكونوا مقودين بخطاب نبيهم هذا يومه هذا، وكيما يكون العقد مطمئنا أنه لا ثمة حكم شرعي قد فات الذين لم يحضروا، ولم يسمعوا خطابه ذلك.

وهذا مما يبيّن أن الذي جرى يوم الغدير، لم يكن مما أمر بتبليغه، كالذي بلّغه في حجة الوداع، فإن كثيرًا من الذين حجّوا معه -أو أكثرهم- لم يرجعوا معه إلى المدينة، بل رجع أهل مكة إلى مكة، وأهل الطائف إلى الطائف، وأهل اليمن إلى اليمن، وأهل البوادي القريبة من ذاك إلى بواديهم، وإنما رجع معه أهل المدينة ومن كان قريبًا منها.

فلو كان ما ذكره يوم الغدير مما أمر بتبليغه كالذي بلّغه في الحج، لبلّغه في حجة الوداع كما بلّغ غيره، فلما لم يذكر في حجة الوداع إمامة ولا ما يتعلق بالإمامة أصلًا، ولم ينقل أحد بإسناد صحيح ولا ضعيف أنه في حجة الوداع ذكر إمامة عليٍّ، بل ولا ذكر عليًّا في شيء من خطبته، وهو المجمع العام الذي أمر فيه بالتبليغ العام عُلِم أن إمامة عليٍّ لم تكن من الدين الذي أمر بتبليغه[٦٧].

(٦٧)منهاج السنة النبوية، ابن تيمية: ٧/ ٣١٨.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

"وأما حديث الموالاة فليس فيه إن صح إسناده نص على ولاية علي بعده فقد ذكرنا من طرقه في كتاب "الفضائل" ما دل على مقصود النبي صلى عليه وسلم من ذلك وهو أنه لما بعثه إلى اليمن كثرت الشكاة عنه وأظهروا بغضه فأراد النبي صلى عليه وسلم أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه ويحثهم بذلك على محبته وموالاته وترك معاداته فقال: "من كنت وليه فعلي وليه" وفي بعض الروايات "من كنت مولاه فعلي مولاه" والمراد به ولاء الإسلام ومودته وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضاً ولا يعادي بعضهم بعضاً وهو معنى ما ثبت عن علي رضي عنه أنه قال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي صلى عليه وسلم إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق! وفي حديث بريدة "حين شكى علياً فقال النبي صلى عليه وسلم: "أتبغض علياً؟ فقلت: نعم فقال: "لا تبغضه وأحببه وازدد له حباً" قال بريدة: فما كان من الناس أحد أحب إليَّ من عليٍّ بعد قول رسول صلى عليه وسلم"[٦٨].

والغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل أي يتركها[٦٩].

وخُمٌّ: مكان بين مكة والمدينة، مرجعه من حجة الوداع قريب من الجحفة - يقال له غدير خم[٧٠].

([٦٨])الاعتقاد ، البيهقي: ٣٥٤

([٦٩])لسان العرب، ابن منظور: ج ٥ / ٩

([٧٠])لسان العرب، ابن منظور: ٨/٥.

www.sadah.net

الاستشفاء بالماء

وبيان فضل علي

ولكن هذا الماء، ولما أمر به صلى عليه وسلم، وأن يهراق عليه من سبع قرب، لم تحل، وحتى يمكنه أن يقابل الناس يومه هذا؛ ولعله أن يفيق من وعكه؛ وباستعمال الماء، وفي إشارة ضافية أخرى إلى أهمية الماء في التطبب، وتخفيف ألم المرض علاجه، وكذا والبرء منه، وهذا هدي نبوي كريم، في استعمال الماء كمسكن للألم، وكمخفف للوجع. بل مبرئ وشفاء.

وكم تحكي التجربة من هذا كثيرا كثيرا!

ولكن هذا النبي صلى عليه وسلم، كان قد طلب ماء يهراق عليه، ومن سبع قرب! ولنقف أيضا منبهرين! على حكمة أن يكون العدد سبعا! وحسبنا أن نقف مشدوهين أيضا؛ ولما لم نعرفْ!

ولكن غاية إدراكنا أن استعمال الماء بكثرة على المريض، والمحموم منه بدرجة أقوى، ولعله كان كافيا في تخفيف شدة ألم المرض.

وهذا هدي نهتديه، وهذا سنن نقتفيه.

فعن عائشة أم المؤمنين أن رسول صلى عليه وسلم قال: الحمى من فيح جهنم، فأبردوها بالماء[٧١].

---

(٧١)صحيح مسلم: ٢٢١٠

السداد للفكر والثقافة
www.sadah.net

قال القاضي: هذا يرد قول الأطباء، ويصحح حصول البرء باستعمال المحموم الماء، وأنه على ظاهره[٧٢].

ولكنه وثمة أمر كريم وحين حددوا موضع صب الماء على المحموم! وحين أخبرت أسماء بنت أبي بكر رضي تعالى عنها أنه من جيب المحموم! وذلك: أن أسماء بنت أبي بكر رضي عنهما كانت إذا أتيت بالمرأة قد حمت تدعو لها، أخذت الماء، فصبته بينها وبين جيبها، قالت: وكان رسول صلى عليه وسلم يأمرنا أن نبردها بالماء[٧٣].

ولكنه صلى عليه وسلم، كان قد أمر أن يكون الماء من سبع قِرَبٍ، ولم تحل قبلُ، أي: مربوطة أفواهها، وفي إشارة أخرى إلى كونه أبلغ في إزالة الألم، أو تخفيفه بدرجة أكبر، مما لو كان مستعملا من قبل، وفي إلماحة أخرى أن الماء غير السابق استعمالا هو آكد في مفعوله، كمزيل، أو مسكن للألم! بل مبرئ.

ولعل ذلك أيضا؛ ومن طهارته البالغة، وحين كان ماء جديدا، لم يسبق له استعمال من قبل أيضا!

ولكن رواية الإمام البيهقي رحمه تعالى، وأنه صلى عليه وسلم كان طلب منهم السبعة القرب، ومن سبعة أبيار متفرقة!

ولعل هذا أمعن أيضا في الطهارة والاستشفاء، ومن جانب آخر، ولعل اجتماعا لعناصر هذا مع عناصر هذا، فيكون كلا مؤتلفا؛ وليأتي نفعه بإذن .

---

(٧٢)شرح مسلم، النووي: ج ١٤ / ١٩٨
(٧٣)صحيح البخاري: ٥٧٢٤

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا إعجاز نبوي ضاف آخر!

فعن أيوب بن بشير أن رسول قال في مرضه أفيضوا علي من سبع قرب من سبع آبار شتى حتى أخرج فأعهد إلى الناس ففعلوا فخرج فجلس على المنبر فكان أول ما ذكر بعد حمد والثناء عليه ذكر أصحاب أحد فاستغفر لهم ودعا لهم ثم قال يا معشر المهاجرين إنكم أصبحتم تزيدون والأنصار على هيئتها لا تزيد وإنهم عيبتي التي أويت إليها فأكرموا كريمهم وتجاوزوا عن مسيئهم ثم قال عليه السلام أيها الناس إن عبدا من عباد قد خيره بين الدنيا وبين ما عند فاختار ما عند ففهمها أبو بكر رضي عنه من بين الناس فبكى وقال بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا وأموالنا فقال رسول صلى عليه وسلم على رسلك يا أبا بكر انظروا إلى هذه الأبواب الشارعة في المسجد فسدوها إلا ما كان من بيت أبي بكر فإني لا أعلم أحدا عندي أفضل في الصحبة منه[٧٤].

وإلا أنه صلى عليه وسلم كان أوصى بالأنصار خيرا؛ ولعملهم المجيد مع هذا النبي، ومع هذه الدعوة المباركة، ومع صحبه المهاجرين، وفي مواقف خالدة، سوف يفتح أمامها التاريخ ذراعي النصفة والثناء، لعمل هكذا كان جليلا حميدا كريما!

ولكن المدهش أنه صلى عليه وسلم كان قد أوصى المهاجرين بإخوانهم الأنصار خيرا! وها هم أولاء هم الذين حلوا على إخوانهم الأنصار، وإذ وما زالوا من محلتهم!

ولكن هكذا، وهذه نظرة الإسلام إلى الحدود، فيلغيها، وإلى الانجذاب بالأوطان فيمحيها، ولما كان ذلك من شأنه أن يحول الرابطة، ومن كونها لله تعالى، وإذ يمكنها أن تتحول، وإلى ما أسماه الناس بالوطنية، أو الإقليمية، أو ما سواه من مصطلحات ورموز، لا يزال منها الناس يئنون، ومن ربقتها يجهدون!

([٧٤])صحيح البخاري: ٣٩٠٤

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ولما كانت الأرض لله تعالى يورثها من يشاء من عباده، وفي إطلالة إسلامية رشيدة، وللوقوف في وجه محاولات الصد، والمنع، والحجب، والتترس بهكذا حدود! توجب على الناس من تقييد حرياتهم في التنقل ما لله تعالى به عليم!

وكم جر ذلك على الناس من عناء، وكم قد حدث لهم من جرائه من لأواء!

ولكن هذا النبي صلى عليه وسلم كان قد ذكر أبا بكر بخير، وهذا الذي جعل الناس يقولون باستخلافه رضي تعالى، ومن موجب ذلك، ومن سبب غيره أيضا. ومن دون غيره من صحبه الكرام.

ولعل هذه الخطبة، وهي التي كانت بدلا عن كتاب، كان قد أراد صلى عليه وسلم أن يتركه للأمة، وكآخر عهد له صلى عليه وسلم بها. وكما قد قاله يوم خطبة الوداع.

ومن ثم خرج النبي صلى عليه وسلم، فصلى بالناس، وخطب فيهم، وفي إلماحة أخرى، ودلالة عظمى، على كم هو عظم التذكير، وفائدته في شحذ همم الناس، نحو آفاق الهدى، والبر، والتقوى! وحين قال تعالى ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات:٥٥].

ولكن هكذا طلب الماء، والاستشفاء به؛ وبرهانا على أهمية تطلب العلاج، في هذا الدين، ومن أيسره نفعا، ومن أحسنه جدوى، ومن أرخصه ثمنا، ومن أيسره وجودا، ومن أسهله سريعا سريعا!

وفيه فضيلة كل من عائشة أم المؤمنين؛ ولاختياره صلى عليه وسلم التطبب في بيتها.

وكما أن فيه فضيلة كل من العباس عمه، وكذا على بن أبي طالب ابن عمه، رضي تعالى عنهما، وحين كان اختيارهما أن يحملاه صلى عليه وسلم، بل وحين بادراه هما، وهذا عمل جليل، وهذا خلق نبيل، وأن يقوم العبد على خدمة أخيه، وها هو إذ يمر؛ مستأذنا، وعليهن ومنهن كلهن!

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فقد أخرج الإمام البخاري رحمه تعالى: أن عائشة زوج النبي صلى عليه وسلم قالت: لما ثقل رسول صلى عليه وسلم واشتد به وجعه، استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي، فأذن له، فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض، بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر. قال عبيد : فأخبرت عبد بالذي قالت عائشة: فقال لي عبد بن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال: قلت: لا، قال ابن عباس: هو علي بن أبي طالب. وكانت عائشة زوج النبي صلى عليه وسلم تحدث أن رسول صلى عليه وسلم لما دخل بيتي واشتد به وجعه، قال: هريقوا عليَّ من سبع قرب، لم تحلل أوكيتهن؛ لعلي أعهد إلى الناس، فأجلسناه في مخضب لحفصة زوج النبي صلى عليه وسلم، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب، حتى طفق يشير إلينا بيده: أن قد فعلتن. قالت: ثم خرج إلى الناس فصلى بهم وخطبهم[٧٥].

وها هو نبينا صلى عليه وسلم، وقد كانت أهمية السواك في هذا الدين، هديا له صلى عليه وسلم، وإنما تحكي عائشة أم المؤمنين، أنه وحين دخل أخوها عبد الرحمن بن أبي بكر، ومعه سواكه، لتأخذه منه، ومن ثم تجهزه للنبي صلى عليه وسلم؛ لستن به، أي: ليستاك به، وها هو إذ نراه مستندا إلى صدرها ومن بين نحرها وسحرها؛ ومن شدة ما قد ألم به صلى عليه وسلم.

على أنه قد ورد ما يبين أن هذا الاستنان كان بعود من جريد. وهو ما يظهر أيضا جواز الاستنان به، ومما يمكن أن يقاس عليه، ومن الفرشاة، وما سواها أيضا، ومن جامع التطهير والتنظيف.

فعن عائشة أم المؤمنين رضي تعالى عنها: توفي النبي صلى عليه وسلم في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وكانت إحدانا تعوذه بدعاء إذا مرض، فذهبت أعوذه، فرفع رأسه إلى السماء، وقال: في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى، ومر عبد الرحمن بن أبي بكر وفي يده جريدة رطبة،

([٧٥])صحيح البخاري : ٤٢٠١

www.sadah.net

فنظر إليه النبي صلى عليه وسلم، فظننت أن له بها حاجة، فأخذتها، فمضغت رأسها، ونفضتها، فدفعتها إليه، فاستن بها كأحسن ما كان مستنا، ثم ناولنيها، فسقطت يده، أو: سقطت من يده، فجمع بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة[٧٦].

والسحر بفتح المهملة وسكون الحاء المهملة هو الصدر وهو في الأصل الرئة والنحر بفتح النون وسكون المهملة والمراد به موضع النحر وأغرب الداودي فقال هو ما بين الثديين والحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة هو ما بين السحر والنحر والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها صلى عليه وسلم ورضى عنها وهذا لا يغاير حديثها الذي قبل هذا أن رأسه كان على فخذها لأنه محمول على أنها رفعته من فخذها إلى صدرها وهذا الحديث يعارض ما أخرجه الحاكم وابن سعد من طرق أن النبي صلى عليه وسلم مات ورأسه في حجر علي وكل طريقي منها لا يخلو من شيعي فلا يلتفت إليهم وقد رأيت بيان حال الأحاديث التي أشرت إليها دفعا لتوهم التعصب قال ابن سعد ذكر من قال توفي في حجر علي وساق من حديث جابر سأل كعب الأحبار عليا ما كان آخر ما تكلم به صلى عليه وسلم فقال أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال الصلاة الصلاة فقال كعب كذلك آخر عهد الأنبياء وفي سنده الواقدي[٧٧].

ولكن قولها رضي تعالى عنها: وخالط ريقه ريقي، ولعله من ريقها، وحين كانت تقضمه السواك وتمضغه؛ وتجهيزا لهذا السواك بفمها؛ لتسهيل استعماله صلى عليه وسلم، لهذا السواك، ومن ثم خالط ريقها ريقه، ومن أواخر عهده بهذه الدنيا أيضا.

---

(٧٦)صحيح البخاري: ٤٤٥١

(٧٧)فتح الباري، ابن الحجر: ج ٨ / ١٠٦

www.sadah.net

وهذا الذي يدل عليه ظاهر الحديث الكريم، ومن قولها رضي تعالى عنها: وخالط ريقه ريقي، وكما أنف.

وهذا كله، ومن دلالة حبه صلى عليه وسلم لعائشة رضي تعالى عنها، وهذا من القَسْمِ الذي هو معفو عنه، ولطالما كان استأذن أزواجه كلهن.

ولسنا ننسى أنها كانت أشَبَّهُنَّ؛ وهي بالتالي، ولعل ذلك أجدر، وأقوي، وأقدر، وأقوم على تمريضه، من دونهن، وهذا أيضا من رحمته بهن كلهن!

ولكن هذا هو وفاء الزوجية الحانية، الرحيمية، الدفيئة، وحين يقوم كل من الزوجين على رعاية زوجه، وتطبيبه؛ رحمة، ومودة، ووفاء، ومروءة، ودون مَنٍّ، ولا أذى، بل رضا، وقناعة، وسماحة؛ ولأن هذه هي قواعد المروءة، وأصول المودة والرحمة، واللتان هما من شواهد هذا العقد المبرم، ومن بينهما، وحين أسماه تعالى ميثاقا غليظا، ومن قوله تعالى ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [النساء:٢١].

ولكن إعجازا؛ ومن إخبارها أنه صلى عليه وسلم، كان قد مات في اليوم الذي كان من شأنه أن يكون هو دورها عندها، عددا عددا!

فعن عائشة أم المؤمنين: أن رسول صلى عليه وسلم كان يسأل في مرضه الذي مات فيه؛ يقول: أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟ يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور عليَّ فيه، في بيتي، فقبضه وإن رأسه لبين نحري وسحري، وخالط ريقه ريقي، ثم قالت: دخل عبد الرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول صلى عليه وسلم، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبد

السداد للفكر والثقافة
www.sadah.net

الرحمن، فأعطانيه، فقضمته، ثم مضغته، فأعطيته رسول صلى عليه وسلم، فاستن به وهو مستند إلى صدري[٧٨].

إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت

وهذا قول العباس، عم نبينا محمد صلى عليه وسلم، وحين تحادث وعليٌّ بن أبي طالب رضي تعالى عنهما؛ شأن الخبر عن صحة النبي صلى عليه وسلم، وحين أخبر عليٌّ، وأنه بخير، وإلا أن العباس قد كانت له وجهة نظر، وأنه هذا النبي صلى عليه وسلم لسوف يموت من وجعه هذا!

والمدهش هو هذه الخبرة العملية! وهو هذا النظر البعيد لهذا العباس! وحين رأى من وجه النبي صلى عليه وسلم، وحاله، وكما قد عاينه الناس من وجوه آل عبد المطلب، وحين يحتضرون!

وهذه دربة، وخبرة، ومعايشة، ومعاينة، وإذ كان الناس، ولا يزالون، يرون من وجوه الناس، وما هو برهان على قرب وفاتهم.

ولكنه يمكن معرفة بعض من أمارات قرب موت الناس، وعلى اختلاف أماكنهم وأزمنتهم. لما كان ذلكم ليس مقصورا على آل عبد المطلب، أو ما سواهم.

م إن كانت هنالك علامات، ولتخص كل أمة من الأمم، وهذا لا اختلاف عليه، وحين نتفق على ظهور بعض العلامات، والتي منها يمكن الإحساس، والتفرس، وأن هذا العبد قريب موته، أو تلك الأمة أيضا!

والواقع شاهد بذلك كثير كثيرا.

---

(٧٨)صحيح البخاري: ٨٩٠

www.sadah.net

وإذ ليس في ذلك تعد على القدر، وليس فيه قول على القدر أيضا.

وإن هي إلا علامات وأحاسيس، ولربما كان من حكمته تعالى، هو ذلكم العون على التوبة، ومن بعيد بعيد؛ وكيما لا يقنط أحد، أو كيما لا يفتن أحد، وحين يبقى كل ذلك طي القدر الرباني، ومن وقته وزمان حلوله، ومكان مجيئه، وغيره أيضا.

وعلى كل حال، فقد عرف عن العرب باعهم الطويل في مسألة الأحساب، والأنساب، والقيافة، والأثر، والسير، والمسير،

ومنه هذا الذي بين أيدينا، وما نحن بصدده أيضا.

وإلا أنهما، وحين تحادثا شأن هذا الأمر، وهو الذي يعني الاستخلاف، ومن بعد النبي صلى عليه وسلم، وإلا أن تعالى قد صرفهم عن ذلك؛ ولحكمة يعلمها تعالى، ولربما كان ذلك أيضا؛ وكيما لا يفتتن الناس بأمر الرئاسة، ولتبقى وحيث كان أمره تعالى، وتوفيقه، وتدبيره، ومن بعد وفاة الإمام الأعظم، وريثما يتخذ الناس من أسباب بيعتهم، ومن حيث كان اتخاذهم، ولأسباب إمامة صلاتهم!

وإلا أن حمل محادثهم شأن هذه الولاية عظيم أيضا؛ وكيما لا تخلو ساحة الإمارة من وقت؛ ولأن عليها مدار سياسة الدنيا وعمارتها، وصلاح أمر الآخرة ورعايتها.

فعن عبد بن عباس: أن علي بن أبي طالب رضي عنه خرج من عند رسول صلى عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول صلى عليه وسلم؟ فقال: أصبح بحمد بارئا، فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب، فقال له: أنت و بعد ثلاث عبد العصا، وإني و لأرى رسول صلى عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا؛ إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت، اذهب بنا إلى رسول صلى عليه وسلم فلنسأله فيمن هذا الأمر؛ إن كان فينا علمنا ذلك،

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإن كان في غيرنا علمناه، فأوصى بنا، فقال علي: إنا و لئن سألناها رسول صلى عليه وسلم فمنعناها، لا يعطيناها الناس بعده، وإني و لا أسألها رسول صلى عليه وسلم[٧٩].

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

وإلا أنه صلى عليه وسلم، وكما قد أوعك من قبل، وكما أخبر به عن نفسه صلى عليه وسلم، وإلا أنه وكما الآن، وما زال يجد أثر طعام مسموم، ومن بعد أربع سنوات، وكما أنف، وإلا أن كل ذلكم دال على مطلق بشريته صلى عليه وسلم، وكما قال هو عن نفسه: لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم؛ فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد ورسوله[٨٠].

وكما قد أخبر به تعالى عنه أيضا، ومن مثل قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف:١١٠].

وإذ كان ذلك برهان على ما يلزم من هذه البشرية؛ وكيما يمكن لعملية الاتصال أن تتم، ومن سلاسة ويسر، وبلسان واحد، وإذ كان ذلك هو اللسان العربي، ومن ثم يمكن مجابهة الألسنة الأخرى، وبما هو معروف من طرق التواصل بين الأمم.

وإلا أن في ذلك ما يوجب معايشة الناس أحاسيسهم ومشاعرهم، وليكون هذا الرسول منهم، ولما يمكن أن يعايشهم همومهم، وما يختلج من صدورهم، وأمورهم، وإلا كان هنالك انقطاع في عملية التواصل، ولما لم يكن بشرا!

---

(٧٩)صحيح البخاري: ٤٤٤٧
(٨٠)صحيح البخاري: ٣٤٤٥

www.sadah.net

وإلا أنه يظل القول قائما، وأن الذي عالجه هذا النبي صلى عليه وسلم؛ ومن أثر هذه السمية، لما يمكن أن يعد برهانا، وعلى أنه صلى عليه وسلم كان قد مات شهيدا، ولينال فضل النبوة، وليحوز شرف الشهادة معا، ﴿فَضۡلٗا مِّنَ وَنِعۡمَةٗۚ وَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٨].

وقال عبد بن مسعود: لأن أحلف تسعا أن رسول صلى عليه وسلم قتل قتلا أحب إليَّ من أن أحلف واحدة أنه لم يقتل وذلك أن عز وجل جعله نبيا واتخذه شهيدا قال: فذكرت ذلك لإبراهيم فقال: كانوا يرون ويقولون: إن اليهود سموه وأبا بكر رضي عنه[٨١].

فرية الإيصاء لعلي بالخلافة

وأما أنه صلى عليه وسلم أوصى لعلي بن أبي طالب رضي تعالى عنه بالخلافة، وعلى قول الشيعة الإمامية ذلك، فإنه ليس هناك ما يدل عليه، لا تصريحا ولا تلميحا، بل على خلافه. ولأنهم: ذكروا عند عائشة أن عليا رضي عنهما كان وصيا، فقالت: متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري؟! -أو قالت: حجري- فدعا بالطست، فلقد انخنث في حجري، فما شعرت أنه قد مات، فمتى أوصى إليه؟[٨٢]!

واستدلت الشيعة بأحاديث ضعيفة أو موضوعة، وقد أضربت عنها خشية الإطالة، واكتفيت بما أنف من الصحيح، وفيها غنية، والحمد لله.

والصحيح لا يعارض ولا يحاج بضعيف أو موضوع.

---

(٨١)تخريج المسند، أحمد شاكر: ٨٨/٦. خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.
(٨٢)صحيح البخاري: ٢٧٤١

www.sadah.net

على أن الأمر موجز، وعلى أنه مختصر، وإنما كان يكفيه هذا الإيجاز، وإنما كان يغنيه ويثريه هذا الاختصار أيضا، وحينما تسلك النوايا سبيل الحق والقسطاس المستقيم.

وذلك؛ لأن الناس قد اتبعوا ما ليس دليلا لصالح قضيتهم! وجعلوا منه سندا! وهو في الحقيقة سند ضد مسلكهم هذا. ولدى قليل تأمل، لا كثير منه!

وانظر كيف اتخذوا من إرسال النبي صلى عليه وسلم عليا بن أبي طالب لإعلان البراءة من المشركين يوم الحج الأكبر برهانا على الوصية؟! وقد فات الناس أن أمير الحج كان أبو بكر! وهذا عليٌّ كان خير خلف لخير سلف، وإذ كان الأولى أن ينظروا في إمارة الحج، وهي مقام عال إدارة، وإنما كان، وكما سلف هذا الأدب الجم الحسن الرفيع بين الصحابيين: أبي بكر أمير الحج، وعلي بن أبي طالب مؤذن الناس في الحج أن بريء من المشركين ورسوله !

وها هو هذا الذي أنف، ومن قول أبي بكر: أمير أم مأمور؟ ومن رد علي: بل مأمور! وماذا هم الناس قائلون أكثر من قولنا: قلوبا بعضها عند بعضها البعض، لحمة واحدة، وآصرة علت فوق التراب وجواذبه، وسمت على السمو نفسه وعوالمه ونفائسه!

وبه دل على أن الناس وإنما يصيدون في ماء عكر!

وإنما كان من سوء الطوية، وحين كان من شينه هكذا مسلك، هو ذاك الإعراض عن أحاديث جاءتنا من طرق غير طريق علي، ومنه كان إعراض القوم عن الكتب الستة؛ ومن سبب أنها، ومن أغلبها من طريق غير طريق علي! وإذ ليس يعد هذا إنصافا، لا من طريق علمي سديد، ولا من استدلال عقلي رشيد، وإلا أن محصلة مسلكهم هذا هو إنزال الدين كله من القلوب، ومن

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

النفوس، وحين كان يعني ذلك هو التحلل من ربقته، ومن حيث قد تحلل الناس من ربقة أحاديث قد جاءتنا، ومن غير طريق علي رضي تعالى عنه!

إثبات بيعة علي لأبي بكر!

وأما عن بيعة علي لأبي بكر، وإن الناس قد اتخذوا منها شماعة لمأربهم هذا! وإذ ليس فيها ما يعد دليلا على إيصاء أو عدمه بالكلية، بل عكسه تماما؛ وذلك من وجوه:

الوجه الأول: وحين قد كان من بادئ الأمر أخذ ورد من عليٍّ، ومن غيره، في هكذا مسألة، وإفراد عليٍّ بها، وبرهانا على أحقيته، يعوزه دليل فوق هذا! وإلا كان تفلتا من الربقة، وإلا عد تحللا من التبعة! وإلا كان تعديا على أصول البحث العلمي الرشيد، ومنه:

الوجه الثاني: وإذ لم تسدد سهام الناس، إلا وأمام عليٍّ! ووقت أن كان غيره قد رأى غيره! ومن فعل الأنصار، ولما صار الناس، ومن بعد ذلك لحمة واحدة! ومنه:

الوجه الثالث: ولما كان عليٌّ، وعلى ما قالوا لم يبايع أبا بكر إلا بعد وفاة فاطمة رضي تعالى عنها! ولعل هذا أيضا، ومما كان حاصله الكلام من مسألة الإرث، وكما أنف علاجه في حينه، ويكأن عليا، وأن نعم كان قد قال قولا، وإلا أنه لم يسلك سبيلا غير سبيل المؤمنين، في اتباع الرجل أبي بكر، ولم يتخذ حزبا مناوئا، ولم يسلك شعبا مخالفا، وكان به بصيرا، عاقلا، مسددا، وما للقوم هكذا يتكلفون، ومما لم يكلفوه لا شرعا ولا عقلا؟! ومنه:

الوجه الرابع: ولم لانرد رواية مبايعته أبا بكر، وإلا بعد وفاة فاطمة، وأمامنا رواية أخرى، مقتضاها أنه بايع أبا بكر في اليوم الثاني ليوم السقيفة هذا، وما كان قد حدث فيه؟!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عن أبي سعيد قال: لما توفي رسول صلى عليه وسلم قام طباء الأنصار، فجعل منهم من يقول: يا معشر المهاجرين إن رسول صلى عليه وسلم كان إذا استعمل رجلا منكم قرن معه رجلا منا، فنرى أن يلي هذا الأمر رجلان منا ومنكم، قال: وتتابعت خطباء الأنصار على ذلك، فقام زيد بن ثابت فقال: إن رسول صلى عليه وسلم كان من المهاجرين، وإنما يكون الإمام من المهاجرين، ونحن أنصاره، كما كنا أنصار رسول صلى عليه وسلم، فقام أبو بكر فقال: جزاكم خيرا من حي يا معشر الأنصار وثبت قائلكم، أم و لو فعلتم غير ذلك لما صالحناكم، ثم أخذ زيد بيد أبي بكر فقال: هذا صاحبكم فبايعوه، قال: فلما قعد أبو بكر على المنبر نظر في وجوه القوم فلم ير عليا، فسأل عنه، فقام ناس من الأنصار فأتوا به. فقال أبو بكر: ابن عم رسول وختنه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال: لا تثريب يا خلفية رسول صلى عليه) وسلم، فبايعه، ثم لم ير الزبير، فسأل عنه حتى جاؤوا به، فقال: ابن عمة رسول صلى عليه وسلم وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين فقال: لا تثريب يا خليفة رسول ، فبايعه[٨٣]. ومنه:

الوجه الخامس: والغرابة! هو ذاك التركيز على عليٍّ! وقد كان معه الزبير بن العوام! أم أن المقصود هو اللعب على ساق قرابته، أو أن المستهدف هو الضرب على وتر صهارته؟!

عن موسى بن عقبة عن سعد بن إبراهيم قال: حدثني إبراهيم بن عوف أن عبد الرحمن بن عوف كان مع عمر بن الخطاب رضي عنه: و أن محمد بن مسلمة كسر سيف الزبير ثم قام أبو بكر فخطب الناس واعتذر إليهم و قال: و ما كنت حريصا على الإمارة يوما ولا ليلة قط ولا كنت فيها راغبا ولا سألتها عز وجل في سر وعلانية ولكني أشفقت من الفتنة ومالي في الإمارة من راحة ولكن قلدت أمرا عظيما مالي به من طاقة ولا يد إلا بتقوية عز و جل ولوددت أن أقوى الناس عليها

---

(٨٣)تاريخ الإسلام، الذهبي: ج٣ / ١٠

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

مكاني اليوم فقبل المهاجرون منه ما قال وما إعتذر به قال علي رضي عنه والزبير: ما غضبنا إلا لأنا قد أخرنا عن المشاورة وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول صلى عليه و سلم إنه لصاحب الغار وثاني إثنين، وإنا لنعلم بشرفه، وكبره، ولقد أمره رسول صلى عليه وسلم بالصلاة بالناس و هو حي[٨٤]. ومنه:

الوجه السادس: وهذا الذي جعل الإمام العماد الحافظ ابن كثير رحمه تعالى يذهب إلى احتمال بيعة عليٍّ مرتين، وهو ما يزيد الرضاء رضائين اثنين! ومنه:

الوجه السابع: وأما عن عدم حضور علي يوم السقيفة، و كذا الزبير، ولم إذًا الكلام حول عليٍّ دون الزبير؟! ولم لا ننظر لهكذا عمل جليل آخر، كان قد قام به عليٌّ، وهو انشغاله بتجهيز نبي الأمة نبينا محمد صلى عليه وسلم ومن بعد وفاته صلى عليه وسلم؟! وهذا برهان آخر أن الناس كانوا موزعي الأعمال، ولعدم تفويت مصالح الأمة، وحين كانت مصلحتاها يومئذ هما: تجهيز النبي محمد صلى عليه وسلم، وكذا مسألة الخلافة. وانشغال فريق في إحداهما لا ينفي عنه الإقرار بالأخرى، وما قد جرى فيها! وهذا استدلال عقلي محض! ومنه:

الوجه الثامن: إقراره بفضله، وتفرده بذكر شمائله! بل وإذعانه لحق! وقال عليٌّ: ما غضبنا إلا لأنا أخرنا عن المشورة، وإنا نرى أن أبا بكر أحق الناس بها، إنه لصاحب الغار وإنا لنعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول صلى عليه وسلم أن يصلي بالناس وهو حي. إسناد جيد[٨٥]. بعث رسول ﷺ لأربعين سنة فمكث بمكة ثلاث عشرة، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ثم مات وهو ابن ثلاث وستين.

---

(٨٤)المستدرك، الحاكم النيسابوري : ج٣ / ٦٦
(٨٥)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٥ / ٢٧٠

www.sadah.net

على أنه ﷺ كان قد توعك ثلاثة عشر يوما، واشتكى مرضه، وفيه جواز إظهار ما ألم بالعبد، ومن بين أهله؛ وكيما يمرضوه.

فعن محمد بن قيس قال: اشتكى رسول صلى عليه وسلم ثلاثة عشر يوما فكان إذا وجد خفة صلى وإذا ثقل صلى أبو بكر[٨٦].

ويكأنه صلى عليه وسلم ولما كان قد اشتد به وجعه، وكانت منه هذه الحمى، وكما قد سبق بيانه، ومن حينه في هذه السيرة النبوية المباركة. وبيان اشتداد أمرها معه؛ برهان اغتساله بالماء أربع مرات؛ ولأنه: دخلت على عائشة فقلت: ألا تحدثيني عن مرض رسول صلى عليه وسلم؟ قالت: بلى، ثقل النبي صلى عليه وسلم فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك، قال: ضعوا لي ماء في المخضب. قالت: ففعلنا، فاغتسل، فذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال صلى عليه وسلم: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول ، قال: ضعوا لي ماء في المخضب. قالت: فقعد فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: أصلى الناس؟ قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول ، فقال: ضعوا لي ماء في المخضب، فقعد، فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول ، والناس عكوف في المسجد، ينتظرون النبي عليه السلام لصلاة العشاء الآخرة، فأرسل النبي صلى عليه وسلم إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول صلى عليه وسلم يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر - وكان رجلا رقيقا -: يا عمر صل بالناس، فقال له عمر: أنت أحق بذلك، فصلى أبو بكر تلك الأيام، ثم إن النبي صلى عليه وسلم وجد من نفسه خفة، فخرج بين رجلين -أحدهما العباس- لصلاة الظهر وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه النبي صلى عليه وسلم بأن لا

---

(٨٦)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٥ / ٢٧٦

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

يتأخر، قال: أجلساني إلى جنبه، فأجلساه إلى جنب أبي بكر، قال: فجعل أبو بكر يصلي وهو يأتم بصلاة النبي صلى عليه وسلم، والناس بصلاة أبي بكر، والنبي صلى عليه وسلم قاعد، قال عبيد: فدخلت على عبد بن عباس فقلت له: ألا أعرض عليك ما حدثتني عائشة عن مرض النبي صلى عليه وسلم؟ قال: هات، فعرضت عليه حديثها، فما أنكر منه شيئا غير أنه قال: أسمت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ قلت: لا، قال: هو علي بن أبي طالب رضي عنه[٨٧].

وهذه قيمة الصلاة في هذا الدين؛ ولأنه لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

عن المسورِ بنِ المخرمةِ و ابنِ عباسٍ: أنهما دخلا على عمرَ رضيَ عنهُ حين طُعِنَ فقال: الصلاةَ، فقال: إنَّهُ لا حظَّ لأحدٍ في الإسلامِ أضاع الصلاةَ "، فصلى وجُرْحُه يشعبُ دمًا، رضيَ عنهُ[٨٨].

أحدث الناس عهدا برسول ﷺ قثم بن عباس

نجابة عليٍّ

وعلى أن هذا أمر، ولربما ومن وهلته الأولى يورث عجبا! وإذ وما الشأن؟ وما الفائدة من معرفة من كان أحدث الناس عهدا بهذا النبي محمد ﷺ؟ وإلا أن يكون هو هكذا تلك أمة قد خلت! وأن تعرف من وعن رسولها ﷺ منهجه، وإلى آخر لحظة من لحظات حياته ﷺ! إذ وكيما لا يفوت عليهم أمر من هديه، إن أمرا فيأتونه، وإن نهيا فينتهون عنه، وهذه من مناقب هذه الأمة، ونعلنها للناس- كل الناس- وكيما يعرفوا كم كان هذا الجيل حريصا هكذا حرصا، وعلى الاستنان بنبه ﷺ، وحتى بلغ

([٨٧])صحيح البخاري: ٦٨٧

([٨٨])السلسلة الصحيحة، الألباني: ٣٣٠/٥

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

مه الأمر مبلغه، وحين سألوا عن أحدث الناس به عهدا! ولعله يخبرهم بأمر عنه فيأتونه، أو نهي عنه ينزجرون!

وعلى أن هذا الصحابي علي بن أبي طالب نفسه، وقد كان من الفراسة والنجابة! وحين أبلغهم وبعلمه، عما يريدون أن يسألوا عنه! ومن قبل أن يدلوا له بسؤالهم! وإنما أنبأك عن كم كانت هذه الأمة، وعلى قلب رجل واحد!

فعن عبدِ بنِ الحارثِ بنِ نَوفَلٍ قال: خرَجْتُ مع عمِّي عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضِيَ عنه مُعتمِرًا في زمنِ عُثمانَ رضِيَ عنه، فلمَّا قدِمَ مكَّةَ نزَلَ على أُمِّ هانئٍ بنتِ أبي طالبٍ، فلمَّا فرَغَ من طَوافِهِ وحلَقَ رأسَهُ دخَلَ عليه رهْطٌ من أهلِ العراقِ، فقالوا: إنَّ المُغيرةَ بنَ شُعبةَ يُحدِّثُ أنَّه آخِرُ النَّاسِ عَهدًا برسولِ صلَّى عليه وسلَّمَ، فقال: كذَبَ، آخِرُ النَّاسِ عَهدًا برسولِ صلَّى عليه وسلَّمَ قُثَمُ بنُ عبَّاسٍ[٨٩].

ولعل هذا كان منهجا لهم وسبيلا، وأنت خبير بحديث حذيفة ابن اليمان رضي تعالى عنه، وحين قال: كانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسولَ صَلَّى عليه وسلَّمَ عَنِ الخَيْرِ، وكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلتُ: يا رَسولَ ، إنَّا كُنَّا في جَاهِلِيَّةٍ وشَرٍّ، فَجَاءَنَا بهذا الخَيْرِ، فَهلْ بَعْدَ هذا الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ، قُلتُ: وهلْ بَعْدَ ذلكَ الشَّرِّ مِن خَيْرٍ؟ قالَ: نَعَمْ، وفيهِ دَخَنٌ، قُلتُ: وما دَخَنُهُ؟ قالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بغيرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ منهمْ وتُنْكِرُ، قُلتُ: فَهلْ بَعْدَ ذلكَ الخَيْرِ مِن شَرٍّ؟ قالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ إلى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَن أَجَابَهُمْ إلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا، قُلتُ: يا رَسولَ ، صِفْهُمْ لَنَا؟ فَقالَ: هُمْ مِن جِلْدَتِنَا، ويَتَكَلَّمُونَ بأَلْسِنَتِنَا، قُلتُ: فَما تَأْمُرُنِي إنْ أَدْرَكَنِي ذلكَ؟ قالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وإمَامَهُمْ، قُلتُ:

([٨٩])تخريج مشكل الآثار، شعيب الأرناؤوط: ٢٨٤٠. خلاصة حكم المحدث: إسناده قوي.

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فإنْ لَمْ يَكُنْ لهمْ جَمَاعَةٌ ولَا إمَامٌ؟ قالَ: فَاعْتَزِلْ تِلكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، ولو أَنْ تَعَضَّ بأَصْلِ شَجَرَةٍ، حتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وأَنْتَ علَى ذلكَ[٩٠].

بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب!

هذه قاعدة قضائية نبوية محكمة! وحين كانت المعاينة ليست كالمخابرة، وحين ينظر القضاء، وغيره من المتصدرين للشهادة، وأن يكون هذا هو أمرهم، إذ ليس يأخذ الناس، وبما قد تنوقل إليهم، ولعله ليس على وجهه، وإنما لشبهة مقارفة لقولهم، كانت هي أداتهم من نقلهم قولهم، أو الفعل عن الآخرين، وهو ما يوقع الناس في حرج شديد؛ جراء عدم التثبت والتبين والتيقن أيضا.

وهذا الذي حدث ويوم أن تناقل الناس أن غلاما يدخل على مارية، وكما أنف! وحين كان قد وصل الأمر إلى هذا النبي محمد صلى عليه وسلم، وليرسل عليا بن أبي طالب رضي تعالى عنه؛ ليقتله، وحين يجده عندها حقا، وعلى ما قد تسامع هذا النبي محمد صلى عليه وسلم. وهذه بلا شك أمور تخفى، وإذ يخبر هذا الذكي الفطن العبقري علي رضي تعالى عنه بالحق، وكما كان عنه معروفا قاضيا حصيفا، وملهما أسيفا، وحين يسائل النبي محمدا صلى عليه وسلم، وعما إذا كان أمرا ينفذه، وباعتباره وحيا، وعلى حد علمهم عن هذا النبي صلى عليه وسلم، أم هو الرأي والمشاهدة؟!

وعلى ما أنف غير مرة، وحين كان هذا النبي محمد صلى عليه وسلم لا مستأثرا برأي.

وهذا يوم خرصهم نخيلهم، وقوله صلى عليه وسلم يومها: أنتم أعلم بأمور دنياكم.

---

(٩٠)صحيح البخاري: ٣٦٠٦

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومن حديث أنس بن مالك: أن النبي صلى عليه وسلم مر بقوم يلقحون، فقال: لو لم تفعلوا لصلح قال: فخرج شيصا، فمر بهم فقال: ما لنخلكم؟ قالوا: قلت كذا وكذا، قال: أنتم أعلم بأمر دنياكم[٩١].

وهذا الذي حدث يوم هذا الغلام، وحين قال علي بن أبي طالب: قلت: يا رسول ، إذا بعثتني أكون كالسكة المحماة، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ قال: الشاهد يرى ما لا يرى الغائب[٩٢].

وفيه طاعة الراعي، وفي غير ما معصية لله تعالى، وبرهان قول علي رضي تعالى عنه: يا رسول ، إذا بعثتني أكون كالسكة المحماة. فإن هذا من باب الكنايات عن التنفيذ المهور بالرضا والقبول والسمع والطاعة. وحين ليس يجد العبد من ذات نفسه وإلا وكما قال تعالى ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١].

وكذا وحين كان هذا برهانا على صدق الإيمان ويقين العبودية وصحيح الإسلام، ومن قوله تعالى أيضا ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]. ولأنه صلى عليه وسلم قال: لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به[٩٣].

وكما أن فيه قبول الراعي لرأي رعيته، وكما كان يوما قولهم: أم هو الرأي والحرب والمكيدة وحين كان رده ص على هذا الحباب بن المنذر يوم بدر العظمي: بل هو الرأي والحرب والمكيدة.

---

(٩١)صحيح مسلم: ٢٣٦٣
(٩٢)تخريج مشكل الآثار، شعيب الأرناؤوط: ٤٩٥٣. خلاصة حكم المحدث: إسناده حسن.
(٩٣)معارج القبول، الحكمي: ٢/٤٢٢

www.sadah.net

فعن أسماء بنت أبي بكر: مكثنا ثلاث ليال ما ندري أين وجه رسول صلى عليه وسلم حتى أقبل رجل من أسفل مكة يتغنى بأبيات من الشعر: جزى رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد هما نزلا بالبر ثم تروحا . .! فأفلح من أمسى رفيق محمد لهن بني كعب مكان فتاتهم ومقعدها للمؤمنين بمرصد.! قالت أسماء: فلما سمعنا قوله عرفنا حيث توجه رسول صلى عليه وسلم، وأن وجهه إلى المدينة[٩٤]!

وبه كانت أمتنا وسطا، خير أمة أخرجت للناس، قوامها العدل والقسطاس المستقيم، وسبيلها إقامة سوق الميزان وإلى هذا العدل والنصفة مائلا، وإلى حيث امتدت جذوره عميقة راجحا! وحين كان من ربها لها الثناء، والوصف، والنعت، والوسم، والتاج، والوسام، ومن قوله تعالى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [آل عمران:١١٠].

وعلى أنه، وكما أنف، فإن هذه أمة كانت وقافة! وعند قول نبيها؛ طاعة واحتسابا. ولذا فقد كتب تعالى لها السؤدد والرفعة، وحين كانت وعلى ما أكرمها ربها تعالى، وبنزع حظ نفوسها من نفوسها! وحتى استعلت بالحق والهدى والقسطاس المستقيم. وبرهانه قول علي هذا: يا رسول ، إذا بعثتني أكون كالسكة المحماة، أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟

وعلى أن قوله صلى عليه وسلم هذا، وإنما كان نابعا من شأن خطورة الأعراض، أو النيل منها، أو الخوض فيها، وإنما أرد صلى عليه وسلم أن يئد الفتنة، ومن مهدها أيضا. وكما أن فيها غيرة الرجل على أهل بيته.

([٩٤])تاريخ الطبري، الطبري: ج٢ / ١٠٥

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وعلى أنه ليس هناك من مأخذ، على نص الحديث، وحين أمر النبي محمد صلى عليه وسلم عليا أن يقتله! ولأنه قد وردت أدلة أخرى، يبين منها أنه يعمل في الجاني القتل، وكما لو كان من أمره دخوله منزل غيره، وبدون إذنه!

وهذه طريقة للجمع بين حديثنا هذا، وبين حديث: لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا وأني رسول ، إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والثيب الزاني، والمارق من الدين التارك للجماعة[٩٥].

ويكأنه، ومن مثله حالات الدفاع عن النفس، وحين جاء رجل إلى رسول صلى عليه وسلم، فقال: يا رسول ، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: فلا تعطه مالك قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: قاتله قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: فأنت شهيد، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: هو في النار[٩٦].

ومنه الحديث: من قاتل دون ماله، فقتل فهو شهيد، ومن قاتل دون دمه، فهو شهيد، ومن قاتل دون أهله، فهو شهيد[٩٧].

وقلت: وضروراتنا الخمس أصل في هذا الباب.

وفيه مسؤولية راعي الأسرة، وعن تحصينها، والذود عنها، والأخذ بأسباب طهارتها ونزاهتها.

وكما أن فيه الاحتراز، وجواز أن يرد على البيت المسلم ما منه يكون الحرج، فكان منه دفع مظانه، ومن محلها أيضا.

---

(٩٥)صحيح البخاري: ٦٨٧٨

(٩٦)صحيح مسلم: ١٤٠

(٩٧)صحيح النسائي، الألباني: ٤١٠٥

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وكما أن فيه جواز أن يقع في بيت النبوة ما يمكن أن يقع في أي بيت آخر. ومنه حديث النبي محمد صلى عليه وسلم لعائشة يوم الإفك: إن كنت بريئة فسيبرئك ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري وتوبي إليه، قلت: إني و لا أجد مثلا، إلا أبا يوسف {فصبر جميل و المستعان على ما تصفون}، وأنزل : {إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم} العشر الآيات[٩٨].

وليس في هذا إلا مطلق العدل والنصفة، وحين نقول هذا! وإذ ليس أحد معصوما من البشر، وعلى خلاف في مسألة النبوة، وحسب!

وأما تخريج الناس إرادته تعالى ذهاب الرجس عن أهل البيت، ويطهرهم تطهيرا، وإنما كان مقصودا منه، هذا الأمر الكوني القدري، لا الشرعي؛ وبرهان ما أنف من حديثه صلى عليه وسلم يوم الإفك.

وقال تعالى ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب:٣٣].

وأما آية الطهارة فليس فيها إخبار بطهارة أهل البيت وذهاب الرجس عنهم، وإنما فيها الأمر لهم بما يوجب طهارتهم وذهاب الرجس عنهم، فإن قوله: * (إنما يريد ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) * وقوله تعالى: * (ما يريد ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم) * وقوله: * (يريد ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم و عليم حكيم * و يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما * يريد أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا) فالإرادة هنا متضمنة للأمر والمحبة والرضا، وليست هي المشيئة المستلزمة لوقوع المراد، فإنه لو كان كذلك لكان قد طهر كل من أراد طهارته. وهذا على قول هؤلاء القدرية الشيعة أوجه، فإن عندهم أن يريد ما لا يكون! ويكون ما لا يريد!.

---

(٩٨)صحيح البخاري: ٤٦٩٠

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

فقوله: (إنما يريد ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) إذا كان هذا بفعل المأمور وترك المحظور كان ذلك متعلقا بإرادتهم وأفعالهم، فإن فعلوا ما أمروا به طهروا وإلا فلا.

فرية الإيصاء لعلي بالخلافة

وأما أنه صلى عليه وسلم أوصى لعلي بن أبي طالب رضي تعالى عنه بالخلافة، وعلى قول الشيعة الإمامية ذلك، فإنه ليس هناك ما يدل عليه، لا تصريحا ولا تلميحا، بل على خلافه. ولأنهم: ذكروا عند عائشة أن عليا رضي عنهما كان وصيا، فقالت: متى أوصى إليه وقد كنت مسندته إلى صدري؟! -أو قالت: حجري- فدعا بالطست، فلقد انخنث في حجري، فما شعرت أنه قد مات، فمتى أوصى إليه؟[٩٩]!

هذا، واستدلت الشيعة بأحاديث ضعيفة أو موضوعة، وقد أضربت عنها خشية الإطالة، واكتفيت بما أنف من الصحيح، وفيهة غنية، والحمد لله.

والصحيح لا يعارض، ولا يحاج بضعيف أو موضوع.

على أن الأمر موجز، وعلى أنه مختصر، وإنما كان يكفيه هذا الإيجاز، وإنما كان يغنيه ويثريه هذا الاختصار أيضا، وحينما تسلك النوايا سبيل الحق والقسطاس المستقيم.

وذلك؛ لأن الناس قد اتبعوا ما ليس دليلا لصالح قضيتهم! وجعلوا منه سندا! وهو في الحقيقة سند ضد مسلكهم هذا. ولدى قليل تأمل، لا كثير منه!

([٩٩])صحيح البخاري: ٢٧٤١

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وانظر كيف اتخذوا من إرسال النبي صلى عليه وسلم عليا بن أبي طالب لإعلان البراءة من المشركين يوم الحج الأكبر برهانا على الوصية؟! وقد فات الناس أن أمير الحج كان أبو بكر! وهذا عليٌّ كان خير خلف لخير سلف، وإذ كان الأولى أن ينظروا في إمارة الحج، وهي مقام عال إدارة، وإنما كان، وكما سلف هذا الأدب الجم الحسن الرفيع بين الصحابيين: أبي بكر أمير الحج، وعلي بن أبي طالب مؤذن الناس في الحج أن بريء من المشركين ورسوله !

وها هو هذا الذي أنف، ومن قول أبي بكر: أمير أم مأمور؟ ومن رد علي: بل مأمور! وماذا هم الناس قائلون أكثر من قولنا: قلوبا بعضها عند بعضها البعض، لحمة واحدة، وآصرة علت فوق التراب وجواذبه، وسمت على السمو نفسه وعوالمه ونفائسه!

وبه دل على أن الناس وإنما يصيدون في ماء عكر!

وإنما كان من سوء الطوية، وحين كان من شينه هكذا مسلك، هو ذاك الإعراض عن أحاديث جاءتنا من طرق غير طريق علي، ومنه كان إعراض القوم عن الكتب الستة؛ ومن سبب أنها، ومن أغلبها من طريق غير طريق علي! وإذ ليس يعد هذا إنصافا، لا من طريق علمي سديد، ولا من استدلال عقلي رشيد، وإلا أن محصلة مسلكهم هذا هو إنزال الدين كله من القلوب، ومن النفوس، وحين كان يعني ذلك هو التحلل من ربقته، ومن حيث قد تحلل الناس من ربقة أحاديث قد جاءتنا، ومن غير طريق علي رضي تعالى عنه!

م إني أحبهما، فأحبهما

وعلى أن هذا دعاؤه صلى عليه وسلم، وأن يحب تعالى أسامة، وكما أحبه نبيه محمد صلى عليه وسلم! وهذا نبي يدعو، وهذا رب كريم يجيب، وإن كان أسامة أهلا للحبين معا: محبة تعالى له

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أولا، ومن ثم محبة رسوله محمد صلى عليه وسلم له ثانيا، وليصير هذا الحب هكذا مركبا مضاعفا، وليصبح هذا الحب دلالة ولاء، وشارة رعاية، وبرهان كرامة، وموجب سؤدد، وسبب شرف، وإذ تستشرف النفوس -كل النفوس- جانبه، كله، وأجمعه، وكمن سمو أسامة، وكمن علو أسامة بن زيد هذا أيضا!

وعلى أن هذا كان شأن أسامة بن زيد، وحين كان من مساواة محبة بينه وبين الحسن، سبط نبينا محمد صلى عليه وسلم! وحين روى أسامة بن زيد هذا نفسه، وعن نبينا محمد صلى عليه وسلم: أنه كان يأخذه والحسن ويقول: م إني أحبهما فأحبهما. أو كما قال[100].

بل إنه صلى عليه وسلم كان قد أفرده ببعض مزية، كانت له، وحين قال قوله هذا: من أحب ورسوله فليحب أسامة بن زيد.

وهذا رجل كان قد تربى على مائدة النبي محمد صلى عليه وسلم! وكيف لا يحبه النبي صلى عليه وسلم! وشاب كان قد تضلع الهدى، ومن هذا النبي صلى عليه وسلم مباشرة، وكيف ليس يكون هكذا شأنه، وإلا وكأنه الخلق الرشيد، والرأي السديد، وحين يجعل حب أسامة بن زيد هذا، ومن محبة تعالى ورسوله محمد صلى عليه وسلم، وهو القول الذي لم يرنا من مثله، وعن غيره، ومن أصحابه البررة الغر الميامين، أولياء، أحباء، كرماء، أتقياء، أنقياء أوفياء، نصحاء، رفقاء، وإلا كبضعة أصابع معدودة! ومن مثل ما أنف توا عن الحسن!

وهذا حبه لعلي رضي تعالى عنه: فعن سهل بن سعد الساعدي أن رسول صلى عليه وسلم قال يوم خيبر: لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح على يديه، يحب ورسوله، ويحبه ورسوله، قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم: أيهم يعطاها؟ فلما أصبح الناس غدوا على رسول صلى عليه وسلم

---

(100)صحيح البخاري: ٣٧٤٧

السداد للفكر والثقافة
www.sadah.net

كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: أين علي بن أبي طالب؟ فقيل: هو -يا رسول - يشتكي عينيه، قال: فأرسلوا إليه. فأتي به فبصق رسول صلى عليه وسلم في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول ، أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا؟ فقال: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق فيه؛ فو لأن يهدي بك رجلا واحدا، خير لك من أن يكون لك حمر النعم[١٠١].

وهذا حبه صلى عليه وسلم لأبي بكر رضي تعالى عنه: فعن عبد بن مسعود: لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكنه أخي وصاحبي، وقد اتخذ عز وجل صاحبكم خليلا[١٠٢].

وهذا حبه صلى عليه وسلم للفاروق عمر بن الخطاب رضي تعالى عنه: فعن عمرو بن العاص: أن النبي صلى عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعد رجالا[١٠٣].

وهذا حبه صلى عليه وسلم لعائشة أم المؤمنين رضي تعالى عنها: وفيه حديث الإمام البخاري رحمه تعالى آنفا.

وهذا حبه صلى عليه وسلم لعثمان رضي تعالى عنه: فعن عائشة أم المؤمنين: يا عثمان إنه لعل يقمصك قميصا، فإن أرادوك على خلعه فلا تخلعه لهم[١٠٤].

وهذا حبه صلى عليه وسلم لخديجة أم المؤمنين رضي تعالى عنها: فعن عائشة أم المؤمنين: ما غرت على نساء النبي صلى عليه وسلم، إلا على خديجة وإني لم أدركها. قالت: وكان رسول صلى

([١٠١])صحيح البخاري: ٤٢١٠
([١٠٢])صحيح مسلم: ٢٣٨٣
([١٠٣])صحيح البخاري: ٣٦٦٢
([١٠٤])صحيح الترمذي، الألباني: ٣٧٠٥

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عليه وسلم إذا ذبح الشاة، فيقول: أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة قالت: فأغضبته يوما، فقلت: خديجة، فقال: رسول صلى عليه وسلم إني قد رزقت حبها. وفي رواية: بهذا الإسناد نحو حديث أبي أسامة إلى قصة الشاة ولم يذكر الزيادة بعدها[١٠٥].

وفيه أن المحبة أمر كسبي.

وتكفر باللات والعزى

هذا قول النبي محمد صلى عليه وسلم يوم إسلام علي؛ ولأن الفتنة كانت يومها عارمة شأن هذه الآلهة المدعاة.

وإنما تكون هنالك آلهة أخرى كل زمان وكل مكان أيضا.

ومنه حسن التنبه لذلك.

وهذا قوله صلى عليه وآله وسلم لعلي يوم إسلامه: وتكفر باللات والعزى وتبرأ من الأنداد ففعل علي، وأسلم ومكث علي يأتيه على خوف من أبي طالب وكتم علي إسلامه ولم يظهر به وأسلم زيد بن حارثه فمكثا قريبا من شهر يختلف علي إلى رسول صلى عليه وسلم وكان مما أنعم به على علي أنه كان في حجر رسول صلى عليه وسلم قبل الإسلام[١٠٦].

---

(١٠٥)صحيح مسلم: ٢٤٣٥

(١٠٦)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٣ / ٣٤

www.sadah.net

تشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد. من لوازم الشهادتين كفر بالأنداد والشركاء والنظراء.

وقوله: دين الذي اصطفى لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى وحده والى عبادته وكفر باللات والعزى: تفصيل بعد إجمال، ولأنه بين ذلك الدين، وأنه عبادة وحده، وكفر باللات والعزى، وهذا هو فصل الإسلام الأول.

أسلم علي وهو ابن عشر سنين. وفيه اعتبار إسلام الصبي، ولمَّا لم يبلغ بعد؛ إشاعة للهدى، وتكثيرا لأهله، وتربية لنشئه على التوحيد منذ نعومة أظفارهم.

وإذ قال أبو طالب لعلي: أسلمتَ؟ قال: نعم. قال: وازر ابن عمك وانصره. وهذه مروءة رجل.

بعث النبي ﷺ يوم الاثنين، وولد فيه أيضا! وهذه حكمة ربانية، فإنه يوم ترفع فيه الأعمال، فكانت له فضيلة، لذا؛ فقد ولد وبعث فيه ﷺ. فعن أبي هريرة: تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم[١٠٧].

ولذا حينما جاء الإسلام بطهارته كان من أوائل مرسوماته وتعاليمه تطهير هذه المجتمعات مما حسبته نظاما لها ودينا وطهارة، فعن أبي هريرة: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى: ألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان. ثم أردف رسول صلى عليه وسلم بعلي بن أبي طالب، وأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة، وألا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان[١٠٨].

---

(١٠٧)البدر المنير، ابن الملقن: ٧٥٥/٥، خلاصة حكم المحدث: صحيح.
(١٠٨)صحيح البخاري: ٤٦٥٥

www.sadah.net

دعابة النبي صلى عليه وسلم أبا الحسن

اجلس أبا تراب

وقد كفى أنه كان من أوائل من أسلم وبقطع النظر عن أولية ذلك من عدمه، وإلا أنه يذكر له فضل سبقه هذا ولأنه كان في حجر هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفصال الثاني

فضل علي وولايته

وقد تقلد راية يوم بدر ومن حداثة سنه!

وتأيد ومن ذلكم أيضا ما نزل من قوله تعالى﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾ [الحج: ١٩].

وعَنْ عَلِيّ بنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ عنه، أنَّه قَالَ: أنَا أوَّلُ مَن يَجْثُو بيْنَ يَدَيِ الرَّحْمَنِ لِلْخُصُومَةِ يَومَ القِيَامَةِ وقَالَ قَيْسُ بنُ عُبَادٍ: وفيهم أُنْزِلَتْ: {هذانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا في رَبِّهِمْ} [الحج: ١٩] قَالَ: هُمُ الَّذِينَ تَبَارَزُوا يومَ بَدْرٍ: حَمْزَةُ، وعَلِيٌّ، وعُبَيْدَةُ، أوْ أبو عُبَيْدَةَ بنُ الحَارِثِ، وشيبَةُ بنُ رَبِيعَةَ، وعُتْبَةُ بنُ رَبِيعَةَ، والوَلِيدُ بنُ عُتْبَةَ[١٠٩].

وهذا وجه آخر للخصومة والحجاج: تَحاجَّتِ النَّارُ، والْجَنَّةُ، فَقالتِ النَّارُ: أُوثِرْتُ بالمُتَكَبِّرِينَ، والْمُتَجَبِّرِينَ، وقالتِ الجَنَّةُ: فَما لي لا يَدْخُلُنِي إلَّا ضُعَفاءُ النَّاسِ، وسَقَطُهُمْ، وعَجَزُهُمْ. فقالَ لِلْجَنَّةِ: أنْتِ رَحْمَتي أرْحَمُ بكِ مَن أشاءُ مِن عِبادِي، وقالَ لِلنَّارِ: أنْتِ عَذابِي أُعَذِّبُ بكِ مَن أشاءُ مِن عِبادِي، ولِكُلِّ واحِدَةٍ مِنكُم مِلْؤُها، فأمَّا النَّارُ فلا تَمْتَلِئُ، فَيَضَعُ قَدَمَهُ عليها، فَتَقُولُ: قَطْ قَطْ فَهُنالِكَ تَمْتَلِئُ ويُزْوَى بَعْضُها إلى بَعْضٍ. وفي رواية : احْتَجَّتِ الجَنَّةُ والنَّارُ[١١٠].

---

(١٠٩)صحيح البخاري: ٣٩٦٥
(١١٠)مسلم: ٢٨٤٦

www.sadah.net

ولعلنا لسنا ننسى هذا الدأب النبوي الكريم وحين تقليد عليا راية الجهاد ذروة سنام الإسلام. ولأنه تربية مائدة هذا النبي، ومنه فقد كان أصلح، من وجهي عملة واحدة، وحين كان وجهها الأول هي هذه الأمانة، ولمن يؤتمن، ولمثل هذا الشرف أكثر من تربية بيت النبوة.

وحين كان وجهه الآخر هو هذا شرف نيل الشهادة، وإن كتب فقد كان به أولى أيضا!

ولعلنا لسنا ننسى أيضا بل نتذكر عمره يوم بدر، ولما كان عمره يومه هذا عشرين سنة!

وهذا ينضاف إلى حقيقة تربية هذا الجيل، وهو إذ في ريعان الشباب، وهو إذ مقدام إلى، وعلى ساحات الفداء والشهادة!

ولعل هذا الذي يقف بنا على سؤدد هذا الشاب علي، ويوم خيبر، وحين أعلن النبي محمد صلى عليه وآله وسلم محبته لربه تعالى. وحين قال هذا النبي محمد صلى عليه وسلم: لَأُعْطِيَنَّ هذِه الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ علَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ ورَسولَه، ويُحِبُّهُ ورَسولُهُ.

فعن سهل بن سعد الساعدي: أنَّ رَسولَ صلَّى عليه وسلَّمَ قالَ يَومَ خَيْبَرَ: لَأُعْطِيَنَّ هذِه الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يَفْتَحُ علَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ ورَسولَه، ويُحِبُّهُ ورَسولُهُ، قالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ: أيُّهُمْ يُعْطَاهَا؟ فَلَمَّا أصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا علَى رَسولِ صلَّى عليه وسلَّمَ كُلُّهُمْ يَرْجُو أنْ يُعْطَاهَا، فَقالَ: أيْنَ عَلِيُّ بنُ أبِي طَالِبٍ؟ فقِيلَ: هو -يا رَسولَ- يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قالَ: فأرْسَلُوا إلَيْهِ. فَأُتِيَ به فَبَصَقَ رَسولُ صلَّى عليه وسلَّمَ في عَيْنَيْهِ ودَعَا له، فَبَرَأَ حتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ به وجَعٌ، فأعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقالَ عَلِيٌّ: يا رَسولَ ، أُقَاتِلُهُمْ حتَّى يَكونُوا مِثْلَنَا؟ فَقالَ: انْفُذْ علَى رِسْلِكَ حتَّى تَنْزِلَ بسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلى

السداد للفكر والثقافة
www.sadah.net

الإسْلَامِ، وأَخْبِرْهُمْ بما يَجِبُ عليهم مِن حَقِّ فِيهِ؛ فَوَ لَأَنْ يَهْدِيَ بكَ رَجُلًا واحِدًا، خَيْرٌ لكَ مِن أنْ يَكونَ لكَ حُمْرُ النَّعَمِ[١١١].

وهذا أصل عام ومن قوله تعالى عن صحابة نبينا محمد صلى عليه وسلم أجمعين ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وهذا الذي حدث بل أشد منه عظمة ويوم شب عبد بن عمر على قدميه ليطول ساقه وليقبله النبي يوم أحد! وحين رده النبي صلى عليه وسلم؛ ولأنه كان ابن أربع عشرة سنة، ولما بلغ خمس عشرة سنة يوم الخندق أجازه.

وكم دل على فضله وحين: قيلَ لعليٍّ ولأبي بَكْرٍ يومَ بدرٍ: معَ أحدِكُما جِبريلُ، ومعَ الآخرِ ميكائيلُ وإسرافيلُ ملَكٌ عظيمٌ يشهَدُ القتالَ أو قالَ: يشهَدُ الصَّفَّ[١١٢].

إن مجرد اختلاف الناس حول أولية إسلامه، أو أولية صلاته، وإنه ليجتمع كل ذلك حول فضل له سبق، وتجاه ثناء عليه وجب.

ومن ذلك حضوره المشاهد مع هذا النبي محمد صلى عليه وسلم.

ومنه هو ذلكم فضله ويوم خيبر وحين احتمل الباب وحده وليرقى عليه إخوانه الفاتحون! ولما كان بابا هذا شأنه وإذ لتنوء به عصبة الأربعين رجلا!

([١١١])صحيح البخاري: ٤٢١٠

([١١٢])تخريج المسند لشاكر، أحمد شاكر: ٣٠٨/٢، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وكم له من فضل وحين قال له النبي محمد صلى عليه وآله وسلم: أَنْتَ مِنِّي وأنا مِنْكَ، وقالَ لِجَعْفَرٍ: أَشْبَهْتَ خَلْقِي وخُلُقِي، وقالَ لِزَيْدٍ: أَنْتَ أَخُونا ومَوْلانا، وقالَ عَلِيٌّ: أَلَا تَتَزَوَّجُ بِنْتَ حَمْزَةَ؟ قالَ: إنَّها ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضاعَةِ[113].

وهذا استخلافه صلى عليه وسلم لعلي بن أبي طالب على المدينة يوم غزوة تبوك!

وهذا استشكاله رضي تعالى عنه، وحين قال: تُخلِّفُني في النِّساءِ والصِّبيانِ؟

وهذه منزلته وحين رد عليه النبي محمد صلى عليه وسلم ومن قوله هذا: أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِن مُوسَى؟[114].

وأما حكايته تشبيهه بهارون أخي موسى ولأنه نبي موسى عليه السلام كان قد اخلف أخاه هارون على قومه ويوم راح لميقات ربه تعالى له وهو قوله تعالى ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

وحين قد بعثه واليا حاكما على أهل اليمن وها هو قد تقلد العلم، ومما أهله أن يكون به أميرا على بلد آخر، ومن غير حضور النبي محمد صلى عليه وآله وسلم معه.

ومنه اطمئنان الراعي على من ولاه أمر المسلمين، ومن بعد أن اطمأن على علمه وفقهه ودينه وتقواه وورعه أيضا.

---

(١١٣)صحيح البخاري: ٤٢٥١

(١١٤)صحيح البخاري: ٣٧٠٦

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ولما كان من فضله هو هذا الذي كان منه حضور حجة الوداع مع هذا النبي محمد صلى عليه وسلم وينحر معه هديه وهديهما معا.

زهده عن الإمامة

وهذا ورعه عن الإمامة وهذا تعففه عن الولاية ومن رد على أولاء الذي حادوا ومالوا عن سواء السبيل وحين ادعوا فرية الإيصاء لعلي بالخلافة، ومن بعد لحوق نبينا محمد صلى عليه وآله وسلم إلى الرفيق الأعلى.

فعن عبد بن عباس: أنَّ عَلِيَّ بنَ أبِي طَالِبٍ رَضِيَ عنْه خَرَجَ مِن عِندِ رَسولِ صلَّى عليه وسلَّمَ في وجَعِهِ الذي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يا أبَا حَسَنٍ، كيفَ أصْبَحَ رَسولُ صلَّى عليه وسلَّمَ؟ فَقَالَ: أصْبَحَ بحَمْدِ بَارِئًا، فأخَذَ بيَدِهِ عَبَّاسُ بنُ عبدِ المُطَّلِبِ، فَقَالَ له: أنْتَ و بَعْدَ ثَلَاثٍ عبدُ العَصَا، وإنِّي و لَأَرَى رَسولَ صلَّى عليه وسلَّمَ سَوْفَ يُتَوَفَّى مِن وجَعِهِ هذا؛ إنِّي لَأَعْرِفُ وُجُوهَ بَنِي عبدِ المُطَّلِبِ عِنْدَ المَوْتِ، اذْهَبْ بنَا إلى رَسولِ صلَّى عليه وسلَّمَ فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَن هذا الأمْرُ؛ إنْ كانَ فِينَا عَلِمْنَا ذلكَ، وإنْ كانَ في غيرِنَا عَلِمْنَاهُ، فأوْصَى بنَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: إنَّا و لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسولَ صلَّى عليه وسلَّمَ فَمَنَعَنَاهَا، لا يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ، وإنِّي و لا أسْأَلُهَا رَسولَ صلَّى عليه وسلَّمَ[١١٥].

وقد وقفنا عند هذه المسألة وفصلناها تفصيلا في موسوعة (السيرة النبوية أحداث ودلالات).

هذا وقد وقفنا أيضا على كيف أنه رضي عنه وممن سابق إلى بيعة أبي بكر الصديق يوم السقيفة وعالجناه أيضا في بابه.

([١١٥])صحيح البخاري: ٤٤٤٧

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

بيعته

هذا، وهذه وصية أمير المؤمنين عمر الفاروق أن يجعل الخلافة في الستة الباقين من العشرة؛ وبه دل على فضل علي رضي تعالى عنه.

ولكن الناس! ولم يموجون هكذا؟! وإذ ليس يوجد نص واحد يسير معهم سيرهم، ولو وجها، أو احتمالا في ظنهم هذا؟!

وإذ يسجل لهذا الإمام الورع الزاهد إباءه الإمامة، وإلا من حرص الصحب الكرام البررة وأن يولوه، ونزولا على رغبتهم أطاعهم فيما إليه دعوه وندبوه.

ولعل ذكر بعض المصادر أن نفرا من الصحب الكرام لم يبايع عليا بن أبي طالب؛ وإلا من خشية، وإلا من ابتعاد بهم عن مظان فتنة، كانت قد حدثت، مع كل من الأميرين الخليفتين السابقين عمر وعثمان.

ولا سيما أنه ذكر أن المدينة كانت قد بقيت، ودون أمير خمسة أيام؛ ففعل فيهم هذا فعلهم هذا.

ولكنه يذكر لهذا الإمام تأبيه عنها، ونفرته منها، ولا سيما أنه واقف على قول هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم: إنَّا وَ لا نُوَلِّي علَى هذا العَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عليه.

فعن أبي موسى الأشعري: دَخَلْتُ علَى النبيِّ صَلَّى عليه وَسَلَّمَ أَنَا وَرَجُلَانِ مِن بَنِي عَمِّي، فَقالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: يا رَسولَ ، أَمِّرْنَا علَى بَعْضِ ما وَلَّاكَ عَزَّ وَجَلَّ، وَقالَ الآخَرُ مِثْلَ ذلكَ، فَقالَ: إنَّا وَ لا نُوَلِّي علَى هذا العَمَلِ أَحَدًا سَأَلَهُ، وَلَا أَحَدًا حَرَصَ عليه[١١٦].

---

(١١٦)صحيح مسلم: ١٧٣٣

www.sadah.net

بوادر الفتنة!

وإذ نحن أمام أول عهد الخليفة علي، وها هم بعض من الصحب الكرام أخذوا ينادونه أن يأخذ بثأر عثمان بن عفان!

وإننا، وإذ لا ننكر حق الدم، وإنما نقف مع علي، وحين اعتذر؛ ولأن الوقت غير ملائم!

وإذ لا زال قتلة عثمان، ومن قوتهم، وإن الأخذ بالثأر منهم، ولعله ليس يكون عملا صالحا؛ ولأنه ولربما تجددت الفتنة مرة أخرى، وأطلت ولو من ثقب! بل من ثقوب؛ ولأن قتلة عثمان، وإذ لا زالوا ومن قوتهم! ولأنه لم تمر فترة نفهم منها أن الناس قد ضعفوا أو استكانوا؛ ولأنه ولئن كان يمكن لعثمان أن يدفعهم، ولربما كان قد دفعهم !

وهذا عمل الموازنة بين درء المفاسد المحتملة وترجيحها، وجلب المصالح المحتملة وتكميلها أيضا.

وهذا من أعمال الأمير.

توفيق رباني لعمل علي الإداري

ولكن عليا رضي تعالى عنه أبقى أمراء وإدارة عثمان التي كان قد عهد بها إلى من ولاه أمر المسلمين وكل في إمارته.

وهذا عمل إداري ممتاز؛ ولأنه ليس من حكمة، أن يحدث انقلاب في عمل الدولاب الإداري؛ فتهتز مصالح الرعية، وتنفلت ركائز الدولة الإدارية.

وهذه رسالة إلى كل أمير، وأن يصبر، وحين يقدم على تغيير جذري، في العمل الإداري، وأول ما يولى! ولأنه هذا عوار إداري، ومسلك لا فني!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عمل الشورى

وحين ذكر التاريخ أن المغيرة بن شعبة أراد من الخليفة الجديد أن يبقي على هرمه الإداري قائما .

ثم إنه أتى في اليوم التالي وأشار بنقيض قوله أول مرة! وأن يعزل الناس ليختبر من أطاعه ممن عصاه!

وحين عرض الإمام علي الأمر على ابن عباس، وأخذ ابن عباس يراجعه المغيرة، وحين اعترف بغشه، ومن خلال مداولة نصت عليها بعض المصادر، وحين قال: ودخل عليه المغيرة بن شعبة على إثر ذلك فقال له: إني أرى أن تقر عمالك على البلاد، فإذا أتتك طاعتهم استبدلت بعد ذلك بمن شئت وتركت من شئت، ثم جاءه من الغد فقال له: إني أرى أن تعزلهم لتعلم من يطيعك ممن يعصيك، فعرض ذلك علي على ابن عباس فقال: لقد نصحك بالأمس، وغشك اليوم، فبلغ ذلك المغيرة، فقال: نعم نصحته، فلما لم يقبل غششته[١١٧].

وفي النفس شيء من هذا!

ولأن تاريخ المغيرة بن شعبة حافل بالإخلاص والعطاء والجود وحسن الأخلاق. وهو صاحب تحطيم الآلهة الربة اللات!

وإنه وإن صارت أخبار هنا وهنالك وإلا أن ابن عباس قد كان أصرح في مشورته لعلي، أن يبقي الدولاب الإداري، الذي كان قد أنظمه عثمان ذو النورين، كما هو؛ وربما تستتب له الأمور، ولاسيما أنه قد ورث تركة فيها من القلاقل، ما قد علمنا، ومن قتل ذي النورين، وعلى يد أصحاب النبي محمد صلى عليه وآله وسلم، وإن ذلك وقع تأولا، وإلا أنه تتبقى بقيته!

([١١٧])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٢٥٥

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وبخاصة إبقاء معاوية على الشام؛ ولأنه يمكن أن يثير مسألة القصاص، من قتلة عثمان بن عفان رضي تعالى عن الجميع.

حزم قائد

ولكن الخليفة الجديد وحين يتخذ الشورى له منهجا مجيدا، وعقدا فريدا، وسننا تليدا، وإلا أنه وحين كانت الشورى ليست بملزمة للقائد، وإنما استئناسا لقراره، واستنادا على إمهار السماء له أمره، وتقلده قراره، ومن هديها السماء له.

ومنه فقد اتخذ قراره، بعزل معاوية، وتولية ابن عباس بدلا عنه على الشام!

ولعل الخليفة الجديد، وإنما أراد تجديد الدماء، وهو عمل إداري ممتاز أيضا!

ولعله أراد أن يبسط سلطته وقيادته، وحين أمكن تناقل أخبار عن عزل معاوية، ومن عدمه، ولربما أدى هذا إلى إثارة أعتى! ولربما أفضت إلى تمرد، فأراد الرجل أن يقض مضاجعه أول مرة!

لست كمن ذهب واستعجل وسابق الأحداث! أن الإمام علي قد جارى الخوارج؛ ويوم أن خالف مشورة حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس، فيما أنف نصحه له!

إننا وقد حسن بنا أن نقف أمام تقدير قادتنا، وإحسان الظن بهم؛ ولأنهم يعملون بنور ربهم، وما كان للنبي محمد صلى عليه وسلم أن يبشرهم العشرة بالجنان، وإلا من سبقهم، وإن ورد الخطأ على أمثالهم، ومن منظور أنهم بشر!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الروم تصيد في الماء العكر!

ولكنه كان من تقديره تعالى أن يختبر الإمام عليا بن أبي طالب، ومن أول أيام خلافته؛ بانتهاز فرصة أوحاها الشيطان إلى الروم، وأن هنالك ما أشبه فراغا لدى القوم المسلمين، ويمكن العمل فيهم، والإجهاز عليهم؛ ومن سببه!

وحين خرج قسطنطين بن هرقل قاصدا بلاد المسلمين في ألف مركب؛ يغزو بلادنا.

وإلا أن تعالى أرسل عليه ريحا لم تروها وكان عزيزا حكيما!

ولأنه، وإذا كانت قد حدثت مثل هذه الأحداث، وإنما يعيدها ربنا تعالى كل مرة؛ ونصرا لعبيده، ودينه وصراطه المستقيم.

وهذا الذي كان منه يوم الأحزاب، وحين ظنت الأحزاب يومها ذاك، أن تعالى سيذر المؤمنين!

وهذا الذي حكاه قرآننا يوم الأحزاب، ومن قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب: ٩].

وهذا الذي حكاه الفرقان أيضا، ولكل مرة! ومن قوله تعالى ﴿ مَّا كَانَ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

وحين ألقت عليهم الريح بسمومها، فأخذتهم أخذة حامية، أودت بجميعهم، إلا القليل؛ ليتحاكاها التاريخ جيلا ومن بعد جيل آخر، وكما نحن الآن أيضا نحكيها، ونرويها؛ لترونا!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ويزداد أمرهم حيرة وتطل فتنتهم عليهم جاثمة! ومن صوب وحدب، وإذ لم تكتف السماء بهزيمة جندهم وإنما ألبتهم على ملكهم، حتى أردوه قتلا؛ ولأنه كان من نظرهم أنه أودى بجنودهم!

وهذا الذي منه يفاد أيضا أهمية دراسة القائد للوقائع؛ وكيما لا يترك جنده فريسة لغيرهم؛ ومن حمقه!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الباب الثاني

أحداث السنة السادسة والثلاثين

بوادر الفتنة الثانية

أولا: معاوية يرد أميرَ أميرِ المؤمنين!

وحين رأينا كيف كانت مشورة الإمام الحبر الترجمان عبد بن عباس على أمير المؤمنين أن يوليه على الشام.

وكان منه أنه رضي تعالى عين سهل بن حنيف على الشام وإلا أن معاوية رده فرجع سهل إلى المدينة!

ثانيا: اختلاف أهل مصر على قيس بن سعد!

وحين رضيه جماهير أهل مصر وإلا نفرا ! ولأنهم رأوا واجبا على أمير المؤمنين الجديد أن يبدأ ولايته بالقصاص من قتلة أمير المؤمنين ذي النورين عثمان بن عفان.

ونفس الأمر حدث من أهل البصرة والكوفة وغيرهم.

وهذا الذي كان منه عزم الخليفة الجديد أن يقلد جيشا إلى الشام وليقول كلمته، بنصب راية بيعته، وحلول مدى هيبته.

وإلا أنه ومن قرار إداري كان قد استخلف على المدينة قثم بن العباس قائما مقامه.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإلا أنه وحين قام الخليفة الجديد بنفسه قائدا لجيشه فدل على أن الأمر جد!

ولأن هيبة الدولة، ومن الأمور العظام، التي يقوم لها القائد بنفسه، ولم يدعها لغيره، أو ينيب عنه لها سواه.

أزواج النبي في مكة!

ولكن ازواج نبينا محمد صلى عليه وسلم وحين قد علمن بوادر فتنة آتية فاخترن الذهاب إلى مكة لينأين بأنفسهن عن ذلكم خضم!

وتبعهن في ذلك نفر غير قليل وكان منهم عبد بن عمر وحين أبى أن يخرج مع الخليفة الجديد إلى الشام؛ ومعتذرا أنه واحد من الذين لم يخرجوا، فكان ومن مثلهم أيضا.

ورأى الناس ورأت عائشة ام المؤمنين أن يخرجوا إلى المطالبة بدم عثمان!

ولعله قد غاب أن الخليفة الجديد وإنما برئ من قتلة عثمان ولكن وقتهم لم يحن بعد وريثما توطد الدولة أمورها، وتعزز من قوتها، انتظار لفرصة سانحة؛ ولأنه، وكما قلنا، ولا زالت عصبة قتلة عثمان حاضرة وبقوة!

وكان من الحكمة التي ارتآها الخليفة الجديد هي الصبر ومما أنف.

مبررات الخروج

وكان من جملة أسباب رأوها أن يخرجوا؛ ولسبب قتلة عثمان، وأنه قتلته، وجب الإجهاز عليهم، ولأنهم:

١- لم يراعوا حرمة البلد الحرام يثرب.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

٢- لم يراعوا حرمة الشهر الحرام.

٣- قتلوا أميرهم.

٤- سفكوا الدماء.

٥- أخذوا الأموال.

واتفقوا على الذهاب إلى البصرة بدءا بها! وبمن بقي فيها من قتلة عثمان!

ولكن بعض أزواج النبي كن على رأي الذهاب إلى المدينة لمطالبة علي؛ ولأنه مركز السلطة، والقرار بيده، وحتى لا يفهم أنهم يريدون الخروج عليه هو نفسه، وبقدر ما قد انعقد عليه أمرهم، ومن المطالبة بالقصاص، وحسبهم ذلك.

ونحسب أن القوم كانوا قد جعلوا قرارهم، ومن خلال أم المؤمنين عائشة؛ تقوية لمسعاهم هذا!

وحين خرج الجيش بألف فارس إلى البصرة! وكيما لا يفهم أيضا أنهم أرادوا إفهام الخليفة الجديد، رغبتهم في مواجهته شخصيا، وبقدر ما كانت وجهتهم، هي حثه على النهوض، وللقصاص من قتلة عثمان.

ويكأنه ومن فعلهم هذا يقولون له: نحن يدك عليهم! ولم التأخير؟! وها نحن نقوي من عضدك! ونشد من أزرك!

يوم النحيب

وإلا أن أمهات المؤمنين لم يدعن أختهم عائش تخرج وحدها؛ ومن إصرارها، وحين خرجن معها؛ يودعنها، ولعل تعالى يحدث بعد ذلك أمرا!

ومنه كان اشتداد نحيب القوم؛ للفراق، والذي كان منه تسمية يومهم هذا (يوم النحيب)! ومن شدته، ومن وقعته على نفوس القوم أجمعهم!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

علم نبوة ضاف!

وليست تكاد تفارقنا أعلام نبوة هذا النبي محمد صلى عليه وسلم! يوم وجوده بيننا يوم اختاره ربه ومولاه الحق المبين أن يلحق بالرفيق الأعلى!

وإذ كانت هذه الصورة ماثلة بين يدي عائشة ام المؤمنين ولما وصلوا إلى ماء حوأب!

وماء حوأب هذا فيه خبر عن هذا البني وحين مرت عائشة ام المؤمنين ولعمت منهم ومن بعد سؤالها انه ماء حوأب ردت قائلة: إنا لله وإنا إليه راجعون ما أظنني إلا راجعة، ردوني!

وحين استعجب القوم سألوها، ولم؟! فأخبرت: أنَّ رسولَ صلَّى عليه وسلَّمَ قال لنسائِه: أَيَّتُكُنَّ صاحبةُ الجَملِ الأدْبَبِ، تَخرُجُ فتَنبَحُها كلابُ الحُوَّبِ، يُقتَلُ عن يَمينِها وشِمالِها قَتْلى كثيرٌ، ثُم تَنْجو بعدما قد كادَتْ[١١٨].

لم خرجت عائشة أم المؤمنين؟

ذكرت آنفا أنها خرجت، ولعل الخليفة الجديد أبا الحسن، يمكن أن تصله رسالة رغبة القوم، على القصاص، من قتلة عثمان، وتعضد هذا الجانب؛ شأن أنهم لم يتجاسروا على المدينة؛ احتراما لهيبة الدولة، ولخليفتها الجديد، أبي الحسن!

وفاتهم ما لزم قوله، وأنه ليس هكذا تورد الإبل؛ ومما سقناه سلفا أيضا.

وكان منه، هو هذا الذي أشار به بعضهم، أن في خروجها رضي تعالى عنها، ما منه يمكن أن يكون سببا في حقن دماء الفرقاء الأصحاب!

---

(١١٨)تخريج مشكل الآثار، شعيب الأرناؤوط: ٥٦١١، خلاصة حكم المحدث: صحيح لغيره.

السداد للفكر والثقافة
www.sadah.net

وهـذا الـذي منـه يتأيـد قولنـا هـذا، ومـن تلاوتهـا مـن كتـاب ربنـا تعـالى وربهـا: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ١١٤].

وحين أصرت أن ترجع، وحين رأت، وتذكرت، حديث هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم، ولما كان منه أيضا: عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: " لَمَّا بَلَغَتْ عَائِشَةُ بَعْضَ مِيَاهِ بَنِي عَامِرٍ لَيْلًا نَبَحَتِ الْكِلَابُ عَلَيْهَا، فَقَالَتْ: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قَالُوا: مَاءُ الْحَوْأَبِ، فَوَقَفَتْ فَقَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً، فَقَالَ لَهَا طَلْحَةُ، وَالزُّبَيْرُ: مَهْلًا رَحِمَكِ ، بَلْ تَقْدَمِينَ، فَيَرَاكِ الْمُسْلِمُونَ، فَيُصْلِحُ ذَاتَ بَيْنِهِمْ، قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي إِلَّا رَاجِعَةً، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَنَا ذَاتَ يَوْمٍ: (كَيْفَ بِإِحْدَاكُنَّ تَنْبَحُ عَلَيْهَا كِلَابُ الْحَوْأَبِ) "[١١٩].

علم نبوة ضاف

إن هذا الذي حدث، ومن هكذا أعلام نبوته صلى عليه وسلم. وحين أنبأنا هذا النبي عنه! وقبل حدوثه! كان قدرا مقدورا!

ولكن النفس لتقف مطأطأة، وأمام هكذا أعلام نبوة نبينا محمد صلى عليه وآله وسلم!

وبكأن الناس؛ ومن جبرهم، وإذ كان لزاما حصوله، وكما قد حدث!

ورضي تعالى عن أم المؤمنين؛ ولعلمها هذا عن هذا النبي صلى عليه وآله وسلم أيضا.

ويبين منه كم كانت رجاعة عند مسألتي الأمر والنهي!

---

[١١٩]السلسلة الصحيحة، الألباني: (٤٧٤).

ويبين منه هو هكذا عزمها على الرجوع والعودة!

وهذا هو حس المسلم إذا ذكر؛ ومن نسيان.

وصدق تعالى ربنا، وحين أثنى على عباد له، كان من وصفهم، هو هذا الذي قاله ربنا تعالى ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [سورة الأعراف:٢٠١].

ولكنه، ومن نفس وجهه الآخر، لموجب شيئا من تحسر؛ على حال، هو هكذا حال أمة، ولما كانت من أول عهدها، وأن يحدث عندها، ومن مثل هذا الذي حدث!

وعلى كل حال فإن هذا الذي حدث، ومن اقتتال بين الأصحاب، وإذ لا زالوا أصحابا! وإنما يأخذ منه العبيد العبرة، ومن عضهم بالنواجذ، على درء الخلاف وأسبابه.

ولعل ام المؤمنين عائشة رضي تعالى وحين كان اجتهادها هذا، ومن حملها عليه، ما قد رأينا من قول الزبير لها، ومن حضها الناس على الصلح لا القتال!

وحين وقع الذي وقع، ويكأنه ولو كانت قد رجعت، لكان خيرا لها وللأمة ومما حدث!

وإلا أنه ومما يسري أن هذا الذي حدث، وحين كان علما على النبوة، فنقف إذاً عنده، منبهرين، مندهشين، ومذعنين، وقافين أيضا.

ما اسم الموقعة؟!

ويكأني أتحفظ على تسمية وقعة كهذه التي حدثت، بما سجله التاريخ، أنها موقعة الجمل! وسياج السمت حول أم المؤمنين، وتحفظا على نسبة ما منه يقشعر بدن إليها!!!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الأميرينتصب بنفسه

وإلا أن أبا الحسن، ولما كان إماما مبايعا، ولما قد خرج عليه قوم، ولا سيما وممن بايعوا! ومنه كان له اتخاذ ما يلزم؛ للحفاظ على السلم الاجتماعي، وألا ينفرط لهذه العصبة المؤمنة من عقد، ولما كان هو المحاسب الأول أمام ربه تعالى، يوم يقوم الناس لرب العالمين.

وعليه وكما أنف ولى تماما بن عباس على المدينة، وعلى مكة أخاه قثما بن عباس، في قرارا إداري، لافت، كان للإسلام سبقه فيه، ومن هكذا إعمال الإنابة والتفويض والتوكيل؛ وليقوم الموظف العام، بما قد أوكل إليه الإمام الأعظم من مهام.

وحين كان اتجاهه أول مرة إلى الشام، وحيث هنالك معاوية بن أبي سفيان، والذي كانت الشرارة من الشام أول مرة! وأول عهد أبي الحسن ورضي تعالى عن الجميع.

وإلا أنه ارتأى التوجه إلى الشام؛ ومن بعد علمه توجه الناس إلى هناك! وليقض مضاجع فتنة قد اشرأب لها الناس!

الناس ينصحون أبا الحسن

رأى الصحابي الكريم البار عبد بن سلام، أن الجمع الذين كان قد خرج إليهم أبو الحسن أمير المؤمنين، قد كان جمعا غفيرا، ومقابلة سبعمائة كانوا قد خرجوا معه!

ومنه كان نصحه لأمير المؤمنين أن يرجع إلى المدينة أدراجه؛ ولأن فتنة أعظم، يمكن أن يتطاير شررها!

www.sadah.net

وكان قد هذا المرأى من لدن ولده الحسن أيضا، وأن والده، وإن خرج، وإنما يعني ذلك، أنه يقدم نفسه للهلاك بذات نفسه!

ولا سيما أنه قد خرج إلى ضيعة لا ناصر له فيها!

أهمية الأنصار: وعلى كل حال وإنه ليفاد من ذلك أن كثرة الأنصار عنوان!

مداولات بين أبي الحسن والحسن

وهذه شفقة ولد على والده.

وكما انها عزم وال على ما استرعاه مولاه.

رأي الحسن

ومنه كانت مشورة الحسن غير مرة لوالده:

المرة الأولى: يوم عزم الناس على قتل عثمان. وقد أشار على والده أبي الحسن، أن يخرج من المدينة، وألا يقتل عثمان، وهو بها، فيلام على عدم مناصرته، أو أن توجه إليه سهام هو الآخر.

المرة الثانية: كان له ألا يقبل البيعة، وإلا وحين أرسل إليه القوم، من جميع الأمصار بيعتهم، وقد كان يمكن ألا يقوموا قومتهم هذا ضده!

المرة الثالثة: ألا يخرج، وحين قد خرجت أم المؤمنين والصاحبين عبد بن الزبير و...

السداد للفكر والثقافة
www.sadalu.net

رد أبي الحسن

وأما عن المرة الأولى: فقد حوصر وكما قد حوصر عثمان!

وأما عن المرة الثانية: فقد قبلها وألا يضيع الناس، وحين إصرار الناس على مبايعته، ورغما عنه، وكما قد أنف!

وأما عن المرة الثالثة: فقد قام بما يلزم؛ حفاظا على هيبة الدولة، وألا يقعد في بيته فينفرط عقدها، وهو إذ يتفرج!

خطبة التعبئة والقيام على حكم

وعليه أخذ باستنصار ما أمكنه ذلك ومن كمثل محمد بن أبي بكر ومحمد بن جعفر بن أبي طالب.

ثم قام في الناس خطيبا ومعبئا وقائما على حكم ربه ومولاه الحق المبين.

في رسالة إلى الأمراء وأن احكموا بما أنزل تعالى تَسعَدوا وتُسعِدوا، وتَهنأوا وتُهنِؤا. وحين قال: إن أعزنا بالإسلام ورفعنا به، وجعلنا به إخوانا، بعد ذلة وقلة وتباغض وتباعد، فجرى الناس على ذلك ما شاء ، الإسلام دينهم، والحق قائم بينهم، والكتاب إمامهم، حتى أصيب هذا الرجل بأيدي هؤلاء القوم الذين نزغهم الشيطان لينزغ بين هذه الأمة، ألا وإن هذه الأمة لا بد مفترقة كما افترقت الأمم قبلها، فنعوذ ب من شر ما هو كائن.

ثم عاد ثانية فقال: إنه لا بد مما هو كائن أن يكون، ألا وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، شرها فرقة تحبني ولا تعمل بعملي، وقد أدركتم ورأيتم فالزموا دينكم، واهتدوا بهديي فإنه

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

هدى نبيكم، واتبعوا سنته وأعرضوا عما أشكل عليكم حتى تعرضوه الكتاب، فما عرفه القرآن فالزموه، وما أنكره فردوه، وارضوا ب ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد نبيا، وبالقرآن حكما وإماما[120].

هل خرج أبو الحسن للقتال ابتداءً؟

إن أمير المؤمنين عليا بن أبي طالب كان قد خرج حفظا للسلم الاجتماعي وقياما على ما تأمن به الأمة على نسيجها الأمني أيضا.

ومن ثم فإنه ليس يمكننا أن نذهب إلى ما راح إلى قوم وأنه قد خرج للقتال ابتداء!

ولأنه قد جرت بينه وبين نفر من أصحابه الكرام البررة الأخيار ما يشي بقيامنا، على هذا النتيجة، ومن مقدماتها البليجة!

قال: فلما عزم على المسير من الربذة قام إليه ابن أبي رفاعة بن رافع فقال: يا أمير المؤمنين، أي شيء تريد؟ وأين تذهب بنا؟

فقال: أما الذي نريد وننوي، فالإصلاح إن قبلوا منا وأجابوا إليه.

قال: فإن لم يجيبوا إليه؟.

قال: ندعهم بغدرهم ونعطيهم الحق ونصبر.

قال: فإن لم يرضوا؟.

قال: ندعهم ما تركونا.

---

(120)تاريخ الطبري، الطبري: ج٣ / ٤٩٤

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

قال: فإن لم يتركونا؟.

قال: امتنعنا منهم.

قال: فنعم إذا.

فقام إليه الحجاج بن غزية الأنصاري.

فقال: لأرضينك بالفعل كما أرضيتني بالقول، و لينصرني كما سمانا أنصارا[١٢١].

ودلنا على رغبة أمير المؤمنين في الصلح، لا القتال، عرض وساطة أبي موسى الأشعري؛ للإصلاح؛ ومن اقتراح تقدم به عامر بن مطر الشيباني، وأنه إذا كانت وجهة أمير المؤمنين صلحا، فلها هو أبو موسى الأشعري، وإن كانت الأخرى فليس لها أبو موسى الأشعري!

ولكن أمير المؤمنين يعلنها صراحة، ومن قوله هذا: و ما أريد إلا الصلح ممن تمرد علينا.

وكان منه أبو الحسن قبول وساطة أبي موسى، ومن بعد أن تأكد له أيضا، هو هذا الذي يمكن أن تتنشأ عنه فتنة، يصبح الحليم منها حيران!

(١٢١)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٢٦٢

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

١

بلاغة أبي موسى الأشعري أنموذج

خطب أبو موسى الأشعري الناس فقال: أيها الناس، إن أصحاب محمد ﷺ الذين صحبوه أعلم ب ورسوله ممن لم يصحبه، وإن لكم علينا حقا وأنا مؤد إليكم نصيحة، كان الرأي أن لا تستخفا بسلطان وأن لا تجترئوا على أمره.

وهذه فتنة النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان خير من القاعد، والقاعد خير من القائم، والقائم خير من الراكب، والراكب خير من الساعي، فاغمدوا السيوف وانصلوا الأسنة، واقطعوا الأوتار، وأووا المضطهد والمظلوم حتى يلتئم هذا الأمر، وتنجلي هذه الفتنة[١٢٢].

وهذا الذي قال به أبو موسى هو هذا قول النبي محمد صلى عليه وآله وسلم: سَتَكُونُ فِتَنٌ القاعِدُ فيها خَيْرٌ مِنَ القائِمِ، والقائِمُ فيها خَيْرٌ مِنَ الماشِي، والماشِي فيها خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، ومَن يُشْرِفْ لها تَسْتَشْرِفْهُ، ومَن وجَدَ مَلْجَأً أوْ مَعاذًا فَلْيَعُذْ بهِ[١٢٣].

وحين احتدم بقوم ما احتدم! نال أبو موسى ومن صبره صبرا آخر! وحين قال أيضا: أيها الناس أطيعوني، وكونوا خير قوم من خير أمم العرب، يأوي إليهم المظلوم، ويأمن فيهم الخائف، وإن الفتنة إذا أقبلت شبهت، وإذ أدبرت تبينت، ثم أمر الناس بكف أيديهم، ولزوم بيوتهم[١٢٤].

---

(١٢٢)الكامل في التاريخ، ابن الأثير: ج٣ / ٢٢٧

(١٢٣)صحيح البخاري: ٣٦٠١

السلام للفكر والثقافة
www.sadah.net

﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴾ [القصص: ٣٤].

وهذا الذي كان منه نصرة القعقاع بن عمرو للمسلمين أجمعين، ومن ثم، وحين كان نصرا مؤازرا لأخيه أبي موسى الأشعري، وحين كان منه موقف الذي أنف.

وهذا الذي يتأيد به الحق، وحين كانت هنالك عصبة مؤمنة، كانت على الحق أعوانا.

ولأن تألف الناس دين.

﴿ وَفَضَّلَ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٥]

هذه أمة كانت تنطق بالحق وبه يعدلون.

ولسنا ننسى وكما لم ينس التاريخ وحين سجل هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم منقبة أبي الحس وأنه أقضاهم!

وهذا استدلاله رضي عنه، وحين جاءه قوم من طيء ولما كان قصد بعضهم سلاما عليه وآخرون يريدون الخروج معه. وإلا أنه كان هذا رده؛ ولأن الناس يومهم هذا، وإنما كانوا وعلى علم بمجريات الأمور، أو أنه أراد أن يوقفهم على حقيقة الموقف، وأنه إذا استدعى استدعاءهم، لاستدعاهم إلى عونه ومؤازرته.

([١٢٤])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٢٦٤

السداد للفكر والثقافة
www.sadalu.net

اسكت مقبوحا منبوحا

هذا قول عمار بن ياسر وحين سمع أحدهم يسب أم المؤمنين عائشة.

وهذه غيرة قوم على الحق.

ولأنه، وإن خرجت، وإلا أنه يصان جانبها، وعرضها، ولها قيمتها، وكل يؤخذ منه ويرد، إلا صاحب هذا القبر، هو هذا النبي محمد صلى عليه وسلم.

فعن أبي مريم الأسدي: لَمَّا سَارَ طَلْحَةُ والزُّبَيْرُ وعَائِشَةُ إلى البَصْرَةِ، بَعَثَ عَلِيٌّ عَمَّارَ بنَ يَاسِرٍ وحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ، فَقَدِما عَلَيْنَا الكُوفَةَ، فَصَعِدَا المِنْبَرَ، فَكانَ الحَسَنُ بنُ عَلِيٍّ فَوْقَ المِنْبَرِ في أعْلَاهُ، وقَامَ عَمَّارٌ أسْفَلَ مِنَ الحَسَنِ، فَاجْتَمَعْنَا إلَيْهِ، فَسَمِعْتُ عَمَّارًا يقولُ: إنَّ عَائِشَةَ قدْ سَارَتْ إلى البَصْرَةِ، ووَ إنَّهَا لَزَوْجَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى عليه وسلَّمَ في الدُّنْيَا والآخِرَةِ، ولَكِنَّ تَبَارَكَ وتَعَالَى ابْتَلَاكُمْ؛ لِيَعْلَمَ إيَّاهُ تُطِيعُونَ أمْ هي[١٢٥].

وهذا الذي منه كان أخذ الناس على عائشة يومها هذا .

وإن أخذهم هذا ليس ينقصها حقها ومن كونها أم المؤمنين ومن كونها وكما كانت زوجة هذا النبي محمد صلى عليه وسلم في الدنيا وإنها لكذلكم في الجنة أيضا! و﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤].

ولكن هذا ابتلاء سيق إلى الناس ليعلم تعالى من أطاع نبيه، في الابتعاد عن الفتنة، ومن عصاها في مسعاها هذا أيضا.

([١٢٥])صحيح البخاري: ٧١٠٠

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إن أبوا داويناهم بالرفق حتى يبدأونا بالظلم

هذا قول الحكمة، وهذا فيض النقبة!

ولما كان أبو الحسن ورغم شدة الموقف، وإلا أنه وكمثل أخيه عثمان، لم يشأ أن تلطخ الأمة، بعضها بدماء بعض! والصلح خير.

وهذا الذي كان منه هدير كلامه هذا، هو ابن عباس؛ ولعله أن يسكن به هيجان، وأن يدرك؛ ومن سببه غضبة غضبان، فيهدأ من ثورته، ويستند إلى أريكته! وحين قال ابن عباس قوله هذا: يا أهل الكوفة! أنتم لقيتم ملوك العجم ففضضتم جموعهم، وقد دعوتكم لتشهدوا معنا إخواننا من أهل البصرة، فإن يرجعوا فذاك الذي نريده، وإن أبوا داويناهم بالرفق حتى يبدأونا بالظلم، ولم ندع أمرا فيه صلاح إلا آثرناه على ما فيه الفساد إن شاء تعالى[١٢٦].

الدبلوماسية الناعمة

٢

وحين قام بها هذه المرة القعقاع بن عمرو رضي تعالى عنه.

وحين كان الجلوس حول مائدة أم المؤمنين وحين سألها عن سبب خروجها وأن أنبأت أنه الإصلاح!

وحين سألى طلحة والزبير فكان ردهما ومن رد أم المؤمنين عائشة رضي تعالى عنها.

([١٢٦])تاريخ الطبري، الطبري: ج٣ / ٥٠٢

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وبه علم أن فتنة كان قد زينها الشيطان، وحين أُربِك الطرفان؛ ومن سببها، وحتى كان منه ما حدث!

درء المفاسد وجلب المصالح

وحين كان من نقاشه القعقاع وأنكم وحين خرجتم تطلبون دم عثمان، وإلا أنه قد قتلتم ستة آلاف؛ فتعديتم في الخصومة!

والناس متجهزون لأكثر من ذلك، وإلا إذا هديتم ورجعتم.

ومنه فتكونون بهذا قد خرجتم من نطاق المصلحة، وهو القود، وإلى أربى منها، وهي مفسدة قتلكم إخوانكم!

وها هنا تسأله عائشة ام المؤمنين وماذا يرى؟

فقال القعقاع موفقا ومسددا: قال: أقول: إن هذا الأمر الذي وقع دواؤه التسكين، فإذا سكن اختلجوا، فإن أنتم بايعتمونا فعلامة خير، وتباشير رحمة، وإدراك الثأر، وإن أنتم أبيتم إلا مكابرة هذا الأمر وائتنافه كانت علامة شر، وذهاب هذا الملك، فآثروا العافية ترزقوها، وكونوا مفاتيح خير كما كنتم أولا، ولا تعرضونا للبلاء، فتتعرضوا له، فيصرعنا وإياكم.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وأيم : إني لأقول قولي هذا وأدعوكم إليه وإني لخائف أن لا يتم، حتى يأخذ حاجته من هذه الأمة التي قل متاعها، ونزل بها ما نزل، فإن هذا الأمر الذي قد حدث أمر عظيم، وليس كقتل الرجل الرجل، ولا النفر الرجل، ولا القبيلة القبيلة[١٢٧].

ألا إني مرتحل غدا فارتحلوا

وحينها تم صلح القوم حين تقاربت الرؤى وجلس بعضهم إلى بعض، واستمع الفريقان؛ ومن خلال شفاعة الشافعين!

وهذا أمر الصلح والشفاعة معا.

وحين تكللت جهود المخلصين، فتم الصلح على أيديهم، ومن قوله تعالى أيضا ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ بَيْنَهُمَا إِنَّ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥].

وهذا الذي كان منه قول أبي الحسن هذا تضميدا للجراح وطاعة لله تعالى العليم الفتاح: ألا إني مرتحل غدا فارتحلوا، ولا يرتحل معي أحد أعان على قتل عثمان بشيء من أمور الناس[١٢٨].

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ﴾ [النمل: ٢٤]

([١٢٧])التاريخ الكامل، ابن الأثير: ج٣ / ٢٣٣

([١٢٨])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٢٦٥

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

لكن أيدٍ هكذا، قد أزاغها الشيطان عن، وحين راح الشك يلعب في آذانهم، ومن أسماعهم أيضا.

وحين لم يرحهم شيطانهم، بل أتعبهم، وأرهقهم؛ ومن سوء ظن، كانوا قد التحفوه، من عمل الشيطان أيضا!

ولكن العبد مسؤول عن هكذا تبعة، وحين لم يهتد إلى سواء السبيل!

ولأن هذا أبو الحسن والحسين، كان قد مهد لهم كل طريق ممكن، إلى الصلح، وما بقي إلا أن يقولوا سمعنا وأطعنا!

ومنه كانت هذه نفرتهم إلى باطلهم، وعن حق كانوا به أولى جميعا، وعن آخرهم!

وحين سددوا رمية ظنهم غير الحسن، بأبي الحسن والحسين، وحين راح الناس يسألونه، ولعله أن تسقط من لسانه ساقطة واحدة؛ يبنون عليها هيكل زعمهم، وبهتانهم، وظلمهم معا!

وهذا أبو الحسن والحسين، يقول غير مرة، وهذه المرة: إني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقي قلبه لله إلا أدخله الجنة.

وحين قام أبو الحسن والحسين علي في الناس خطيبا، فقام إليه الأعور بن نيار المنقري، فسأله عن إقدامه على أهل البصرة، فقال: الإصلاح وإطفاء الثائرة ليجتمع الناس على الخير، ويلتئم شمل هذه الأمة.

قال: فإن لم يجيبونا؟

قال: تركناهم ما تركونا.

قال: فإن لم يتركونا؟

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

قال: دفعناهم عن أنفسنا.

قال: فهل لهم في هذا الأمر مثل الذي لنا؟

قال: نعم!.

وقام إليه أبو سلام الدالاني فقال: هل لهؤلاء القوم حجة فيما طلبوا من هذا الدم إن كانوا أرادوا في ذلك؟

قال: نعم!

قال: فهل لك من حجة في تأخيرك ذلك؟

قال: نعم!

قال: فما حالنا وحالهم إن ابتلينا غدا؟

قال: إني لأرجو أن لا يقتل منا ومنهم أحد نقي قلبه لله إلا أدخله الجنة.

وقال في خطبته: أيها الناس أمسكوا عن هؤلاء القوم أيديكم وألسنتكم، وإياكم أن يسبقونا غدا، فإن المخصوم غدا مخصوم اليوم[١٢٩].

(١٢٩)التاريخ الكامل، ابن الأثير: ج٣ / ٢٣٧

السداد للفكر والثقافة
www.sadalu.net

لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة

عن أبي بكرة نفيع بن الحارث: لقَدْ نَفَعَنِي بكَلِمَةٍ سَمِعْتُها مِن رَسولِ صلَّى عليه وسلَّمَ أيَّامَ الجَمَلِ، بَعْدَما كِدْتُ أنْ ألْحَقَ بأَصْحابِ الجَمَلِ فَأُقاتِلَ معهُمْ؛ قالَ: لَمَّا بَلَغَ رَسولَ صلَّى عليه وسلَّمَ أنَّ أهْلَ فارِسَ قدْ مَلَّكُوا عليهم بنْتَ كِسْرَى، قالَ: لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ ولَّوْا أمْرَهُمُ امْرَأَةً[١٣٠].

وقف الناس عند هذا الحديث. ووقفت عند هذا الحديث.

والحديث واضح؛ ومن حيث منطوقه العام. ومن لدن مفهومه اللفظي.

وهو ذلكم مناسبته، وهو ذلكم فهمه.

١- وأما عن مناسبته: فيوم أن علم النبي صلى عليه وسلم أن الفرس كانوا قد ولوا أمورهم امرأة فقال قوله هذا.

٢- وأما عن فهمه: وهو ذلكم الذي راح إليه راوي الحديث أبو بكرة رضي تعالى عنه، وحين كان يوم خروج أم المؤمنين عائشة رضي تعالى عنها، يوم واقعة ما أسماه التاريخ بموقعة الجمل!

والناس؛ ولأنهم، ولأننا نجل، ونحترم، ونوقر، أمهات المؤمنين، وسائر صحبه صلى عليه وسلم أجمعين، وإنما كان الحق أحق أن يتبع، وحين كان الخطأ واردا عليها، وكما هو وارد على بشر!

ولا ينجو من عصمة إلا الأنبياء، وعلى خلاف في المسألة أيضا.

ومنه:

---

(١٣٠)صحيح البخاري: ٤٤٢٥

www.sadah.net

١- فيُخَرَّجُ خروجها، وحين أمرها ربها تعالى ببيتها، وألا تخرج منه، ومن قوله تعالى لها، ولسائر إمائه تعالى ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٢- ومن مفهوم أنها ليست أهلا للولاية، وحين كانت والية أمر الناس يوم ما أسماه التاريخ بموقعة الجمل!

ولكن هذا، ولكن هذا أيضا، ليس يخرجنا عن مفهوم كل من الآية، والحديث معا!

ومنه وعليه فيتخرج أيضا هو هذا الذي تحرج منه أبو بكرة، ونتحرج منه أيضا.

وإذا جاز قول أبي بكرة هذا حق أمهات المؤمنين.

وما بالنا بغيرهن؟!

إن إسلامنا وحين راعى في المرأة خصوصياتها، وإنما أمعن في ترقيها، ومن حمايتها، ومن صونها أيضا.

ولأن أمور القيادة يعوزها حسم وحزم ودأب، يخرج منه المرأة!

ولأنها راعية الرقة، ووالية العاطفة.

وإذا ما قد عرضت نفسها، أو عرضها مجتمعها، لأمور القيادة، وإنما قتل فيها عذوبة المرأة، وحنان الأَمَةِ الربانية الخلق، وفطرية دثامة عطائها، ومن حقلها هي!

والتي لا يمكن أن يحل أحد محلها في حقلها، ولو جئنا برجال العالمين أيضا!

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إننا إذا جعلنا معاشر الرجال أجمعين في صعيد واحد؛ ليسدوا مسد امرأة واحدة في حقلها، لأفسدوا، وكما قد أفسدت المرأة في حقل ليس لها فيه من طاقة أيضا!!

ولأننا أيضا إذا جنينا على نساء العالمين، كلهن، في صعيد واحد، مقابل رجل واحد، وما لهن به من طاقة! وحين أحسن كل عمله، الذي قد أنيط به فطرة، وجبلة أيضا!

إننا وحين نقول: قال رسول صلى عليه وآله وسلم: كَمَلَ مِنَ الرِّجالِ كَثِيرٌ، ولَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّساءِ إلَّا مَرْيَمُ بنْتُ عِمْرانَ، وآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وفَضْلُ عائِشَةَ علَى النِّساءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ علَى سائِرِ الطَّعامِ[١٣١].

وإنما أيضا نريد أن نصب في إمهار بياننا هذا، ومن منطوقه، ومن مفهومه أيضا، وحين قد سُخِّرَ كلٌّ إلى ما قد فطره ربه عليه، فأعانه تعالى أيضا عليه، ووفقه إليه!

ولا نرى في الخروج على هكذا نصوص قاطعة حلا لأحد.

ولا مساغ لسواه.

وإلا نكون قد ظلمنا مجتمعا، نريده أن يقام على راحات الإلف والمودة والنصرة والعطاء.

إن قولنا هذا ممهور أيضا: بعمل الناس، ولا سيما في زمان الأمة الناضر، وأنه قد خلا من ذكر امرأة واحدة، قائدة قيادة أمة، ومجتمع، وجيش، وقتال، وغزو، وفضاء، واقتصاد، وقرآن، وسنة!

إن قولنا هذا يعني أيضا أن المرأة في حقلها، ومما أنف هي راعية بيتها وبيت زوجها، وهي مسؤولة عن رعيتها فيه!

([١٣١])صحيح البخاري: ٣٧٦٩

السداد للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فعن عبد بن عمر: أنَّهُ سَمِعَ رَسولَ صلَّى عليه وسلَّمَ يقولُ: كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ؛ فَالإِمَامُ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ في أهْلِهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، والمَرْأَةُ في بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ وهي مَسْؤُولَةٌ عن رَعِيَّتِهَا، والخَادِمُ في مَالِ سَيِّدِهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ. قالَ: فَسَمِعْتُ هَؤُلَاءِ مِن رَسولِ صلَّى عليه وسلَّمَ، وأَحْسِبُ النَّبيَّ صلَّى عليه وسلَّمَ قالَ: والرَّجُلُ في مَالِ أبِيهِ رَاعٍ وهو مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ[١٣٢].

ولأنها راعية منزل؛ فلسوف تحسن فيه رعايتها، وحين كان هذا وحيا من النبي قاله صلى عليه وآله وسلم.

ولأنه هذا ليس يخرج، أنملة واحدة، عن هكذا الوحي، وحين كان منه: اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له.

فعن علي بن أبي طالب رضي عنه: كانَ رَسُولُ صَلَّى عليه وَسَلَّمَ، ذَاتَ يَومٍ جَالِسًا وفي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ به، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقالَ: ما مِنكُم مِن نَفْسٍ إلَّا وَقَدْ عُلِمَ مَنْزِلُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ قالوا: يا رَسُولَ ، فَلِمَ نَعْمَلُ؟ أَفلا نَتَّكِلُ؟ قالَ: لَا، اعْمَلُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ له ثُمَّ قَرَأَ: {فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بالحُسْنَى}، إلى قَوْلِهِ {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى} [الليل: ٥ - ١٠][١٣٣].

وما قد خلق له: عبد، أو أمة، نظام رباني محكم، كان على الأمة سهرها على القيام به؛ تعبدا لربها، وكما أنها تتعبده في محراب صلاتها!

([١٣٢])صحيح البخاري: ٢٤٠٩
([١٣٣])صحيح مسلم: ٢٦٤٧

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إن شئت قاتلت معك، وإن شئت كففت عنك عشرة آلاف سيف

هذا قول الأحنف بن قيس نصرة لأبي الحسن والحسين.

وهذا قول رجل يعدل أمة بأكملها؛ وحين يريد أن يقاتل بمن معه أو أن يكفف جيشا عداده عشرة آلاف سيف!

وهذه بركة هذا الأمة.

وكم من مرة يحكي التاريخ هكذا فضلا لها.

و من نذكر؟ ومن ننسى؟ وهذه أمتنا أغزرت من كان على كمثل شاكلة هذا الأحنف بن قيس ومثله معه!

وهذا اختيار أبي الحسن والحسين دليلا آخر منضافا إلى أنه لم يرد قتالا، وبقدر ما أراد من إيقاف الأمة على نصابها، من الوحدة، والالتئام، والتصاف، والانسجام.

لا أن يكون مقتل عثمان سببا أن يجر؛ ومن ورائه ويلات، هي كل واحدة منها أكبر من أختها.

وفضلا عن أن تكون أكبر، ومن شاكلة قتل أمير المؤمنين، عثمان بن عفان رضي عنه.

إبليس لا يفتر

وإلا أن الشيطان وعلى وعيده، وحين جابه ربه وخالقه؛ ومن إضلاله، ومن إغوائه، ومن تزيينه، وحين عمل في أهل الكوفة عمله هذا! وباستثارة الناس بعضهم على بعض، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا الذي كان منه قوله تعالى يوما﴿ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ ۗ وَعَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ [سورة التوبة: ٤٧].

وأن نعم، وإنما نزلت الآية علاج شأن النفاق والمنافقين، ولو أنها كذلك، وإلا أنها أيضا تحكي صورة مجتمع، تلعب خلاله الأيدي، ومن عمل الشيطان أيضا!

وإلا فماذا أنت قائل وحين خروج عشرين ألفا مع أبي الحسن ، وثلاثين ألفا مع الفريق الآخر!

ومن أسف! يذكرون، ويشددون، ويؤكدون، ويشنعون، أنهم كانوا تحت راية أم المؤمنين!

هذان فريقان من المؤمنين اقتتلا، وقد رأيت، وكم من مصلح أدلى بدلوه! وإلا أن استعار الحرب لازال مشرعا لهيبه، ودخنه معه!

ومن جيش كان إجماليه خمسين ألفا!

وحين وضعه أمام جيش العسرة، وقد كان ثلاثين ألفا، ومقابلة جيش الروم، وقد كان مائتي ألف!

وماذا أنت قائل فيما لو كان خروج هذا الجيش ذي الخمسين ألفا عددا، وذي العتاد ما كان ربك به عليما! ولمجابهة جيش، ومن كمثل جيس الروم، يوم العسرة، وما هو فاعل فيه؟!

إن أمتنا بحاجة إلى تصحيح مسارها، ومن داخلها! ومن قبل أن تتهم غيرها بالعمل في كلمتها!

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ويْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ

حدث نوع مما يمكن إدخاله تحت المقاتلة بين عمار بن ياسر والزبير بن العوام يوم الناس هذا، والذي يسمونه يوم موقعة الجمل!

والزبير يناديه أخاه عمارا: أتقتلني يا أبا اليقظان؟!

فيقول عمار: لا يا أبا عبد!

ورب الكعبة وحين يسمع آحادنا هذا أو أن يقرأه، وماذا هو قائل؟! وإلا أن تزين الشيطان ووسواسه ونفخه ونفثه كان قد عمل في الناس عمله يومهم هذا!

وإلا فما هذه الطراوة في التلاسن! وما هذه النداوة في الإلقاء!

وعلى كل حال كان هذا استحضارا لعلم النبوة؛ ولأنه النبي محمد صلى عليه وسلم كان قد أخبر أن عمارا ولسوف تقتله الفئة الباغية!

ولهذا السبب أمسك عنه الزبير، وألا يكون هو وفئته باغيين!

ولأن الزبير كان أقدر على الفتك بعمار! ولما كان معروفا عنه من قوة وبأس شديدين!

وهذا الوقوف عند الوحي عند أولاء الناس!

وإن حصل بينهم ما حصل!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عَنْ عِكْرِمَةَ، قالَ لي ابنُ عَبَّاسٍ ولِابْنِهِ عَلِيٍّ: انْطَلِقَا إلى أبِي سَعِيدٍ فَاسْمعا مِن حَديثِهِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هو في حَائِطٍ يُصْلِحُهُ، فأخَذَ رِدَاءَهُ فَاحْتَبَى، ثُمَّ أنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حتَّى أتَى ذِكْرُ بنَاءِ المَسْجِدِ، فَقالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النبيُّ صَلَّى عليه وسلَّمَ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عنْه، ويقولُ: ويْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إلى الجَنَّةِ، ويَدْعُونَهُ إلى النَّارِ. قالَ: يقولُ عَمَّارٌ: أعُوذُ ب مِنَ الفِتَنِ[١٣٤].

علم نبوة ضاف

الحق مع أبي الحسن والحسين

هذا، ومن شأن التاريخ أن يكون حكما، ولاسيما وأن علما آخر منضافا، ومن أعلام نبوة هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم، كان قد أنبأ مقاتلة بين الزبير وأبي الحسن والحسين! وأن الحق مع أبي الحسن والحسين! وأن الزبير وحين يقاتله، وإنما هو ظالم له!

ولأنه: لما دنا عليٌّ وأصحابُه من طلحةَ والزبيرِ ودنتِ الصفوفُ بعضُها من بعضٍ خرج عليٌّ وهو على بغلةِ رسولِ صلَّى عليه وسلَّمَ فنادى ادعوا لي الزبيرَ بنَ العوامِ فأتى عليٌّ فدُعِيَ له الزبيرُ فأقبل حتى اختلفت أعناقُ دوابِّهما فقال عليٌّ يا زبيرُ ناشدتُك ب أتذكرُ يومَ مرَّ بك رسولُ صلَّى عليه وسلَّمَ مكانَ كذا وكذا فقال يا زبيرُ تحبُّ عليًّا فقلتُ ألا أحبُّ ابنَ خالي وابنَ عمي وعلى ديني فقال يا عليُّ أَتُحبُّه فقلتُ يا رسولَ ألا أحبُّ ابنَ عمتي وعلى ديني فقال يا زبيرُ أما و لَتُقاتلنَّه وأنت ظالمٌ له

([١٣٤])صحيح البخاري: ٤٤٧

فقال الزبيرُ بلى و لقد نسيتُه منذ سمعتُه من رسولِ ثم ذكرتُه الآنَ و لا أقاتلُك فرجع الزبيرُ على دابتِه يشقُّ الصفوفَ فعرض له ابنُه عبدُ بنُ الزبيرِ فقال مالكَ فقال ذكَّرني عليٌّ حديثًا سمعتُه من رسولِ صلَّى عليه وسلَّمَ سمعتُه وهو يقول لتقاتِلَنَّه وأنت ظالمٌ له فلا أُقاتلَنَّه فقال وللقتالِ جئتَ إنما جئتَ تُصلحُ بين الناسِ ويُصلحُ هذا الأمرَ قال قد حلفتُ أن لا أُقاتلَه قال فاعتِقْ غلامَك خيرَ وقفٍ حتى تُصلحَ بين الناسِ فأعتق غلامَه ووقف فلما اختلف أمرُ الناسِ ذهب على فرسِه[١٣٥].

هذا الحديث ومثله، ومما ورد قد ضعفها الناس.

والشأن أننا نتلمس عذرا لهؤلاء وهؤلاء ولأنهما فئتان مؤمنتان.

وإلا أننا نضع أيدينا على الجراح؛ وكيما نتلمس منها العبرة، وأن الخلاف شر، وأن الاتفاق خير.

و" عَامَّةُ السَّابِقِينَ نَدِمُوا عَلَى مَا دَخَلُوا فِيهِ مِنَ الْقِتَالِ، فَنَدِمَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَ الْجَمَلِ لِهَؤُلَاءِ قَصْدٌ فِي الِاقْتِتَالِ، وَلَكِنْ وَقَعَ الِاقْتِتَالُ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ، فَإِنَّهُ لَمَّا تَرَاسَلَ عَلِيٌّ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ، وَقَصَدُوا الِاتِّفَاقَ عَلَى الْمَصْلَحَةِ، وَأَنَّهُمْ إِذَا تَمَكَّنُوا طَلَبُوا قَتَلَةَ عُثْمَانَ أَهْلَ الْفِتْنَةِ، وَكَانَ عَلِيٌّ غَيْرَ رَاضٍ بِقَتْلِ عُثْمَانَ وَلَا مُعِينًا عَلَيْهِ، كَمَا كَانَ يَحْلِفُ فَيَقُولُ: وَ مَا قَتَلْتُ عُثْمَانَ وَلَا مَالَأْتُ عَلَى قَتْلِهِ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْبَارُّ فِي يَمِينِهِ، فَخَشِيَ الْقَتَلَةُ أَنْ يَتَّفِقَ عَلِيٌّ مَعَهُمْ عَلَى إِمْسَاكِ الْقَتَلَةِ، فَحَمَلُوا عَلَى عَسْكَرِ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ، فَظَنَّ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَنَّ عَلِيًّا حَمَلَ عَلَيْهِمْ، فَحَمَلُوا دَفْعًا عَنْ أَنْفُسِهِمْ، فَظَنَّ عَلِيٌّ أَنَّهُمْ حَمَلُوا عَلَيْهِ، فَحَمَلَ دَفْعًا عَنْ نَفْسِهِ، فَوَقَعَتِ الْفِتْنَةُ

(١٣٥)البداية والنهاية، ابن كثير: ٢١٩/٦، خلاصة حكم المحدث: غريب. التخريج: أخرجه البيهقي في ((دلائل النبوة)) (٤١٤/٦)، وابن عساكر في ((تاريخ دمشق)) (٤٠٩/١٨) باختلاف يسير.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ، وَعَائِشَةُ - رَضِيَ عَنْهَا - رَاكِبَةٌ: لَا قَاتَلَتْ، وَلَا أَمَرَتْ بِالْقِتَالِ. هَكَذَا ذَكَرَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِالْأَخْبَارِ [١٣٦].

يا حسن ليت أباك مات منذ عشرين سنة!

هذا تمكني أبي الحسن والحسين الموت! ولأنه قد رأى ما لم يكن من توقعه هذا الذي يمكن ان يحدث في هذا الأمة وعهد أمير المؤمنين هذا او غير أمير المؤمنين هذا! ولأن دماء الناس معصومة! ولأنه لهدم الكعبة أن يهراق دم امرئ مسلم بغير حق!

وإلا أنه يفاد منه عدم جواز تمني الموت، إذا نزلت نازلة.

ومن قول نبينا محمد صلى عليه وسلم: لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ نَزَلَ به، فإنْ كانَ لا بُدَّ مُتَمَنِّيًا لِلْمَوْتِ فَلْيَقُلْ: مَّ أَحْيِنِي ما كانَتِ الحَياةُ خَيْرًا لِي، وتَوَفَّنِي إذا كانَتِ الوَفاةُ خَيْرًا لِي [١٣٧].

وأما قوله هذا رضي عنه وإنما يمكن حمله على ردة فعل، وصاعقة، ومما قد وقع بالأمة، ومن ناظريه يرى! ومن سمعه يسمع! ومن عدم حيلته اصطدم!

وهكذا كان نصح ولد لوالده. وهكذا يكون نصح مأمور لأميره. وهكذا اعتراف بالفضل لأهله. وهذا زكاء نفس.

([١٣٦])منهاج السنة النبوية، ابن تيمية: ٤/ ٣١٦

([١٣٧])صحيح البخاري: ٦٣٥١

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

يا طلحة! أجئت بعرس رسول ﷺ تقاتل بها

وهذا إعذار أبي الحسن مرة أخرى ومرات، وحين خرج ليس لقتال، بل لاستكناه وجه للصلح، ورجوع القوم، وعدم استعجالهم؛ أخذا بدم عثمان، ولو كان في ذلك هلاك الأمة!

وهذا حجاج عظيم، من أبي الحسن والحسين، وكيف كانت مساومة على أم المؤمنين، أن يخدع بخروجها القوم، وهي أم المؤمنين!

وأقول : إن التاريخ يسجل، وليس يجامل!

وأقول: وقد مر بنا كيف كان أمر خروجها، وعن قول ربها ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وكيف كان تأمرها، وقد قال نبيها ونبينا وزوجها صلى عليه وآله وسلم: لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة!

وقد كان خروجها، وعن تأويل، وإن رأته سائغا، وهذا الذي ليس يراه الناس سائغا!

وهذه جملة إعذار لأمة؛ وحفظا لجناب أمهات المؤمنين، ولكنه يخرج تأسيسا على ما توجبه مصلحة الأمة، وأن تفيد درسها، ومما قد حيق بها، بعذر أم بغير عذر!

ولأن طوائف الناس، وأمزجة الناس، فيها بعض من نوع استلهام ! ودونما جري، ومن وراء الحدث!

وعلى كل حال نحن في دائرة أنهم جميعا عدول. والكف عن جنابهم مأمول. وهو دين به ندين.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإلا أن العبرة لابد من استشرافها؛ وكيما يتحدد المنهج، ولا تضيع من غمطه المهج! ومن أطره المنهج!

وكيما لا يصيد أحد في مائه العكر. وكيما لا يحتج محتج، ومن كمثل الذي حدث!

فتهراق دماء، وتستحل أعراض؛ ولأن أم المؤمنين! والصحب قد فعلوا!

إن رايات كثيرة ترفع! والحذر منها الحذر!

ويفاد منه أيضا، هو هذه التعمية، التي يتخذها جهال الزمان، وكيف يستسخرون عمائم؛ لتمرير باطل وتمويه حق!

وعاد الشيطان بلمزه

وحين احتدم بالناس قتالهم وتوسط الخيرون فقدموا المصحف لأم المؤمنين، ترفعه؛ نيابة عن صلح، واحتكام، وتبرك، وهدوء، وسكينة، وتراجع!

وغلا أن الشيطان لازالت عمله هائجا بين الأصحاب!

ويومها قتل عمار ويومها قتل الزبير! ويومها قتل طلحة! وغيرهم كثير!

وإلا أن القوم، ويحسبه التاريخ لهم، وإذ كانوا، ومن على رغمه، يذودون عن حوض أم المؤمنين؛ وألا يمسها أحد من هؤلاء وهؤلاء إلا بخير!

ولما كانوا جميعا يذودون، واحدا تلو أخيه وهو إذ يمسك بجملها، وحتى يناوله أخاه، وقبل أن يصرع!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

محمد بن طلحة المعروف: بالسجاد!

وهذه منقبته! ومن كثرة تعبده، وصلاته، وسجوده، بين ربه ومولاه تعالى الحق المبين.

وما أجملها من صفة، أن تلحق به، يوم حياته! ولعلها أن ترافقه، يوم مماته! ويوم أن يبعث بين يدي رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما سبحانه.

ويوم أمسك بزمام أم المؤمنين عائشة ويطلب امرها فيه! ومن باب حرصه، ودفاعه عن أمه، أم المؤمنين أجمعين!

آمرك أن تكون كخير ابني آدم

وهذا أمرها لمحمد بن طلحة السجاد.

وهذه رغبتها - ونكرر - في الصلح!

ولكنه هو هذا تلبيس إبليس الرجيم!

حماية أبي الحسن والحسين علي لأم المؤمنين!

وحين اشتد وطيس القتال ورحاه، وعقر من سببه جمل أم المؤمنين.

ومن حرصه عليها ومن خشية أن يصيبها مكروه. وحين أمر الناس أن يحفظوها ومن حمل هودجها ونصب قبة حماية وتكريم عليها!

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وجاء أبو الحسن والحسي علي القائد أمير المؤمنين ومن كان معه أو عليه من الصحب الكرم فسلموا أمهم ام المؤمنين.

ومن بادرة العفو والصلح والمسامحة.

و ما أرى إلا حميراء!

هذا شين من القول. وهذا تعد على أعراض المؤمنات، وفضلا عن أمهات المؤمنين والمؤمنات!

ولذا ومثل هذا لا تمرره السماء!

وحين قال أعين بن ضبيعة المجاشعي قوله هذا: و ما أرى إلا حميراء! وحين نظره إلى هودج أم المؤمنين رضي عنها.

وحين كان ردها هو هذا: هتك سترك، وقطع يدك، وأبدى عورتك!

ومنه فكان له ربه تعالى بالمرصاد وحين كتب عليه أن:

١- قتل بالبصرة.
٢- وسلب.
٣- وقطعت يده.
٤- ورمي عريانا في خربة من خرابات الأزد!
٥- وهذه إجابة دعوة مظلوم، وليحذرها عاقل مُدَّبِّر!

أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه؟

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

هذا الذي جرى، وليس من شاكلة ما يجري في حروب، بين المؤمنين والكافرين؛ وحتى يقال إنها للغنائم فيها مدخل!

وإنما هي اقتتال نشب بين أخوين مؤمنين! وكما قال تعالى ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩]ز

ومنه كان رفض أبي الحسن والحسين علي أمير المؤمنين رضي عنه.

وحين كان من قوة حجته الدامغة، وسلطان قولته البالغة؛ قوله هذا: أيكم يحب أن تصير أم المؤمنين في سهمه؟

ولكنه ومن باب إرضاء الفرقاء أجمعهم قسم بينهم ما وجد في بيت مال المسلمين؛ وتطييبا للخواطر، وتهدئة للمشاعر!

المصالحة الوطنية

أين المريض؟

وحين تم الصلح بين المؤمنين.

ودخل أبو الحسن والحسين أمير المؤمنين علي البصرة.

وحين راح يزور جرحاهم، ويداوي مرضاهم، ويهدهد شيوخهم وشبابهم.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وحين سأل عبد الرحمن بن أبي بكرة الثقفي عن أبيه، وأخبره أنه مريض، فراح إليه زائرا.

ثم عرض أمير المؤمنين على عبد الرحمن هذا ولاية البصرة، فاعتذر، وتلك له منقبة، وحين كان الاعتذار عن الولايات، ولا سيما في زمن الفتن، أمرا محمودا، ولا سيما حين يوجد من يقوم بها، عوضا عن عبد الرحمن بن أبي بكرة أو غيره.

وهذا سبق إسلامي فريد.

ومن بعد أن تجاوز الناس محنتهم، وها هي وقفتهم صلحا، ومن بعد حربهم سلما!

إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟

هذا كرم خلق ودثامته معا.

وحين علت امرأة من صوتها عند بيت نزلت فيه أم المؤمنين عائشة، وحين نزلت لتضميد الجراح، التي أدمت قلوبا، قبل أن تكون قد أدمت عيونا، وجوارح أيضا!

وحين علت بصوتها على أمير المؤمنين علي: أيتم منك أولادك كما أيتمت أولادي!

وها هو يسمع، ويسكت، ولا يجيب!

وقد أسمعته قولها هذا غير مرة!

وهو لا يجيبها، ولا مرة!

وها هو رجل يعجب وكيف لا يرد أمير المؤمنين؟!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فكان قوله هذا: ويحك! إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟.

مقابلة حسنى

غير أن مقابلة عجيبة حسنة، وحين كان ترفعه عن صوت امرأة، وإلا أنه يزأر؛ لنيل كان قد وقع من رجلين في أم المؤمنين نيلا، وحين أمر بجلد كل منهما مائة جلدة! وتجريدهما من ثيابهما.

وهذا تعزير ولي وحين نيل من زوجة النبي!

وقياسا على قذف المحصنة، وزيادة عشرين جلدة!

أو، ويكأنه قد أوقع نفسه فيما قد قذفها به، فكان عقابه جلد مائة، ويكأنه زان غير محصن!

وعلى كل حال، فإن هذا قضاء علوي كريم، نقف عنده مستحسنين؛ ولأنه: قالَ عُمَرُ رَضِيَ عنْه: أقْرَؤُنَا أُبَيٌّ، وأَقْضَانَا عَلِيٌّ، وإنَّا لَنَدَعُ مِن قَوْلِ أُبَيٍّ؛ وذَاكَ أنَّ أُبَيًّا يقولُ: لا أدَعُ شيئًا سَمِعْتُهُ مِن رَسولِ صلَّى عليه وسلَّمَ، وقدْ قالَ تَعَالَى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا} [البقرة: ١٠٦][١٣٨].

وإلا لسنا ننسى أيضا دخوله على أم المؤمنين مرحبا ومسلما، وفي حضرة نساء كثر، كن قد أتين لها ترحابا، ومؤانسة؛ ولأنها ضيفة عليهم، ومن حيث قد جاءت، ومن فترة من مكة، مهبطها، ومن أمها مولدا! ومن والدها راعيا وحافظا ومربيا كريما.

([١٣٨])صحيح البخاري: ٤٤٨١

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

و إنه على معتبتي لمن الأخيار

هذا ثناء أم المؤمنين عائشة رضي عنها على أبي الحسن والحسين علي!

وهذه مسكات التضميد، وتلك من إلهامات السماء، وحين جاء أبو الحسن والحسين، في وداعها، ويوم اختارت أن تعود، ومن حيث جاءت، إلى محلها!

وحين قالت عائشة قولها التاريخي المجيد هذا: يا بني لا يعتب بعضنا على بعض، إنه و ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبتي لمن الأخيار[١٣٩].

فقال علي: صدقت، و ما كان بيني وبينها إلا ذاك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة[١٤٠].

عودة أم المؤمنين مكرمة من أخيها أبي الحسن والحسين!

ثم رجعت أم المؤمنين إلى مكة واصطبرت حتى حجت عامها هذا.

ولعله من توفيق ربها لها، أن اختارت حجا، ومن بعد الذي وقع، ولأن الحج منقبة، وللذنوب سبب محو، وتوبة، وتطهير، وغفران، ولتظل أم المؤمنين، ومن بشريتها، ومن توبتها، ومن استغفارها.

وإنا لندعو تعالى لنا ولها ولسائر عبيد ربنا تعالى، أن يتغمدنا ربنا، بوافر نعمه، وآلائه، وتوبته، وغفرانه.

([١٣٩])الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ: ج ١ / ٤٣٥

([١٤٠])الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ: ج ١ / ٤٣٥

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إن لله جندا من عسل!

هذا وقد تم لأمير المؤمنين أن ولى مصر إلى قيس بن سعد بدلا عم عبد بن سعد بن أبي سرح.

ولأن عبد بن سعد بن أبي سرح، كان قد أعان على قتل عثمان، ومن كمثل معاوية في الشام!

ومن ثم فقد عمل هذا القرار عمله في معاوية! فراسل قيسا، وألبه على الخليفة الجديد! بأن يطالبه بالقصاص من قتلة عثمان! وأن له عليه أن يجعله نائبا له على الشام حال استمرار أمره!

ولكن قيسا كان حازما، وكان حكيما أيضا، ولم يرد أن يرد معاوية برفض أو قبول!

ولكن معاوية كان أحزم وحين راسله: إما نعم، وإما لا!

ومن ثم أخبره بن قيس، أنه معين من قبل أمير شرعي، وقد بايعه! وحقا كان عليه ألا يشق يد من طاعة!

ولكن أبا الحسن والحسين الأمير كان قد علم، ومن مثل هكذا خبر لا يغيب! عن وال له من العيون، ما قد سخرهم لذلكم قطعا!

ومنه ابتلاه أمير المؤمنين أن يغار على خربتا وقد كانت قرية مصرية بقي فيها ممن هم مناصرو قتلة عثمان!

وحين رأى ابن قيس أن هذا قرار من الأمير الجديد، وأنه منطو على بعض تخوين له! وأن هذه القرية بها معاونون كثر لأنصار قتلة عثمان، وإذ لا زال جديدا، ولم يحكم قبضته بعد! وإذ لا زالت قواته اقل ومن قوات المناوئين!

ومن ثم بعث إلى أبي الحسن والحسين أن يستبدله بغيره؛ وإن كان على بعض شك من أمره فيه!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ثم عين أبو الحسن والحسين الأشتر النخعي على إمرة مصر.

وإلا أن الرجل في طريقه، كان قد شرب شربة من عسل، فكان بها حتفه!

وبه قال الناس: إن لله جندا من عسل!

وقفة عند الحدث: وإذا كان ربنا تعالى من سننه، وألا يكون من قدره، وإلا من حكمة، وإذ ليس لنا إلا أن نؤمن، أنه ومن وراء فوات الأشتر النخعي ألا يكون أميرا على مصر، وإلا من حكمة أخرى، لا نعلمها، ولكن تعالى يعملها!

ونقف عند هكذا الحدث، بهكذا وقوف، على ما تتخشع منه ألباب، وما تتخضع منه عقول أيضا!

وهذا الذي حكاه القرآن الحكيم، ومن قوله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [سورة القمر: ٤٩].

محمد بن أبي بكر أمير على مصر

ومن ثم كان قرار الأمير تعيين محمد بن أبي بكر على إمرة مصر، بدلا عن الأشتر النخعي.

ولكن بقية من مناصري المطالبين بدم عثمان لم يتركوه بل نابذوه!

وتم لهم ذلك ومن بعد طمعهم خروج معاوية للمقاتلة في العراق!

وهذا كان هذا فصلا ابتلاء آخر منضافا إلى ما سبقه من فصول ابتلاءات متلاحقة كان من نصيب أبي الحسن والحسين أن يتقلب فيها!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

علم نبوة ضاف

هذا ولسنا نريد أن نغادر مكاننا هذا، وإلا ومن بعد ذكر وثناء، ولو من طرف حول هذا طلحة بن عبيد .

ولأننا سوف نفرد له كتابا مستقلا إن شاء تعالى، وعلى عهدنا من إكمال سلسلة العشرة المبشرين بالجنة إن شاء تعالى.

وحين جاءه ذكره، ولما قد سوره بثنائه، هو هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم.

ومن أن طلحة هذا، ويكأنه ولما كان من العشرة المبشرين بالجنة، وعلما آخر منضافا، ومن أعلام نبوة هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم، وإلا أنه قد انضاف إليه هكذا علم آخر، وهو كونه، ولسوف يموت شهيدا، وها هو الآن ترونه ومن أعينكم، التي في رؤوسكم، وإن مشى برجليه ومن بينكم!

وبرهانا على كم كانت أعلام نبوته صلى عليه وآله وسلم عظيمة الشأن، جليلة القدر أيضا، ولما كان هذا تأويلها، رأي العين، أيضا ترونها!

ويكأنها، ومن كفلق الصباح أيضا!

ومن كمثل رؤياه صلى عليه وآله وسلم أيضا!

وهذه شارة إسعاد لطلحة، وشحذا ، وهمم الذين سمعوه، هو هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم، وصحبه الكرام أيضا!

وهذا الذي يقف بنا أيضا إمساكا، وعما قد جرى بين الأصحاب.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا الذي ليس يمنعنا أن نأخذ منه العبرة، والدرس، والتمحيص، والاجتهاد، فيما وراء الحدث، ولعل تعالى أن يمنحنا رشدا، وأن يزيدنا فقها، وعلما، ومن وراء الحدث أيضا، ولأنه تعالى قال أيضا﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

فعن جابر بن عبد أن النبي صلى عليه وآله وسلم قال: من سرَّه أن ينظُرَ إلى شهيدٍ يمشي على وجهِ الأرضِ فلينظُرْ إلى طلحةَ بنِ عُبَيدِ [١٤١].

دعوة للتاريخ!

(يوم قبة الهودج)!

... وكل هذا، ونحن لسنا نقترب من شخوص؛ ولأنهم كلهم عدول، ولسنا إلا نجلهم، ونوقرهم، وإلا أن الحدث لزمت منه الإفادة.

هذا وحين كانت من واقعة (يوم قبة الهودج)!

ولأنه كان يوم الصلح.

وهذا أولى، ومن تسمية التاريخ لها (موقعة الجمل)!

ولأننا نريد أن ننحي جانبا، جناب أم المؤمنين، وجملها، أيضا!

وهذه دعوة متواضعة للتاريخ، أن يغير إلى مسمانا هذا! (يوم قبة الهودج)!

([١٤١])السلسلة الصحيحة، الألباني: ١٢٦

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ولأنه يوم تكريم أبي الحسن والحسين، لأم المؤمنين، عائش، رضي تعالى عنهم أجمعين.

ومن أمره نصب قبة على هودجها، ومن دخوله عليها، حضرة نسوة جئن لمواساتها، ومن قيامه على وداعها، ومن إكرامه لها أيضا.

ويوم معرفة عائش أم المؤمنين فضل أبي الحسن والحسين؛ ومن قولها أيضا: يا بني لا يعتب بعضنا على بعض، إنه و ما كان بيني وبين علي في القدم إلا ما يكون بين المرأة وأحمائها، وإنه على معتبتي لمن الأخيار[١٤٢].

من وراء الحدث!

وأنه، وإذ يقتل خمسة آلاف، ومن طرف أتباع الزبير وطلحة!

ونتعفف ذكر أم المؤمنين؛ لأنه قد التُبِسَ عليهم، ومن قولنا الذي أنف، ومع ذكر حسن أيضا لكلٍّ.

ومن كمثلهم، وحين يقتل خمسة آلاف ومن أتباع أبي الحسن والحسين!

في موازنة توجب شفقة، وتنطلي من حكمة!

١- وأما شفقتها: ومن أننا خسرنا صحبا كراما أو أتباعا أخيارا، ومن تلبيس إبليس! وحسبنا!

٢- وأما انضواؤها تحت حكمة: وهل يمكن القول، بأن هذه الموازنة، كانت دليلا، على أنه، إما كل مهزوم! وإما كل منتصر!

---

(١٤٢)الفصول المهمة في معرفة الأئمة، ابن الصباغ: ج ١ / ٤٣٥

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

وإلا أننا أيضا سوف نخرج لربنا شاكرين؛ ومن اجتماع الألفة، والكلمة، وحين جلس قائدا الفريقين، على مائدة واحدة، ولم ينس أحدهما فضل أخيه، بل ذكره، وحدث به؛ ليعلم من علم، وتذكير من نسي، أو قد سها!

وكم كان الوقوع فيهم تعديا، وعلى مقامهم، وعلى ذكر نبيهم، واصطفائه لهم، ومن كمثل ثناء ربهم عليهم!

وهذا الذي يحدونا، وقوفا عند جنابهم، وإمساكا عن ذواتهم، وشخوصهم.

ولأن تعالى قال ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ولأن نبينا محمدا صلى عليه وسلم قال: لا تَسُبُّوا أصْحابِي، لا تَسُبُّوا أصْحابِي، فَو الذي نَفْسِي بيَدِهِ لو أنَّ أحَدَكُمْ أنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، ما أدْرَكَ مُدَّ أحَدِهِمْ، ولا نَصِيفَهُ[١٤٣].

ولأنه قد حكى سعيد بن المسيب: أن رجلا كان يقع في طلحة والزبير وعثمان وعلي رضي عنهم، فجعل سعد ينهاه، ويقول: لا تقع في إخواني فأبى، فقام فصلى ركعتين ثم قال: م إن كان سخطا لك فيما يقول، فأرني فيه اليوم آية واجعله للناس عبرة[١٤٤].

وإذ لسنا ننسى أن سعدا بن أبي وقاص رضي عنه كان مستجاب الدعوة، ومن أعلام النبوة أيضا.

وهذا من تأويلها!

([١٤٣])صحيح مسلم: ٢٥٤٠

([١٤٤])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٢٧٧

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فعن عبد بن عباس: تُلِيَتْ هذهِ الآيةُ عِندَ رسولِ صلَّى عليه وسلَّمَ: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا} [البقرة: ١٦٨]، فقام سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ، فقال: يا رسولَ ، ادعُ أنْ يجعَلَني مُستَجابَ الدَّعوةِ، فقال النبيُّ صلَّى عليه وسلَّمَ: (يا سعدُ، أَطِبْ مَطْعَمَكَ تَكُنْ مُستَجابَ الدَّعوةِ، والَّذي نفْسُ مُحمَّدٍ بيدِهِ، إنَّ العبدَ لَيَقذِفُ اللُّقمةَ الحرامَ في جَوفِهِ ما يُتقبَّلُ منه عملٌ أربعينَ يومًا، وأيُّما عبدٍ نَبَتَ لحمُهُ مِن سُحْتٍ ، فالنَّارُ أَوْلى به)[١٤٥].

أما إن رجالا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان، فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم!

هذا نبأ عظيم!

وإذ وكيف لنا، وكيف لهم، وإلا اعتزال فتنة، قد ظهرت، وكان من نتاجها، هو ذلكم المرار، الصبر، العلقم؟!

وحين يقتل أمير المؤمنين عمر الفاروق، ثم ومن بعده أخوه ذو النورين عثمان بن عفان، وثم من بعده مقتل عشرة آلاف يوم ما أسموه موقعة الجمل، يوم قبة الهودج!

وإلا أن يمكثوا في ديارهم، فلا وإلا يلزمونها! وما هم يغادرونها، وإلا إلى القبور يسكنونها ويتوسدونها!

وليس ذلك، وإلا مسلك منه قد فطنوه، وألا يطلوا هم على فتن، جعلت الحليم منهم حيران!

وإنما خشي الناس، ونخشى، التعرض للفتن، وإلا من موجب شرعي، لنا فيه من تعالى برهان!

([١٤٥])جامع العلوم والحكم، ابن رجب: ٢٦٠/١، خلاصة حكم المحدث: إسناده فيه نظر.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإنما راح الناس رواحهم هذا؛ ولأن نبيهم صلى عليه وآله وسلم، كان قد أنبا نبأ الحق، والصدق، واليقين، أن أهل بدر مغفور لهم! ومن قوله: لَعَلَّ عزَّ وجلَّ اطَّلَعَ علَى أهْلِ بَدْرٍ فَقالَ: اعْمَلُوا ما شِئْتُمْ فقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ[١٤٦].

وهذا الذي منه خشوا أن تلطخ أيديهم، ومن دماء، ومن ثم يمكن أن يسلبوا هكذا فضلا عظيما من تعالى ورضوانا!

ولكنه أيضا، يظل علما على نبوة هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم، وحين قد أنبأ، وإلا أن القوم قد زايلوا الخروج، على هذا، أو مع هذا؛ وليستقر - ومن عقدنا - هكذا أعلام نبوة هذا البني محمد صلى عليه وآله وسلم، حينا ومن بعد حين آخر، ولأنه تعالى يمنن على من يشاء من عباده برحمة منه ورضوان ﴿ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ﴾ [المدثر: ٣١].

وهذا الذي كان منه ومن قولهم هذا: هاجت الفتنة وأصحاب رسول ﷺ عشرات الألوف، فلم يحضرها منهم مائة بل لم يبلغوا ثلاثين.

عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: شهد صفين من أهل بدر سبعون رجلا، فقال كذب أبو شيبة، و لقد ذاكرنا الحكم في ذلك فما وجدناه شهد صفين من أهل بدر غير خزيمة بن ثابت؟

وقد حكوا أنه حضرها سهل بن حنيف وأبو أيوب الأنصاري رضي تعالى عنهم أجمعين.

فأنا أكرهه لذلك!

هذا قول التواضع.

---

(١٤٦)صحيح البخاري: ٤٨٩٠

www.sadah.net

وهذا قول لين الجانب!

ولأن القوم كانوا قد تربوا على مائدة نبي، كان يتخذ ليفا، وأدما، يجلس أو ينام عليه!

وهذا سنن خير، كان قد تلقاه أبو الحسن والحسين، وعن أخيه الفاروق، سننا وهديا حسنا، وحين لم ينزل على القصر الأبيض!

وحين نزل أبو الحسن والحسين الكوفة، وأشاروا عليه أن ينزل في هذا القصر الأبيض، وإنما رفض؛ وحين قال قوله هذا: إن عمر بن الخطاب كان يكره نزوله، فأنا أكرهه لذلك.

ولأن عمر الفاروق هذا، هو الذي بكى يوما، وحين وجد النبي محمدا صلى عليه وسلم، مضطجعا على رمال حصير، ليس بينه وبينه فراش، قد أثر الرمال بجنبه، متكئا على وسادة من أدم حشوها ليف!

وهذا الذي كان منه دعاؤه النبي محمدا صلى عليه وآله وسلم: ادع فليوسع على أمتك؛ فإن فارس والروم وسع عليهم، وأعطوا الدنيا وهم لا يعبدون !

وما أبكاك يوم الخطاب؟! ولما كان منه رده أنه رأى القياصرة وقصورهم وأنه راقب الكياسرة ودثرهم!

وإنما قد وعى الدرس الفاروق وحين ألقى هذا النبي صلى عليه وآله وسلم قوله هذا: أَوَفِي شَكٍّ أَنْتَ يا ابْنَ الخَطَّابِ؟! أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لهمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا[١٤٧].

وهكذا كان إسلامنا قد راح إلى هناك، وإلى حيث أذربيجان!

([١٤٧])صحيح البخاري: ٢٤٦٨

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ويكأنه قد حان وقت طلب البيعة من معاوية، وحين لم يسارع هو بإنفاذها، للأمير الجديد، والخليفة المنيف!

وحين كانت مبادرة من جرير بن عبد ، أن يروح هو إلى معاوية؛ ولأنه بينهما ود، يمكن أن يكون سبيلا، ممهدا، وموطئا، ومسهلا، طريقا إلى هذه البيعة، وإعادة الصف الإسلامي المكلوم إلى هنأته، ووحدته، ولحمته.

وهو الذي كان منه مسيره إلى الشام.

ولما باء مسعاه الحسن هذا بكفي حنين!

وإذ كان طلب معاوية، ومن بعد استشارة عصبته، وملائه، ألا يبايعوا عليا، وإلا من بعد أن يقتص من قتلة عثمان، أو أن يسلمهم إياهم؛ ليقودوا هم منهم!

وهذا، وكما أنف، افتئات على السلطان والإمارة. وما أحد قال به من أهل العلم والجدارة!

وكان معروفا مسلك الرجل، وحين تحين التوقيت الملائم، ولأنه لأحرص منهم على القصاص، لعثمان بن عفان ذي النورين!

ولكنه وريثما تتمهد طرق رآها وعرة!

وهذا الذي كان منه خروج أبي الحسن والحسين؛ لمقابلة معاوية؛ ولعله أن يفيء، فيرجع، ويبايع هذا الخليفة الجديد، وألا يشق عصا من طاعة!

وهكذا حل فصل جديد لملاقاة الأصحاب! ويوم لم تجف دماء يوم قبة هودج الجمل بعد! وإنا لله وإنا إليه راجعون!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وليخرج أبو الحسن؛ ومواجهة معاوية!

الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسيا منسيا

هذا ثناء أبي الحسن والحسين على ربه تعالى.

وما أحسن أن يثني عبد على مولاه؛ وحين كان خالقه، ومسديه، وهاديه، وحاديه!

ولكن عظة، عبرة، ويكأنها موعظة تذرف منها العيون!

وحين خرج هذا الولي الأمير لمقابلة معاوية، وإلا أنه قدر له أن يخرج إليه أحد الرهبان، ومن خبره له، ومن نبأه هو، الذي كان منه حجة تعالى على القوم، والناس أجمعين، بصحة نبأ القرآن، أنه هذا النبي الأمي العربي الأمي القرشي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل، وكما قال تعالى ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

وهذه دعوة، ومن خلال قولنا هذا، أن يخرج الناس ما لديهم من هكذا مكنونات كتبهم! وسيجدون خيرا، عنه قد أخبروا، ومن ثم عليهم له أن يذعنوا.

وإن ملكا لن يبخسوه، وحين كانوا على الطريق، ولما لم يخالفوه.

وهذا الذي كان منه طمأنة هذا النبي محمد صلى عليه وسلم، للمقوقس عظيم القبط، في الإسكندرية، ولما كانت هذه له رسالته، وحين عليه منه حجته: «بسم الرحمن الرحيم» من محمد

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عبد ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم أهل القبط. يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ[148] .

وهذا كتاب قد سجله التاريخ! وإن القوم لمدعوون، ومرة أخرى، أن يخرجوه، وإن الرجوع إلى الحق، خير من التمادي في الباطل!

وحين كانت هذه أيضا، ومن ثم منقبة منضافة، إلى هذا أبي الحسن والحسين، الذي قد بشر بالجنة آنفا!

وإنما هذه صولة حق جديد، تقف بنا على كم كان الحق له، ومعه، ومذ يوم قبة هودج الجمل وإلى يوم صفين هذا أيضا!

وإذ كان لمعاوية رضي تعالى عنه أن يصل إليه درس مصالحة عالمية علنية كانت قد تمكن لواؤها بين صنوي بيت النبوة: أم المؤمنين عائش، وأخوها زوج فاطم بنت النبي صلى عليه وآله وسلم!

ولكنه هو هذا الابتلاء، الذي كان قد أنبا عنه هذا الراهب أيضا؛ ومن وقوع الخلاف، الذي ولطالما كان سبيلا للناس! وحين قال تعالى أيضا ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [سورة هود: ١١٨].

وهذا الذي يكون منه عدم عض على الدنيا، وإنما منه، هو هذا التعلق بالآخرة، تعلقها اللائق، ولو بشيء من قيمتها!

---

(١٤٨) زاد المعاد، ابن القيم: ٣/ ٦١

www.sadah.net

وهذه صحيفة الرجل كاملة نزفها إلى القوم زفا، وإلى العالمين دفا دفا:

شهادة راهب بالحق

قال الراهب: بسم الرحمن الرحيم الذي قضى فيما قضى وسطر فيما سطر، وكتب فيما كتب أنه باعث في الأميين رسولا منهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويدلهم على سبيل ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون على كل شرف، وفي كل صعود وهبوط، تذل ألسنتهم بالتهليل والتكبير، وينصره على كل من ناوأه، فإذا توفاه اختلفت أمته، ثم اجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء ، ثم اختلفت ثم يمر رجل من أمته بشاطئ هذا الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقضي بالحق، ولا ينكس الحكم.

الدنيا أهون عليه من الرماد أو قال التراب - في يوم عصفت فيه الريح - والموت أهون عليه من شرب الماء، يخاف في السر، وينصح في العلانية، ولا يخاف في لومة لائم، فمن أدرك ذلك النبي من أهل البلاد فآمن به كان ثوابه رضواني والجنة، ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره فإن القتل معه شهادة.

ثم قال لعلي: فأنا أصاحبك فلا أفارقك حتى يصيبني ما أصابك.

فبكى علي ثم قال: الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسيا منسيا، والحمد لله الذي ذكرني عنده في كتب الأبرار[١٤٩].

---

(١٤٩)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٢٨٣

www.sadah.net

ولكن صابرهم حتى آتينك

هذه وصية أبي الحسن والحسين، وحين التقت الفئتان المؤمنتان!

ولكنه مصابرة، وأيضا وألا يبدأهم بقتال، وإلا أن يقاتلوهم!

وألا يقرب منه اقتراب الذي يفهم منه أنه يريد مقاتلة!

ولا يبتعد عنهم ابتعاد من يظن أنه تولي من الزحف، فيطمع الطرف الآخر فيه!

وهذا فن عسكري باهر.

ولطالما كانت قد تحلت به العسكرية الإسلامية، ومن عهودها أبدا، ولا سيما حال التقاء فئتين مؤمنتين، كانتا قد خالل الشيطان خلالهما!

أهمية اتخاذ المو اقع العسكرية

وحين تقابل الأخوان! ولما التقى أهل الإيمان!

وإلا أنه كان قد اتخذ معاوية رضي عنه مكان الماء والوسع والفسحة!

ولما ورد أحد أتباع أبي الحسن والحسين الماء، فتقاتل الناس؛ وحين منعوا شرابهم!

وكان هذا هو إعلان بدء، ما كان من قلب أن ينفطر، وما منه لب أن ينخلع! وحين عمل الشيطان خلالهم، ومن كمثل يوم عائش وأخاها عليا!

ولكنه تعالى كان قد شرح الصدور، أن يصطلح الإخوان في العقيدة والرؤية على الماء!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

معاوية يعقد مجلس شورى الماء!

وهذا سبيل هذه الأمة، ولما كانت الشورى سننا لهم وهديا حسنا، وإن في أي ظرف قد عايشوه!

وحين جمع معاوية المقربين إليه يوم صفين؛ وحول رؤيتهم منع الماء، أو التصريح لأتباع أبي الحسن والحسين أن يردوه، ومن كمثلهم أيضا.

وحين كان أتباع معاوية، من الناس يومها على أقوال:

١- ألا يردوها فيمنعونها كما منعوه عثمان أربعين يوما! وهذا قول الوليد.

٢- أن يوردوا كمثلهم فلا؛ فنأثم لعدم ريهم! وهذا قول عمرو بن العاص.

٣- أن يمنعوه إلى الليل، ولعلهم أن يعودوا إلى أدراجهم! وهذا قول عبد بن سعد بن أبي سرح. وهذا فن عسكري باهر، لإرغام الخصم على الموادعة والمصالحة والسلم.

وهكذا تشتم رائحة زكمة للقتال، ومن لدن كلا الفريقين!

ولكنه هو ذاك عمل الشيطان، وحين أحدث خلالهم، يبغيهم الفتنة!

وظل هكذا تشاورهم، ولما لم يبد معاوية رأيا، وإلا قد باغتهم أتباع أبي الحسن والحسين، على الماء، والذي كان منه سبيلهم على الصلح، ألا يمنعن أحد الفريقين أخاه، عن الورود على الماء!

رسل الصلح

حاول بعض المصلحين، أن يصلحوا، ما بين الأخوين، ومن تذكير معاوية ب تعالى، وأن ينهض عن الدنيا، إلى الآخرة. ولكنه أصر، على النيل من قتلة عثمان، وإلا...

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وحينها التقى الأخوان، و غالب على أمره!

ثم تداعى الناس للمتاركة في شهر المحرم؛ ولعل تعالى أن يصلح بينهما صلحا!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الباب الثالث

أحداث السنة السابعة والثلاثين

الفصل الأول

عمل الدبلوماسية

وهكذا مر شهر ذي الحجة حربا بين الفريقين الأخوين!

وهكذا كانت حلول المرحمة، وحين وقعت هدنة، مرغوبة، مطلوبة، بين الفريقين الأخوين، الصحابيين! أني عم النبي محمد صلى عليه وآله وسلم.

وهكذا كان الفرات، هبة السماء، مرتعا لحرب بين الأخوين!

وهكذا أوقع الشطان بين طائفتين من المؤمنين وقيعت!

ومن بعد أن أوقع بين أم المؤمنين، وابن عم زوجها! هو هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم!

وهكذا كانت صفين تاريخا، لموقعة آثرت ألا تكون، ومن بين عباد المؤمنين، وهم إذ يفتحون بلدا هنا وبلدا آخر هناك. وها هو إبليس ليس يدعهم، وإلا كما قال هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم: إنَّ الشَّيْطانَ قدْ أيِسَ أنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ في جَزِيرَةِ العَرَبِ، ولَكِنْ في التَّحْرِيشِ بيْنَهُمْ[١٥٠].

([١٥٠])صحيح مسلم: ٢٨١٢

يوم صفين أنموذج

ودلنا على رغبة كاسرة صادقة لدى الفريقين الأخوين، على الصلح، ودرء مفسدة الحرب، ولين الجانب، وجمع الكلمة، وإصلاح ذات بينهما، ما به قد أرسل أبو الحسن والحسين جمعا من أتباعه؛ قياما بهكذا الدور، الذي يمكن أن يكون معدودا، من عداد هذا العمل الدبلوماسي الإسلامي العريق والذي يسمونه في عهد الناس مبعوث النوايا الحسنة. أو المساعي الحميدة.

وحين تكلم كل واحد منهم، بما قد أملاه عليه برهان قلبه، ومن حاجة أناس كلهم، إلى الوحدة، والصلح، والتصافي، والبعد عن كل ما يكون سببا للفرقة بين جماعة المؤمنين، يومهم هذا، وليكون عبرة، وسبيلا، لمن جاء بعدهم من المؤمنين أيضا!

رد معاوية

ولكن معاوية كان أبلغ، ويكأنه كان أحرص، على جمع الكلمة، ورأب الصدع، وداعية الخلاف.

وحين أوضح أنه مع الجماعة، وأن نعم، وإنما يرد أن يقتص من قتلة ذي النورين، هو أو أن يسلمه إياهم، ويقوم هو بواجب القصاص!

وأيا ما كان الأمر عليه، فإن هذه فتنة، كما قد وضح آنفا، ومنه تعالى التجاوز عن كلا الطرفين، وأن يجعل اجتهادهم مأجورا لا معذورا.

ومن إصرار كل على ذات رأيه، ومنه جاءت فرصة إبليس ،إلى حيث عندهم تفريقا لا ائتلافا!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

من المساعي الحميدة (١)

عمل القراء

وهذا عمل خير منضافا أيضا!

وهذا عمل أهل القرآن، وكلهم كانوا أهل قرآن!

وإلا أن هذا مجد آخر، كان مجيدا، ولعل ربنا تعالى، أن يجعل على أيديهم الخير!

وحدث في هذا الجولة أخذ ورد كثير، بين الأخوين، المؤمنين، الصحابيين، ولدي العم!

وحين ذكر التاريخ أن مداولات هذا المرحلة، قد بلغت ثلاثة أشهر هي: شهر ربيع الآخر والجمادان، ويقرعون في غضون ذلك القرعة بعد القرعة، ويزحف بعضهم على بعض، ويحجز بينهم القراء، فلا يكون قتال.

قال: فقرعوا في ثلاثة أشهر خمسة وثمانين قرعة[١٥١].

المساعي الحميدة (٢)

المساعي الحميدة لأبي الدرداء، و أبي أمامة

وهذا فصل آخر ضافيا!

([١٥١])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٢٨٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وكان أجدر بهكذا الصحب أن يعملوا عملهم هذا، ولا يركنن أحد؛ منسلا من مسؤولية الصلح، وما أمكنه ذلك.

ولأن من كانت هذه شاكلته، وإنما أجره إلى تعالى.

وليس إحسانا أعظم، ومن هكذا باب تسد فيه أبواب الفتن، بالمغاليق.

وحين لم تفلح محاولاتهما، فاعتزلا القوم من طرفيهما!

دهاء معاوية!

وحين كان معروفا عنه معاوية هذا دهاؤه وذكاؤه ودربته في جانبي الحرب والسلم.

وهذه خطته؛ للإثارة، وهذا عمله؛ ومن خدعة الإغارة!

وحين خشي أي يبايع القراء عليا! فيفوت عليه أمر عظيم!

وقفة عند عمل القراء

إن القراء في نظر الناس، مقدرون، ومعظمون، ومحبوبون، وموقرون!

ومنه تعمل فئات الناس، ولا سيما الأمراء منهم، على استدعاء خططهم، ومن خلالهم!

وهذا شأن لا غبار عليه، وحين كان معروفا، أو صدقة، أو إصلاحا بين الناس. ولأن تعالى قال ﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [سورة النساء: ١١٤].

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومنه كان عمل معاوية هذا؛ ولأنهم إذا بايعوه، ولعل بناءه كله، ولسوف ينهال!

وحين رمى بقوله هذا: يا معشر أهل العراق! إن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات ليغرقكم فخذوا حذركم، ورمى به في جيش أهل العراق[١٥٢].

وأكد خدعته ببعث مائتين من رجاله يحفرون بالفرات جانبه! ولإثارة الفرقاء!

ولكن عليا كان أدهى

وحين بلغ الأمر أبا الحسن، هدهدهم! وبأن هذه خدعة حربية؛ للإخافة، وعمل دهائي؛ للإثارة؛ كيما تغيروا، فتكونوا أنتم البادئون! فخذوا حذركم!

وكان من بلاغته، قوله هذا: إن هذا ما لا يكون!

ومن بعد نظر عسكري ماهر، ومن قرار إداري باهر!

وحين فزع الناس إلى أبي الحسن والحسين، فقال: ويحكم! إنه يريد خديعتكم ليزيلكم عن مكانكم هذا، وينزل فيه لأنه خير من مكانه.

وهذا فن عسكري آخر ضافيا، من كل من الصحابيين، الأخوين، المؤمنين ابني العم!

ثم وقع ما كان قدرا مقدورا، ومن وقعة الحرب بينهما! وطيلة شهر ذي الحجة، المحرم أيضا!

([١٥٢])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٢٨٨

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

من أخلاق الحرب في ديننا

وحين حميت المواجهة، وحتى ذكر التاريخ أنهم كان يمكن أن يتحاربوا مرتين في اليوم الواحد!

ومن تنظيم جهوي واع أيضا!

وإلا انه هنالك قواعد أخلاقية كانت سننا وهديا حسنا للحرب في هذا الدين، ومنها:

١- ألا يبدأوا واحدا بالقتال حتى يبدأ أهل الشام.

٢- وأنه لا يذفف على جريح.

٣- ولا يتبع مدبر.

٤- ولا يكشف ستر امرأة ولا تهان، وإن شتمت أمراء الناس وصلحائهم.

خطبة معاوية للتعبئة

وكل حال، وبقطع النظر عما يختلج في صدورنا، ويدمع قلوبنا، ومن قبل أعيننا، وحين نذكر هذا!

وإلا أنه من باب الناحية العسكرية البحتة، فإن هذا عمل تعبوي قدير!

وحين يفعل عمل التعبئة في الجنود عمله، ومن ثم يقومون، بلا خوف، ويقدمون دون وجل!

وقد ذكر التاريخ هكذا خطة معاوية التعبوية هذه، ومن قوله هذا: أيها الناس! و ما أصبت الشام إلا بالطاعة، ولا أضبط حرب أهل العراق إلا بالصبر ولا أكابد أهل الحجاز إلا باللطف، وقد تهيأتم وسرتم لتمنعوا الشام، وتأخذوا العراق.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وسار القوم ليمنعوا العراق ويأخذوا الشام، ولعمري ما للشام رجال العراق ولا أموالها، ولا للعراق خبرة أهل الشام ولا بصائرها، مع أن القوم وبعدهم أعدادهم، وليس بعدكم غيركم فإن غلبتموهم لم تغلبوا إلا من أناتكم، وإن غلبوكم غلبوا من بعدكم والقوم لاقوكم بكيد أهل العراق، ورقة أهل اليمن وبصائر أهل الحجاز، وقسوة أهل مصر، وإنما ينصر غدا من ينصر اليوم { اسْتَعِينُوا بِ وَاصْبِرُوا } [الأعراف: ١٢٨] ، { إِنَّ مَعَ الصَّابِرِينَ }. [البقرة: ١٥٣][١٥٣].

علم نبوة ضاف

شاع مقتل عمار بن ياسر يوم قبة الهودج.

واليوم في صفين قد قتل، وأن نعم!

واستشهد، وأن نعم!

لأننا يمكن أن نحسب حساب الشهادة للمتأول تأويلا سائغا!

ولأنه هذا علم آخر ضاف منضافا من أعلام نبوة هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم، وحين ذكر يوما، أن عمار بن ياسر سوف تقتله الفئة الباغية!

فعَنْ عِكْرِمَةَ، قالَ لي ابنُ عَبَّاسٍ ولِابْنِهِ عَلِيٍّ: انْطَلِقَا إلى أبِي سَعِيدٍ فَاسْمعا مِن حَدِيثِهِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هو في حَائِطٍ يُصْلِحُهُ، فأخَذَ رِدَاءَهُ فَاحْتَبَى، ثُمَّ أنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حتَّى أتَى ذِكْرُ بنَاءِ المَسْجِدِ، فَقالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النبيُّ صَلَّى عليه وسلَّمَ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عنْه، ويقولُ:

([١٥٣])تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر: ج٦٥ / ١٥٢

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ويْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إلى الجَنَّةِ، ويَدْعُونَهُ إلى النَّارِ. قالَ: يقولُ عَمَّارٌ: أعُوذُ ب مِنَ الفِتَنِ[١٥٤].

ومنه تنجلي حقيقة بغي معاوية، وصفه، وجيشه، وجنده!

وليس يخرجهم كلهم ذلك عن مسمى الإيمان؛ ولأنه تعالى ذكر المؤمنين بوصفهم هذا هو الإيمان وإن اقتتلوا ومما أنف ومن قوله تعالى ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ ۚ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ۖ إِنَّ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

ولأنهم أصحاب نبينا محمد صلى عليه وآله وسلم أيضا، ومما أنف ذكره غير مرة.

عن ابن مسعود قال: قال رسول ﷺ: « إن رحى الإسلام ستزول لخمس وثلاثين أو ست وثلاثين فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما.

فقال عمر: يا رسول ، أمما مضى؟ أم مما بقي؟

قال: « بل مما بقي ».

(إن عمارا تقتله الفئة الباغية) ليس نصا في أن هذا اللفظ لمعاوية وأصحابه؛ بل يمكن أنه أريد به تلك العصابة التي حملت عليه حتى قتلته، وهي طائفة من العسكر، ومن رضي بقتل عمار كان

([١٥٤])صحيح البخاري: ٤٤٧

السداد للفكر والثقافة
www.sadalu.net

حكمه حكمها. ومن المعلوم أنه كان في المعسكر من لم يرض بقتل عمار: كعبد بن عمرو بن العاص وغيره ؛ بل كل الناس كانوا منكرين لقتل عمار، حتى معاوية، وعمرو "[١٥٥].

ولأن قلب كل مسلم غيور ليتفطر، وليكاد أن ينخلع، ومما حدثه التاريخ عن أولاء صحب كرام بررة.

ولكن تسرية؛ ومما حدث، هو هذا علم النبوة الضافي أيضا، وحين كان قدرا مقدورا.

فعن أبي البختري، أن عمار بن ياسر، أتي بشربة من لبن، فضحك فقيل له: ما يضحكك، فقال: إن رسول صلى عليه وسلم قال: آخر شراب أشربه حين أموت[١٥٦].

ومنه حديث: خطبنا عليٌّ رضي عنه فقال: مَن خيرِ هذهِ الأمةِ بعد نبيِّها فقلت : أنت يا أميرَ المؤمنينَ قال: لا خيرُ هذه الأمة بعد نبيِّها أبو بكرٍ ثمَّ عمرَ رضي عنه وما نبعد أنَّ السكينةَ تنطقُ على لسانِ عمرَ رضي عنه[١٥٧].

ولكن تأويلا عجبا! وحين أراد معاوية الخروج من تبعة قتل عمار وحين القى بالتبعة على علي أبي الحسن والحسين ومن قوله هذا: إنما قتله من أخرجه، يخدع بذلك أهل الشام[١٥٨].

واعلم أن الدماء التي جرت بين الصحابة رضي عنهم ليست بداخلة في هذا الوعيد – يعني قول النبي صلى عليه وسلم: إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار -، ومذهب أهل السنة والحق إحسان الظن بهم، والإمساك عما شجر بينهم، وتأويل قتالهم، وأنهم مجتهدون

([١٥٥])مجموع الفتاوى، ابن تيمية: (٣٥ / ٧٧) .
([١٥٦]) المستدرك على الصحيحين، الحاكم: ٥٦٩٠. وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه
([١٥٧])تخريج المسند، أحمد شاكر: ١٤٧/٢، خلاصة حكم المحدث: إسناده صحيح.
([١٥٨])

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

متأولون لم يقصدوا معصية، ولا محض الدنيا، بل اعتقد كل فريق أنه المحق، ومخالفه باغ، فوجب عليه قتاله ليرجع إلى أمر ، وكان بعضهم مصيبا وبعضهم مخطئا معذورا في الخطأ، لأنه لاجتهادٍ، والمجتهد إذا أخطأ لا إثم عليه "[١٥٩].

وعليه يحمل حديث الإمام البخاري الأنف أيضا[١٦٠].

ليلة الهرير!

وذلك ان حربا قد أقيم سوقها دأبا نكدا بين فريقي المؤمنين الأخوين الصاحبيين ابني العم: معاوية بن أبي سفيان وعلي بن أبي طالب!

وحين اشتد قتالهم، وحمي وطيسهم، وكثر شهداؤهم، واستمر طيلة ليلهم! ولما تقصفت رماحهم! ونفذت نبالهم! وصاروا إلى سيوفهم.

ومنه كانت تسمية تلك الليلة: ليلة الهرير.

وهرير الكلب: صوته وهو دون النباح من قلة صبره على البرد[١٦١].

بيننا وبينكم كتاب

وحين أتت حربهم على أخضرهم ويابسهم!

وكان من ولوج النصر دار العراق!

([١٥٩])المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي: (١١/١٨).
([١٦٠])صحيح البخاري: ٤٤٧
([١٦١])لسان العرب، ابن منظور: ج ٥ / ٢٦٠

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وحين أشاروا على معاوية برفع المصحف؛ شارة الاهتداء، وإلى صلح يحكم فيه بكتاب السماء!

وحين قال ربنا تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٣].

وكانت موافقة معاوية.

وكان هذا رد أبي الحسن والحسين علي وحين قال قوله هذا: نعم أنا أولى بذلك، بيننا وبينكم كتاب .

وظهرت الخوارج!

وهذه نابتة الخوارج، كانت قد ظهرت، وتألبت، وأبت على علي قبول صلحه، أو يأوي إلى سلمه، وبدل هذا الذي كان من حربه، وقتاله!

ولكن تعالى كان قد سخر سهل بن حنيف، وهو أحد رسل الصلح، ومن بعدها كان إسلام وجهه، إلى تعالى وهو محسن؛ وليقول كلمة التاريخ، وأنه ليس صلح بين الناس، وإلا كان خيرا، وفضلا عن أن يكون بين فريقين من المؤمنين اقتتلا!

وحين كان منه قوله التاريخي المجيد هذا: كنا بصفين، فقام سهل بن حنيف، فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم، فإنا كنا مع رسول صلى عليه وسلم يوم الحديبية، ولو نرى قتالا لقاتلنا، فجاء عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول ، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: بلى. فقال: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، أنرجع ولما يحكم بيننا وبينهم؟ فقال: يا بن الخطاب، إني رسول ، ولن يضيعني أبدا، فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

له مثل ما قال للنبي صلى عليه وسلم، فقال: إنه رسول ، ولن يضيعه أبدا، فنزلت سورة الفتح فقرأها رسول صلى عليه وسلم على عمر إلى آخرها، فقال عمر: يا رسول ، أو فتح هو؟ قال: نعم[١٦٢].

(١٦٢)صحيح البخاري: ٣١٨٢

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفصل الثاني

أبو الحسن والحسين والخوارج

وحين رفع أهل الشام، أتباع معاوية، المصاحف، وإنما تلقى نفر ممن هم قد والوا أبا الحسن والحسين هذا النبأ بترحابه!

ولكن أبا الحسن كانت له وجهة أخرى؛ ولأنه أعلم بالقوم؛ ولمشوار طويل جمعهم؛ ولأنهما من بطن واحدة من بطون قريش!

ولأن الناس معادن؛ فقد شكك أبو الحسن في مصداقية رفع المصاحف ابتداء!

وإنهم ما رفعوها إلا إحراجا، وكما قد كان منهم خدعة نصب الكمين لأهل العراق! وأن يبدأوا هم بالحرب! ومما أنف ذكره في معالجة واقعة صفين. ولا زلنا نعالجها وآثارها!

ولكن القوم، ولربما كانت لديهم هذه الحماسة؛ ولعلها من صدق نية أيضا، وأذ كيف لا يجيبون من رفع الكتاب؟!

وعلى ؛ كيما لا يحاجوهم دنياهم، فيما لو حصل تحقيق، أو أن تعالى يؤاخذهم، يوم لقائه أيضا: ولم لم تقبلوا وتجيبوا، ولا عليكم من النوايا، وإلا إذا وددتم أمرا قاطعا، لكم فيه من تعالى برهان!

ومن هذين الجانبين كانت هذه وجهتهم.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وكان من وجهة أبي الحسن أنه وإنما دعاهم، ولازال يدعوهم، وإلى وقت مقالتهم تلك، إلى كتاب تعالى!

وإلا أن القوم قد لبس عليهم أيضا.

ومنه كان نداؤهم بالتهديد والوعيد، لأميرهم أمير المؤمنين! وأن يسحب جيشه، وألا يقاتل أهل الشام، وإلا فعلوا به ما فعل بذي النورين!

وهذه، وكما قد قلنا فتنة! يصير، فيها؛ وفيها الحليم حيران! وإنا لله وإنا إليه راجعون!

ومنه دعا أبو الحسن والحسين إلى عودة الجيش إلى ثكناته؛ وليعطي فرصة الإمهال، وعمل المصابرة، وجيد المحاولة!

ولكن الأشتر النخعي، كان قد بدت له أراء، أن يكمل مشوار المقاتلة؛ ولأنهم وقد أصبحوا قاب قوسين أو أدنى لإحراز النصر المبين!

ومن بعد مداولات ومراجعات؛ عاد الأشتر، ومن بعد كفه عن القتال، وعقد ختمة يوم صفين هذا!

ومن بعد حرب طال أمدها وإلى مائة وعشرين يوما! كأثر تقدير! أو سبعين يوما على أقله! وبين فئتين مؤمنتين!

ومن بعد علمه أن القوم يريدون أن يصطادوا في مائهم العكر! وكما قد فعلوا بذي النورين!

وهذه واقعة راح فيها سبعون ألفا! وبقطع النظر عن خمسة وأربعين ألفا من أهل الشام وخمسة وعشرين ألفا من أهل العراق!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإلا أن الجميع دماؤهم متكافئة، ومن نص خطبة وداع هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم، يوم حجته، التي كانت هي الأولى، وكما انها كانت هي الآخرة أيضا!

وهذا الذي كان منه موجب أن يقبل أبو الحسن صلحا، وأن يمسك ولو بشعرة واحدة تؤدي مؤدى الصلح هذا!

علم نبوة ضاف

وهذا الذي قد أنباه هو هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم وكما قد حكينا غير مرة ومن قوله صلى عليه وسلم أيضا: لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان، يكون بينهما مقتلة عظيمة، دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون، قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول ، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج، وهو القتل، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه عليه، فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه! وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس -يعني آمنوا- أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرا، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها[١٦٣].

---

(١٦٣)صحيح البخاري: ٧١٢١

وإن يقتتلوا يركبوا سنن من كان قبلهم

هذا تحذير نبوي، وهذ إلف رسولي؛ ولأن الخلاف شر، ولأن الوحدة خير.

ومنه كان علمنا هذا عن نبينا محمد صلى عليه وآله وسلم هذا!

ولكنه وماذا أنت قائل، وحين ينفث إبليس، ولما كان من ونفخه، ودخنه، ولمزه، وخطله، هو هذا!

ولأن السقوط، وإنما تكون أولى دركاته، هو هذا الاختلاف التضاد لا الاختلاف التنوع!

وفرق بينهما هائل!

وحين يتحول الخلاف إلى قتال، وإنه ليس يسعنا وضعه دائرة خلاف التنوع!

وإلا ما أدى إلى ما أدى إليه من تقاتل!

فعن عبد بن مسعود: تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين ، أو ست وثلاثين ، أو سبع وثلاثين ، فإن يهلكوا فسبيل من هلك ، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عاما . قال : قلت : أمما بقي أو مما مضى ؟ قال : مما مضى[١٦٤].

سيجيء قوم لا يفهمون القرآن كما نفهمه!

هذا نبأ من حبر الأمة وترجمان القرآن عبد بن عباس!

وهذه بادرة خير من ابن عباس الخير!

([١٦٤])صحيح أبي داود، الألباني: ٤٢٥٤

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ولأن الرجل، وحين كان قد تربي على مائدة هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم.

ومنه فليس هنالك مجال له، أو لسواه، أن يفهم القرآن، وإلا من حيث قد بينه هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم.

ومنه تبين أهمية الحذر والخوف والوجل، وعند التعرض لهذا القرآن العظيم؛ ولأنه حمل، ولكنه يسر أيضا.

وإنما فقهه، وإنما يلزمه، هو ذلكم التجرد، وهو ذلكم دعاؤه تعالى أن يثبت عبدا، قد تعرض لهذا القرآن؛ ولأنه مبين، وموقع عن ربه تعالى ومولاه الحق المبين.

﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٥]

هذا علم قرآني قدري!

وهذا علم نبوي قدري!

ومنهما يكون الوجد، وعليهما مدار دائرتي الخوف والوجل!

وإن الناس لمدعوون، أن يتخذا هذا نبأ قرآنيا وعلما نبويا وأن نعم وإنما على بابه ومن حيث كونه أمرا قدرا فيعملون على وحدتهم ويأخذون بأسباب التحامهم والتئام لحمتهم وصفوفهم وكيما لا يتخذ هذا ذريعة ولان تعالى قال قوله هذا﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥].

أو ولأن النبي محمدا صلى عليه وآله وسلم قال قوله هذا أيضا: صلى رسول صلى عليه وسلم صلاة فأطالها، قالوا: يا رسول ، صليت صلاة لم تكن تصليها، قال: أجل إنها صلاة رغبة ورهبة، إني سألت فيها ثلاثا فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أن لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها، وسألته أن لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها[١٦٥].

وهل ومن كمثله هذا هو الذي روي عن كعب الأحبار: أنه مر بصفين فرأى حجارتها فقال: لقد اقتتل في هذا الموضع بنو إسرائيل تسع مرات وإن العرب ستقتتل فيها العاشرة حتى يتقاذفوا بالحجارة التي تقاذف فيها بنو إسرائيل ويتفانوا كما تفانوا؟[١٦٦]!

([١٦٥])صحيح الترمذي، الألباني: ٢١٧٥

([١٦٦])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٣٠٥

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

الفصل الثالث

التحكيم

وكان عنوانها قول الناس: لا حكم إلا لله!

فقال أبو الحسن والحسين: كلمة حق يراد بها باطل!

وكانت هذه المسألة من المسائل الهامة في قضية أمير المؤمنين أبي الحسن والحين مع أهل الشام.

وحينا تفق الطرفان أن ينيب أبو الحسن أبا موسى الأشعري، وأن ينيب أبو يزيد معاوية عمرو بن العاص. وأن اتفاقهما كان على إعمال ما نص عليه القرآن أو حديث النبي المصطفى العدنان!

وهذا داب الأولين، وهذا عمل الصالحين، وعلى كل حال.

وحين أرادوا أن يكتبوا عقد المعاهدة، وحين رفض عمرو بن العاص أن يكتب علي أمير المؤمنين بوصفه هذا، وإنما يكتب علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان!

وحينها اعترض الأحنف بن قيس !

وإلا أن أبا الحسن كان أفطن، وحين وافق؛ ولأن له سننا وهديا حسنا؛ ومما قد جرى يوم صلح الحديبية، ولأنه كان حاضره، وكاتبه، وحين اعترضت قريش، أن يكتب وصف النبي على أنه رسول !

وحين وافق النبي؛ ومن باب المصلحة، فقد وافق أبو الحسن، ومن باب المصلحة أيضا!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وهذا فقه علوي، وهذا أدب أميري!

ولأنه أبا الحسن يعلم قوله تعالى﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

وكان منه العهد عليهما الالتزام، وألا ينقض أحدهما ما اتفق عليه، وأنهما يأمنان كل على ذات نفسه وأهله معا.

علم نبوة ضاف

تفترق الأمة إلى فرقتين!

وهذا علم نبوة ضاف إضافي!

وحين كان هذا النبي محمد صلى عليه وسلم وحينا ومن بعد حين آخر، يسدينا، ومن كمثل هذه أعلام نبوته؛

وحين كان منه هو هكذا افتراق هذه الأمة، إلى فرقتين، وهذا أولا!

ولما كانت تقتل إحداهما الأخرى، وهذا ثانيا!

وحين كانت القاتلة أدناهما إلى الحق، وهذا ثالثا!

ولما كانت المقتولة هي أبعدهما عن الحق، وهذا رابعا!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وفيه هو هذا الذي أنبأ عنه النبي، ومن أنهما يعلنان بحق، وإن مال إلى إحداهما أقرب، وهذا خامسا!

بعث ابن عباس للتحكيم

وإنما كان هذا التحكيم قسما آخر!

وحين انشق عن أمير المؤمنين من اعترضوا على معاهدة الصلح بينه وبين معاوية!

وهذا شأن عظيم وحين كاتن توفيقا من أبي الحسن، أن يختار، ونعما ما اختار!

ولأن هذا الرجل الإمام الحبر الترجمان، وإنه لعلى علم!

ومنه فيختار للمهام العظام أهلها!

وحين كان من شأن انحياز عدد غفير من جيش أبي الحسن والحسين! ومن اثني عشر ألفا إلى ستة عشر الفا!

وهذا نذير أن يقبض الإمام على قلبه؛ وحذر انفلات الأمور، من بين يديه!

وهذه حكمة الأمير، وحين تنشب ناشبة، وإنما يجمع لها مجلس الأمن القومي؛ ولمعالجة الأمور، ومن حكمة، ومن أهل الحكمة أيضا!

إن مجابهة الفتن بفتن مثلها نذير بؤس!

إن مقابلة الفتن بالحكمة والموعظة الحسنة دين! وعمل رشيد، وسبيل سديد!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

إن نفرا من الأمراء، وحين يركب رأسه، وألا يستكن إلى الحكمة، فنذيره هو هكذا انفلات الأمور، ومن بين يديه، وإن أمده خياله، أن القوة الباطشة، طريق نجاة، سفينته، المؤتمن عليها أن تصل بهم جميعا، إلى برور الهدأة والهناءة!

وهذه أمانة عليهم ألقيت، والمرجو هو أن يرعوها حق رعايتها!

وكيما يأتي تعالى الذين آمنوا منهم وأصلحوا أجرهم!

وانتصاب الأمير بنفسه أو من ينيبه لعظائم الأمور شرع.

وهذا الذي كان منه توجه الأمير علي إلى أولاء الخارجين بنفسه؛ ولعله أن يجد معهم طريقا قويما!

ولكنه ولما لم يؤت لقاؤه معهم أكله، وإذ كان هكذا إنابته لمثل هكذا مهمة، هو هذا الإمام الحبر الترجمان ابن عباس رضي تعالى عنهم أجمعين.

تلبيس إبليس!

وحين كان من عقده مع معاوية وعن طريق التحكيم وليس يقوم به إلا رجال صدقوا ما عاهدوا عليه!

وإلا أنه هو هكذا فعل إبليس!

وحين قذف شهبه عند الناس، وأن قد حكم أبو الحسن والحسين الرجال!

وحين كان عنوان فتنة؛ ومن قولهم هذا، ولما كان من حكمة أبي الحسن والحسين، أن قال قوله هذا: هذه كلمة حق يراد بها باطل!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وتناسى القوم أنهم خلفاء تعالى في أرضه، وقد خولهم ربهم تعالى، أن يقوموا بالحق، وبه يعدلون، وحينها كان تنفيذ هذا الشر، وإنما هو مخول للعبيد، خلفاء ربهم المجيد! ومه فقد كانت هذا دعاية تحمل، ومن بين جنباتها هو وسواس الشياطين!

وعليه وحين كان رد أمير المؤمنين، وأنه إذا كان رب العزة والجلال قد أمر بالإصلاح بين زوجين، ببعث حكم من أهله هو الزوج، وحكم من أهلها هي الزوجة!

وأيهما أعظم خطرا؟

أتهديد أسرة واحدة!

أم تهديد كيان دولة الأمة الراشدة؟!

ومنه كان إنفاذه أمر المعاهدة حكمة.

وعليه كانت مرة ذهابه إليهم بالغة!

ومنه كان إرساله ابن عباس حجة!

وهذا كله وإنما يصب في حكمة الأمير الوالي الرشيد، وإلا كيف كان راشدا!

وإنما أسماهم هذا النبي خلفاء مهديين راشدين.

وها هو إبليس ينفث في قوم تبع، أو هكذا يظن بهم، أنهم ليسوا بخلفاء، وأنهم ليسوا براشدين!

وهذا الذي أفهمه من حديث: أتينا العرباض بن سارية، وهو ممن نزل فيه ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه فسلمنا، وقلنا : أتيناك ؛ زائرين، وعائدين،

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومقتبسين. فقال العرباض: صلى بنا رسول صلى عليه وسلم ذات يوم، ثم أقبل علينا، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب . فقال قائل: يا رسول ! كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا ؟ فقال : أوصيكم بتقوى والسمع والطاعة وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة[١٦٧].

وشاهده قوله: فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين.

وحين كان بعث ابن عباس وإنما رجع وتاب وأناب قوم كثر، ولكن قوما آخرين لا زالوا!

موجز المناظرة وعناد أهل المكابرة!

١- قالوا: حكمت فينا الرجال والحكم ليس إلا لله!

قال ابن عباس :قال تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ بَيْنَهُمَاۗ إِنَّ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [سورة النساء: ٣٥].

وإذا كان قد أمر بتحكيم رجلين في امرأة ورجل أفلا يكون ذلك أدعى لشأن الدولة؟!

٢- قالوا: محا اسمه من وثيقة الصلح بينه وبين معاوية!

قال: فعلها نبيكم يوم الحديبية، وقال لنا، ولكم : ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: ٢١].

(١٦٧)صحيح أبي داود، الألباني: ٤٦٠٧

www.sadaħ.net

٣- قالوا: ولم يقسم الأموال والسبي! يوم الوقعة المسماة بالجمل!

قال: قد كان في السبي أم المؤمنين، فإن قلتم لست لكم بأمٍ فقد كفرتم، وإن استحللتم سبي أمهاتكم فقد كفرتم.

قال: فرجع منهم ألفان وخرج سائرهم فتقاتلوا.

٤- قالوا: جئت تلبس حلة!

قال: قال تعالى ﴿ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

براعة اختيار مكان وزمان المفاوضات

وحين كان من عزم أن يكون لقاء الحكمين عمرو بن العاص عن أهل العراق، وأبي موسى الأشعري عن أهل الشام!

ولما كان في رمضان على قول!

وهذه بلاغة الاختيار ومن جوانب:

الجانب الأول: اتخاذا مكان آمن، ليس يكون من محلة أحد المتخاصمين؛ وكيما يدلي كل فريق بما ذهب إليه، دون خوف أو وجل أو إحراج أو مجاملة!

ولما كان اختيارهم دومة الجندل مكانا لمفاوضاتهم.

إن التأثير في سير المفاوضات؛ ومن عامل المكان أمر ذو بال!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الجانب الثاني: اتخاذ الزمن المناسب؛ ولأنه يجلي القوب ويفتح لأفهام ويبصر الأنان! ومنه كان في رمضان أمرا مقدورا!

الجانب الثالث: تفويض حكمين مشهورين بالعدل والحكمة والنزاهة والورع!

وهذا الذي كان منه اتخاذ عمرو بن العاص وأبي موسى، وهما معروفان.

إن يحب العبد التقي الغني الخفي

هذا حجاج سعد، وحين اعتزل الأمر برمته!

وهو هذا المبشر بالجنة، ومن كمثل أبي الحسن بالجنة!

وحين رأى الفتنة قد ظهرت فأبى إلا يكون راعي غنمه وأولى له، ومن أن تلاك به ألسن، أو يزل به قدمه، وانتظاره الجنة، وعند ملاقاته ربه تعالى، أولى له!

وحين إمهاره وحجاجه، بقول هذا النبي محمد صلى عليه وآله وسلم هذا: ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يستشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به[١٦٨].

وفيه جواز الاعتزال وحينا تشرع ألسنة لهب الفتنة! وحيث قد وجد ومن أهل القبلتين من يمكنه الحكم بين الفرقاء!

([١٦٨])صحيح البخاري: ٣٦٠١

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومنه حديث: كان سعد بن أبي وقاص في إبله، فجاءه ابنه عمر، فلما رآه سعد قال: أعوذ ب من شر هذا الراكب، فنزل فقال له: أنزلت في إبلك وغنمك، وتركت الناس يتنازعون الملك بينهم؟ فضرب سعد في صدره، فقال: اسكت، سمعت رسول صلى عليه وسلم يقول: إن يحب العبد التقي، الغني، الخفي[١٦٩].

نتيجة المفاوضات

اتفق المتفاوضان عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري على تنحية كل من معاوية وعلي! ويتركان الأمر شورى بين المسلمين ليختاروا هم من رضوه بدلا!

وهذا الذي حدث كان نتيجة وثمرة أخذ ورد أيضا، ومن رغبة كانت لدى عمرو بن العاص، أن يولي ولده عبد ، بدلا عن أبي الحسن والحسين، أو أن يولي أبو موسى عبد بن عمر بن الخطاب!

وحينما رفض أبو موسى ورفض عمرو؛ وكيما لا تثار فتنة من جديد يكون حجاجها أنه أمر مبيت بليل، ومن كلا المفاوضين المصلحين، فتبوء رحلة إصلاحهما بالعطب!

وهذا الذي كان منه اتفاقهما على ما أنف.

وقد رأيا المصلحة في ذلك؛ كفا للدماء، وجمعا للأمة، وهذا مصلحة، ومقابل، ولو ومن وجهة مفسدة الاعتذار لأمير المؤمنين أبي الحسن والحسين!

---

(١٦٩)صحيح مسلم: ٢٩٦٥

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

ولكن عمرو بن العاص كان قد أثبت بيعة على الملأ لمعاوية! وحين كان خلع علي ومعاوية اتفاقا!

ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا.

ولكنه كان قد اشتد أمر الخوارج من صلح كان قد أبرم بين الفريقين!

وأخذوا يهددون أبا الحسن ،وحتى وصل وعيدهم له بالقتل!

والرجل يسكن ألما، ويضمد جراحا، ولعل محاولات رأب الصدع أن تفلح.

وحين بلغ تهديدهم لعلي مبلغه أنذرهم؛ وإذ كان ولابد ومن حسم، ومن قوله الذي حدد ما يلي:

١- إن لكم علينا أن لا نمنعكم مساجدنا ما لم تخرجوا علينا.

٢- ولا نمنعكم نصيبكم من هذا الفيء ما دامت أيديكم مع أيدين.

٣- ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفصل الرابع

موقعة النهروان

ولا تخرجوا من الكوفة جماعات!

هذا قول وحين اجمع القوم مواجهة أمير المؤمنين!

وحين ألهم هذه زيد بن حصن الطائي، على الخروج من الكوفة إلى النهروان، ولأنهم رأوا أن المدائن منيعة، وبأهلها ومن حصونها!

وكان منه هو هذا شأنهم ألا يخرجوا جماعات، بل وحدانا، ولئلا يكشف لهم توجه أو سبيل!

وعلى كل حال، فإن هذا فن عسكري، وإنما الحكمة ضالة المؤمن!

وكما سبق وكررنا عن القوم قد بلغ بهم شأنهم أن كفروا أمير المؤمنين المبشر بالجنة!

وبلغ بهم ذلك مبلغه، وحين كان استدلالهم على كفره! بقوله تعالى﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾. [المائدة: ٤٤]

وبقوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[المائدة: ٤٥].

وبقوله تعالى ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وكذا من قوله تعالى ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وهذا الذي جعل أهل العراق يرمونهم بقوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ و ١٠٤].

التوجه إلى الشام

وكان عزم أبي الحسن التوجه إلى الشام، وحين رفض الخوارج أن يخرجوا معه، وإلا شرط إعلانه عن نفسه الكفر! والتوبة منه! وإلا أنهم، ولسوف ينبذون إليه على سواء ﴿ إِنَّ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٥٨].

وهم في طريقهم إلى الشام جاءهم نبأ إفساد الخوارج في البلاد، وتقتيلهم العباد!

وحين ذكروا صورا منها تقشعر الأبدان:

١- وحين أخذوا خنزيرا وقتلوه، وعند نصح أحدهم، وإذ كيف ذلك، وهو لذمي، فراحوا إليه، واستحلوا منه المظلمة!

٢- وحين وقعت تمرة من نخلة فأكلها أحدهم، وإذ يوبخه الآخر: ومن غير ثمن؟!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

٣- ورغمه! فقد قتلوا صحابيا أنبأهم نبأ هذا النبي محمد صلى عليه وسلم هذا: ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن يشرف لها تستشرفه، ومن وجد ملجأ أو معاذا فليعذ به[١٧٠].

٤- ورغمه قتلوه وبقروا بطن امرأته الحامل!

ولأنهم هكذا تجرأوا.

عودة أمير المؤمنين إلى العراق!

ومنه كانت عودة أبي الحسن من طريقه إلى الشام؛ وربما ينقضي من هذه الفتنة! ومن ثم راح إلى المدائن، ولعل تعالى أن يطفئ نار فتنة عارمة أصيبتها الأمة يومها هذا!

ومنه أرسل إلى الخوارج أن يدفعوا إليه بقتلة من قتلوا، ممن كان مع أبي الحسن، ومن ثم يرفع عنهم لواء هجمته!

وإلا أن القوم عاندوا، وحين بارزوا الإمام، ومن خبرهم أنهم كلهم قتلتهم! وفي عنوان لافت على المكابرة والتحدي!

وما كان من قيس بن عبادة وأبو أيوب الأنصاري إلا مناصحتهم، وإلا أنهم أصروا وعاندوا أيضا.

وعلى كل حال، فإن عمل الأمير وأخويه قيس وأبي أيوب هو عمل صالح!

ولأن النصح في تعالى دين!

---

(١٧٠)صحيح البخاري: ٣٦٠١

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ثم يعاود أبو الحسن والحسين نصحا، وأن القوم ألو استحلوا دجاجة، لكان عند أمرا عظيما! وما بالهم وأن لوا استحلوا دماء إخوانهم!

وهكذا فعلت بهم نفثات إبليس عملها، وحين رأوا أن مقاتلة إخوانهم هي بحث عن مواطن الشهادة!

ولا حول ولا قوة إلا ب العلي العظيم.

رية الأمان

ولكن الأمير لم يدع فرصة يمكن تربحها وعملها لرأب الصدع! وإلا أنفذ فيها همه!

وحين أمر أبا أيوب أن يرفع راية وينادى في القوم :

١- من انحاز إلى هذه الراية فهو آمن!

٢- ومن استنقذ نفسه ورجع إلى المدائن فهو آمن!

ومن ثم نجحت هذه الخطة، في أن كثيرا رجع، وأن قليلا بقي معاندا!

لقد ضركم من غركم

هذا قول أمير المؤمنين أبي الحسن، وحين ظفر بمن بقي، ولم يعد، وحين أصر على المعاندة، وحين مشى، ومن بينهم صرعى، وهو إذ يتمثل نداء النبي صلى عليه وسلم لقتلى بدر من المشركين، وهو إذ يقول: يا فلان هل وجدت ما وعد ربك حقا فقد وجدت ما وعدني ربي حقا؟!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فعن أنس بن مالك: أن رسول صلى عليه وسلم، ترك قتلى بدر ثلاثا، ثم أتاهم فقام عليهم فناداهم، فقال: يا أبا جهل بن هشام يا أمية بن خلف يا عتبة بن ربيعة يا شيبة بن ربيعة أليس قد وجدتم ما وعد ربكم حقا؟ فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فسمع عمر قول النبي صلى عليه وسلم، فقال: يا رسول ، كيف يسمعوا وأنى يجيبوا وقد جيفوا؟ قال: والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا ثم أمر بهم فسحبوا، فألقوا في قليب بدر[١٧١].

وهذا فعل الشيطان وكما أن هذا عمل النفس الأمارة بالسوء وحين يفعلان في العبد هكذا تدميرا وإنهاكا إزهاقا لمكامن الخير فيه وإبدالها بمعاطن الشر والسوء والخطيئة!

من الإعجاز يوم النهروان!

ذو الثدية أنموذج!

وهذا رجل لقيه المسلمون يوم النهروان هذا وقتيلا بين القتلى وإلا أن ريحا منتنة عمت مكانه!

وإلا أن آية مبصرة، ويوم وجدوا له أثداء عند منكبيه تتطاولان وتتقاصران مدا وجزرا! وعلى هيئة توجب خوفا ورعدة؛ ومن عمل القوم، ومن معاصيهم، ومن ذنوبهم، وهذا في الدنيا، وما بالهم يوم يقوم الناس لرب العالمين؟!

وحين ذكر التاريخ: أن عليا خرج في طلب ذي الثدية ومعه سليمان بن ثمامة الحنفي أبو جبرة والريان بن صبرة بن هوذة فوجده الريان ابن صبرة بن هوذة في حفرة على شاطئ النهر في أربعين أو خمسين قتيلا قال فلما استخرج نظر إلى عضده فإذا لحم مجتمع على منكبه كثدي المرأة له

([١٧١])صحيح مسلم: ٢٨٧٤

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

حلمة عليها شعرات سود فإذا مدت امتدت حتى تحاذى طول يده الأخرى ثم تترك فتعود إلى منكبه كثدي المرأة فلما استخرج قال على أكبر و ما كذبت ولا كذبت أما و لولا أن تنكلوا عن العمل لأخبرتكم بما قضى على لسان نبيه صلى عليه وسلم لمن قاتلهم مستبصرا في قتالهم عارفا للحق الذي نحن عليه قال ثم مر وهم صرعى فقال بؤسا لكم لقد ضركم من غركم فقالوا يا أمير المؤمنين من غرهم قال الشيطان وأ نفس بالسوء أمارة غرتهم بالآماني وزينت لهم المعاصي ونبأتهم انهم ظاهرون [١٧٢]!

فلما رآه علي قال: أما و ما كذبت لولا أن تتكلوا على العمل لأخبرتكم بما قضى في قتالهم عارفا للحق.

وعن عاصم بن كليب الجرمي عن أبيه قال كنت عند علي جالسا إذ دخل رجل عليه ثياب السفر قال وعلي يكلم الناس ويكلمونه فقال يا أمير المؤمنين أتأذن أن أتكلم فلم يلتفت إليه وشغله ما هو فيه فجلست إلى الرجل فسألته ما خبرك قال كنت معتمرا فلقيت عائشة فقالت لي هؤلاء القوم الذين خرجوا في أرضكم يسمون حرورية قلت خرجوا في موضع يسمى حروراء فسموا بذلك فقالت طوبى لمن شهد هلكتهم لو شاء ابن أبي طالب لأخبركم خبرهم قال فجئت أسأله عن خبرهم فلما فرغ علي قال أين المستأذن فقص عليه كما قص علينا قال إني دخلت على رسول صلى عليه وسلم وليس عنده أحد غير عائشة أم المؤمنين فقال لي كيف أنت يا علي وقوم كذا وكذا قلت ورسوله أعلم وقال ثم أشار بيده فقال قوم يخرجون من المشرق يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فيهم رجل مخدج كأن يده ثدي أنشدكم ب أخبرتكم بهم قالوا نعم قال أناشدكم ب أخبرتكم أنه فيهم قالوا نعم قال فأتيتموني فأخبرتموني

([١٧٢])تاريخ الطبري، الطبري: ج ٤ / ٦٦

السدا للفكر والثقافة
www.sadal.net

أنه ليس فيهم فحلفت لكم ب أنه فيهم فأتيتموني به تجرونه كما نعت لكم قالوا نعم قال صدق ورسوله[١٧٣].

القَسْمُ

ولكن أبا الحسن لم يقسم ما كان قد غنمه منهم وإنما رده إلى أهليهم!

في علامة فارقة على استصحاب أصل الإيمان، وأن التأول له مجال في ديننا، وإن قوتلوا!

أدب رائد وتجرد قائد

إخوانا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا

وحين سألوا أبا الحسن والحسين عن حكم من قتل يوم النهروان أهم كفار؟

فكان رده وأن لم يكونوا مشركين !

وفي مداولة هكذا سجلها التاريخ نصفة وعدلا وقيمة وهديا وسننا حسنا وأن المسلم ذو عقيدة لا تغيرها الأحداث ولا تغير على المشاعر!

وكان بدء أمرنا أن التقينا والقوم من أهل الشام، والظاهر أن ربنا واحد ونبينا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة، ولا نستزيدهم في الإيمان ب والتصديق برسوله ولا يستزيدوننا، الأمر واحد إلا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء[١٧٤].

([١٧٣])السنن الكبرى، النسائي: ٨٥٦٨

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

سئل علي عن أهل النهروان أمشركون هم؟ فقال: من الشرك فروا، قيل أفمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون إلا قليلا: فقيل فما هم يا أمير المؤمنين؟ قال: إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا[١٧٥].

ولم سموا الحرورية؟

ولأنهم كانوا في مكان يسمى حروراء.

علم نبوة ضاف

من صفات الخوارج!

عن أبي سعيد الخدري: يخرج ناس من قبل المشرق، ويقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه، قيل ما سيماهم؟ قال: سيماهم التحليق - أو قال: التسبيد -[١٧٦].

فإنهم:

١- يخرجون من قبل المشرق. أي من نجد وما قبلها جهة المشرق وقد خرجوا يوم النهروان! من بلاد العراق!

٢- إنهم يقرأون القرآن!

([١٧٤])نهج البلاغة، ابن أبي الحديد: ٣ / ٦٤٨
([١٧٥])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ /٣٢١
([١٧٦])صحيح البخاري: ٧٥٦٢

السدا للفكر والثقافة
www.sadal.net

٣- لا يجاوز القرآن تراقيهم، أي ليسوا به بمنتفعين!

٤- وهم سريعو الخروج من الدين كما يمرق السيف من رمية يرماها!

٥- سيماهم التحليق ، أي حلق الرؤوس!

٦- من سيماهم التسبيد وهو الحلق بأكثر درجة منه!

٧- وهم كثيرو الصلاة مطولوها؛ وحتى يحقر أحد صلاته إلى صلاتهم!

٨- كثيرو الصيام وليحقر أحد صيامه إلى صيامهم!

٩- هم شرار الخلق!

١٠-طوبى أي الجنة لمن قتلهم وفتلوه!

١١- كثيرو الأقوال!

١٢-قليلو الأفعال!

فعن أبي سعيد الخدري: سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى ب منهم. قالوا: يارسول ، ما سيماهم؟ قال: التحليق[١٧٧].

عودة أبي الحسن إلى الكوفة!

إن أمير المؤمنين وقد كتب تعالى له النصر يوم النهروان على الخوارج المحلقين المسبدين!

([١٧٧])صحيح أبي داود، الألباني: ٤٧٦٥

السلام للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وحينها دعا القوم الذهاب إلى استكمال نصرهم هنالك في الشام!

وإلا أن الناس قد اعتذروا؛ ومن نفاد عتادهم، ومن قلة عددهم!

ولكن الأمير ومن ردهم هذا كان قد وعظهم، ومن خطبة طويلة، رأيتها نافعة، فأتحفت بها كتابي هذا:

الحمد لله فاطر الخلق وفالق الأصباح وناشر الموتى، وباعث من في القبور، وأشهد أن لا إله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله.

وأوصيكم بتقوى ، فإن أفضل ما توسل به العبد الإيمان، والجهاد في سبيله، وكلمة الإخلاص فإنها الفطرة، وإقام الصلاة، فإنها الملة، وإيتاء الزكاة فإنها من فريضته، وصوم شهر رمضان فإنه جنة من عذابه، وحج البيت فإنه منفاة للفقر مدحضة للذنب.

وصلة الرحم فإنها مثراة في المال، منسأة في الأجل، محبة في الأهل، وصدقة السر فإنها تكفر الخطيئة وتطفئ غضب الرب، وصنع المعروف فإنه يدفع ميتة السوء ويقي مصارع الهول.

أفيضوا في ذكر فإنه أحسن الذكر، وارغبوا فيما وعد المتقون فإن وعد أصدق الوعد، واقتدوا بهدي نبيكم ﷺ فإنه أفضل الهدى، واستسنوا بسنته فإنها أفضل السنن.

وتعلموا كتاب فإنه أفضل الحديث، وتفقهوا في الدين فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء لما في الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أحسن القصص.

وإذا قريء عليكم فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون، وإذا هديتم لعلمه فاعملوا بما علمتم به لعلكم تهتدون، فإن العالم العامل بغير علمه كالجاهل الجائر الذي لا يستقيم عن جهله.

بل قد رأيت أن الحجة أعظم، والحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه على هذا الجاهل المتحير في جهله، وكلاهما مضلل مثبور.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

لا ترتابوا فتشكوا، ولا تشكوا فتكفروا، ولا ترخصوا لأنفسكم فتذهلوا، ولا تذهلوا في الحق فتخسروا.

ألا وإن من الحزم أن تثقوا، ومن الثقة أن لا تغتروا، وإن أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه وإن أغشكم لنفسه أعصاكم لربه، من يطع يأمن ويستبشر، ومن يعص يخف ويندم.

ثم سلوا اليقين وارغبوا إليه في العافية، وخير ما دام في القلب اليقين، إن عوازم الأمور أفضلها، وإن محدثاتها شرارها، وكل محدث بدعة، وكل محدث مبتدع، ومن ابتدع فقد ضيع.

وما أحدث محدث بدعة إلا ترك بها سنة المغبون من غبن دينه، والمغبون من خسر نفسه.

وإن الريا من الشرك، وإن الإخلاص من العمل والإيمان، ومجالس و تنسي القرآن ويحضرها الشيطان، وتدعو إلى كل غي، ومجالسة النساء تزيغ القلوب وتطمح إليه الأبصار، وهي مصائد الشيطان.

فأصدقوا فأن مع من صدق، وجانبوا الكذب فإن الكذب مجانب للإيمان، ألا إن الصدق على شرف منجاة وكرامة، وإن الكذب على شرف رديء وهلكه.

ألا وقولوا الحق تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم، وعودوا بالفضل على من حرمكم.

وإذا عاهدتم فأوفوا، وإذا حكمتم فاعدلوا، ولا تفاخروا بالآباء، ولا تنابزوا بالألقاب، ولا تمازحوا، ولا يغضب بعضكم بعضا.

وأعينوا الضعيف، والمظلوم، والغارمين، وفي سبيل ، وابن السبيل، والسائلين، وفي الرقاب، وارحموا الأرملة واليتيم، وأفشوا السلام، وردوا التحية على أهلها بمثلها أو بأحسن منها.

{ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا إِنَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [المائدة: ٢]

وأكرموا الضيف، وأحسنوا إلى الجار، وعودوا المرضى، وشيعوا الجنائز، وكونوا عباد إخوانا.

www.sadah.net

أما بعد، فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداع، وإن الآخرة قد أظلت وأشرفت بإطلاع، وإن المضمار اليوم وغدا السباق، وإن السبقة الجنة والغاية النار.

ألا وإنكم في أيام مهل من ورائها أجل يحثه عجل، فمن أخلص لله عمله في أيام مهله قبل حضور أجله فقد أحسن عمله ونال أمله، ومن قصر عن ذلك فقد خسر عمله وخاب أمله، وضره أمله، فاعملوا في الرغبة والرهبة، فإن نزلت بكم رغبة فاشكروا واجمعوا معها رهبة.

وإن نزلت بكم رهبة فاذكروا واجمعوا معها رغبة، فإن قد تأذن المسلمين بالحسنى، ولمن شكر بالزيادة.

وإني لم أر مثل الجنة نام طالبها، ولا كالنار نام هاربها، ولا أكثر مكتسبا من شيء كسبه ليوم تدخر فيه الدخائر، وتبلى فيه السرائر، وتجتمع في الكبائر، وإنه من لا ينفعه الحق يضره الباطل، ومن لا يستقيم به الهدى يجر به الضلال، ومن لا ينفعه اليقين يضره الشك، ومن لا ينفعه حاضره فعازبه عنه أعور، وغائبه عنه أعجز، وإنكم قد أمرتم بالظعن ودللتم على الزاد.

ألا وإن أخوف ما أخاف عليكم اثنان: طول الأمل، واتباع الهوى.

فأما طول الأمل فينسي الآخرة، وأما اتباع الهوى فيبعد عن الحق، ألا وإن الدنيا قد ترحلت مدبرة، وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة، ولهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة إن استطعتم، ولا تكونوا من بني الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل.

وهذه خطبة بليغة نافعة جامعة للخير، ناهية عن الشر[١٧٨].

ثم ومن رد إخوانه، ومما أنف عاد الأمير إلى الكوفة.

ولينظر فصل آخر من سيرته.

([١٧٨])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٣٤٢

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفتنة تشرع من جديد!

وحين قد رجع أبو الحسن والحسين، ومن نشوة نصرته يوم النهروان، ومن شدة كبوته، ومن عدم خروج الأنصار إلى الشام، وليلقى مجابهة أخرى، ومن إيقاظ الناس فتنتهم، يومهم هذا، ومرة أخرى!

وحين جاء قوم يتزعمهم هو هذا الحارث بن راشد الناجي، الذي خلعه وعلى خلعة الحكمين عمرو بن العاص وأبي موسى الأشعري! وإلا أنه زاد خلعة معاوية أيضا، وحين اختلف الحكمان على خلعه!

ومن ثارت الثائرة مرة أخرى ومن فصل جديد من فصول الهم الذي كان أحاق!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الباب الرابع

معاوية يفتح مصر!

هذا واستهلت هذه السنة بشيء، قد حكمت به سجلات التاريخ، أن وضع خلافة علي أبي الحسن بدأ في الضعف، وشيء من هوان!

أسباب هوان قد بدا!

١- وحين قد كان هنالك معاوية في الشام وأنصاره!

٢- ولما كان قد انحسر عنه أعوانه في العراق، ومن بعد يوم النهروان!

٣- وحين وها هم يتفلتون، ومن ألا يروحوا ومن أمره إلى الشام!

٤- مقتل محمد بن أبي بكر، على ما سوف نرى!

أساب تقوية جانب معاوية

ومن هذا الذي أنف استشعر معاوية أن الفرصة قد حانت ليبسط سلطانه، ولا سيما وأن نفرا كانوا قدر راحوا إليه عونا ومن العراق!

وهذه حزمة منها:

١- ضعف بيت الخلافة.

٢- وهذا عصبة كان منها تقوية جانب الشام من جانب آخر!

ولنخلص إلى هذا النتيجة التي أدمت وأثرت وأوجعت وآلمت!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ومنه أمر معاوية عمرو بن العاص التوجه إلى مصر وولاه إياها، وحين فتحه معاوية لها!

وأوصاه، ومن وصيته: بتقوى والرفق والمهل والتؤدة، وأن يقتل من قاتل ويعفو عمن أدبر، وأن يدعو الناس إلى الصلح والجماعة، فإذا أنت ظهرت فليكن أنصارك آثر الناس عندك[١٧٩].

ومن ثم راح عمرو بن العاص إلى مصر مستقويا! ومن خطاب التنصيب الأموي متصلبا!

وكان قد حمل عمرو معه رسالته وخطاب معاوية معا!

موقف محمد بن أبي بكر

ومن ثم اخبر محمد بن ابي بكر أبا الحسن الخليفة الأمير وأنه وإن كان له أن يبعث ببعثه إلى مصر لتقوية عضد واليها الشرعي محمد بن أبي بكر!

وقد حكيانا هذا الضعف الذي كان قد بدأ يحيق ببيت الخلافة في الكوفة!

وإنا لله وإنا إليه راجعون!

وحين رد أمير المؤمنين أبو الحسن والحسين أن يصبر عمرو، وأن يجابه، وأن ولسوف يمده من عدده، وعتاده، ما أمكن أن يمده به!

وبه تقوى جانب عمرو؛ فخاطب الاثنين خطاب الواثق المنتصر!

ودارت الحرب السعار بين كل من محمد بن أبي بكر نائبا عن أبي الحسن، وعمرو بن العاص نائبا عن معاوية!

([١٧٩])البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٣٤٧

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ونتج عنها مقتل محمد بن أبي بكر!

وهذا فصل جديد من فصول وهن دب إلى بيت الخلافة العلوي!

وحين بلغ الخبر أم المؤمنين عائشة، أخذتها ما تأخذ النساء، ومن تصبرهن، ومن غمهن أيضا، ولا سيما أنه أخوها، وحين اكتنفت أبناءه!

وغير أنها أخذت تقنت داعية على كل من عمرو بن العاص ومعاوية معا دبر كل صلاة!

وحين علم علي بن أبي طالب علمه، بمقتل أميره على مصر، بعث إليها الأشتر النخعي أميرا، وإلا أنه مات في طريقه! لحكمة يعلمها ربنا تعالى.

ثم إنه أخذ يعبئ الناس أن يخرجوا إلى نصرته في مصر من كل من عمرو بن العاص ومعاوية!

ولكن جهوده وخطبه قوبلت بفتور لم يكن معهودا أن يلقاه!

ومن ثم بعث إلى عبد بن عباس في البصرة أن يشاوره فعضده وقواه وصبره وأمده!

ولكن العدد والعدة لم تكونا لتكفيا جيشا أريد له أن يزحف إلى مصر لاستنقاذها!

ومن فراغها البصرة من الإمام الحبر الترجمان!

وجدها معاوية بن أبي سفيان فرصته السانحة، فبعث من يناولهم رأي معاوية، وأنه لابد أن يطيعوا وأن ينصروا وأن يؤازروا!

ومنه نتج أن نفرا عظيما من بني تميم، كانوا قد أعلنوا ولاءهم، لعبد بن عمرو الحضرمي، مبعوث معاوية على البصرة!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وإلا أن أبا الحسن كان قد أرسل إليهم جارية بن قدامة التميمي، وحين أبغتهم وهزمهم وأوقفهم على إمارة أبي الحسن في البصرة ومرة أخرى!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الباب الخامس

أحداث السنة التاسعة والثلاثين

وما أنف ذكره أن معاوية كان قد استشعر أن الأمر أصبح مستتبا له ولا سيما ما كان منه فرض ولايته على الشام ومصر أيضا.

وأن ما تبقى من بيت الخلافة عند أبي الحسن، وإنما هي شذرات، ولما كان قد تفرق عنه جمعه، في الكوفة، أو ما أشبهه!

ولعل فذلك ما كان قد م معاوية أكثر؛ ولأنه، وإن تبقى لأبي الحسن من ولاية! وإنما هي ولاية إسمية، لا حكمية ولا واقعية!

وعند ذلك بعث جيشا عرمرم إلى العراق طامعا أن يدخل الجميع تحت سلطانه!

وهو الأمر الذي زاد من تفرق من كان قد تبقى مع بيت الخلافة في الكوفة عن أميرهم!

وكان قد عنف البصريين أبو الحسن ولأنهم لم يعاونوه من وقت حربه ولا هم كانوا قد آزروه ويوم سلمهم أيضا!

وإلا أنه انتدب مالك بن كعب إلى الخروج ولو كان وحده، وحين لم يتبق معه سوى مائة رجل! وجاءه مدد من جهة مخنف بن سليم مع ابنه عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلا!

ومنه علم أهل الشام أن الأمر خطب شديد، وأنه ليس يستهان بمقدرات جيش الخلافة!

ومنه ولوا وهربوا!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وخرج أبو الحسن بنفسه إلى المواجهة وحين استعتب البقاقون وحين أزكى الإمام تعنيفهم أكثر!

ولكن معاوية أراد بسط السيطرة على المدينة ومكة والحجاز في محاولة لبسط سلطانه على ربوع الدولة كلها!

ومنه أمر جيشه بذلك وحين أمر الأمير أبو الحسن المسيب بن نجيبة الفزاري في ألفي رجل فالتقوا، عند تيماء، ومن فور علمه بذلك.

ولكن تعالى نصره وأمده وانقلب بنصره المهيب ومن بعد أن قذف الرعب في قلوب أهل الشام ومما راوه ومن نفرة جيش الخلافة وعلى قلة عدده.

ولم يسكت معاوية وظل على أمره ومن بعثه مددا هو الآخر ولا حول ولا قوة إلا ب العلي العظيم!

ولكنه ومن جهة كان قد ازدادت رقعة الخلاف على أبي الحسن وحين امتنع أهل فارس إعطاءه خراجهم! وكان منه وأن تمردوا وأخرجوا عاملهم سهل بن حُنيف!

ومنه كانت مشورة أبي الحسن وماذا هو فاعل تجاه هذا الذي يجري و غالب على أمره!

واتفقت المشورة على تولية زياد بن أبيه وصحبة جيش قوامه أربعة آلاف إلى أهل فارس فأطاعوا أميرهم وأعطوه خراجهم!

أرسل معاوية بن أبي سفيان عامله معاوية بسر بن أبي أرطاة في ثلاثة آلاف من المقاتلة إلى الحجاز، ومن ثم زحفوا لى المدينة وحين لم يجدوا هكذا مدافعة تذكر من أهل الحجاز حتى تمهد إلى المدينة طريقها!

جابر بن عبد يبايع لمعاوية!

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وحين كان منه وجله وأنه لابد مقتول وأنه ليس معهم من عدد ولا عتاد يواجهون به جيشا جرارا وممن قد بايعوا وممن قد أتوا أيضا!

ومنه راح جابر بن عبد ، يستشير أم المؤمنين، أم سلمة، وحين أشارت عليه ببيعته لمعاوية؛ ولأنها أيضا كانت قد امرت ابنها عمر وختنها عبد بن زمعة زوج ابنتها زينب، بهكذا البيعة؛ ولأنه أصبح الواقع على ما يبدو بيد معاوية، وأنه الأمير المغلب واقعا وفعلا!

ثم زحف بسر إلى مكة ومن بعدها إلى اليمن فدانتا له وكما قد دانت إمارات أخر قبلها!

ولما بلغ عليا خبر بسر وجه جارية بن قدامة في ألفين، ووهب بن مسعود في ألفين، فسار جارية حتى بلغ نجران فخرق بها وقتل ناسا من شيعة عثمان، وهرب بسر وأصحابه فاتبعهم حتى بلغ مكة، فقال لهم جارية: بايعوا فقالوا: لمن نبايع وقد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع؟ فقال: بايعوا لمن بايع له أصحاب علي، فتثاقلوا ثم بايعوا من خوف[١٨٠].

صلح بين الإمامين!

ولعله ومن باب المصلحة وواد الفتنة العارمة وحين تراسل الإمامان! أبو الحسن وأبو يزيد! على حقن دماء أريقت! وأن يستتب الأمر لعلي لأبي الحسن على العراق وأن الشام لمعاوية!

وهذا صلح مبدئي ظاهري، وهذه هدنة ومن أمرها الفعلي الحقيقي!

---

(١٨٠)البداية والنهاية، ابن كثير: ج ٧ / ٣٥٧

www.sadah.net

استشهاد أبي الحسن!

اجتمعت على الرجل منغصات شتى:

١- وهذه ضعف بنية خلاف في العراق وتفرق الناس عنه!

٢- وهذه قوة معاوية المتنامية في الشام!

٣- وهذا خلاف أهل العراق لأميرهم أبي الحسن!

٤- وهذه قوة جيش أهل الشام تزداد ومقابلة جيش الكوفة يتهاوى يوما ومن بعد يوم آخر!

عن زيد بن وهب، قال: قدم على علي وفد من أهل البصرة، وفيهم رجل من الخوارج يقال له الجعد بن نعجة، فحمد وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى عليه وسلم ثم قال: اتق يا علي، فإنك ميت، فقال علي: لا، ولكني مقتول، ضربة على هذا، تخضب هذه، قال: وأشار علي إلى رأسه ولحيته بيده، قضاء مقضي، وعهد معهود، وقد خاب من افترى، ثم عاب عليا في لباسه، فقال: لو لبست لباسا خيرا من هذا، فقال: إن لباسي هذا أبعد لي من الكبر، وأجدر أن يقتدي بي المسلمون[١٨١]!

وحين قال قد أشعر بلقائه ربه تعالى وإن لمقتول، وليس بميت!

وطلبوا منه أن يستخلف، ويكانه أنه أبى! وإنه تعالى إذا أراد بهم خيرا، ولستخلفن عليهم من قد صلح وأصلح!

ولئن كانت الأخرى، فربهم بهم كفيل، وإنه تعالى له الحكمة البالغة!

([١٨١])المستدرك على الصحيحين، الحاكم: ٤٦٧٠

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

عن صعصعة بن صوحان، قال: خطبنا علي رضي عنه حين ضربه ابن ملجم، فقلنا: يا أمير المؤمنين، استخلف علينا، فقال: أترككم كما تركنا رسول صلى عليه وسلم، قلنا: يا رسول ، استخلف علينا، فقال: إن يعلم فيكم خيرا يول عليكم خياركم قال علي: فعلم فينا خيرا فولى علينا أبا بكر رضي عنه[١٨٢].

قلت: وهذه نفسية رجل قد أثخنتها الأحداث وأهلكتها المصائب ودالت عليها المعايب، وحين لم ينصره قومه وحين قام عليه ابن عمه! وطيلة زمن خلافته هذا!

وأن الرجل، ولم يهنأ، فيما يبدو لنا، ومن يوم واحد، ومذ أن بايعه الناس، ويوم ألزموه البيعة، ويوم كان قد استأخر عنها معتذرا!

وها هو اليوم يرمي لنا بنبوءته، أو فراسته، أو إلهامه، أو كله معها، وإنه لمقتول لا بميت!

حدثنا الحريث بن مخشي، أن عليا قتل صبيحة إحدى وعشرين من رمضان، قال: فسمعت الحسن بن علي يقول، وهو يخطب وذكر مناقب علي، فقال: قتل ليلة أنزل القرآن، وليلة أسري بعيسى، وليلة قبض موسى، قال: وصلى عليه الحسن بن علي عليهما السلام هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه[١٨٣].

وعن أسباط بن نصر قال: سمعت إسماعيل بن عبد الرحمن السدي يقول: كان عبد الرحمن بن ملجم المرادي عشق امرأة من الخوارج من تيم الرباب يقال لها: قطام، فنكحها، وأصدقها ثلاثة آلاف درهم، وقتل علي رضي عنه[١٨٤].

([١٨٢])المستدرك على الصحيحين، الحاكم: ٤٦٨٢
([١٨٣])المرجع السابق: ٤٦٧١
([١٨٤])المرجع السابق: ٤٦٧٣

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وصية أبي الحسن

بسم الرحمن الرحيم!

هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أنه يشهد أن لا إله إلا وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين.

أوصيك يا حسن وجميع ولدي ومن بلغه كتابي بتقوى ربكم ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واعتصموا بحبل جميعا ولا تفرقوا فإني سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: « إن صلاح ذات البين أفضل من عامة الصلاة والصيام » انظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوا لِيهوِّن عليكم الحساب، في الأيتام فلا تعفو أفواهم ولا يضيعن بحضرتكم، و في جيرانكم فإنهم وصية نبيكم، ما زال يوصي بهم حتى ظننا أنه سيورثهم.

و في القرآن فلا يسبقنكم إلى العمل به غيركم، و في الصلاة فإنها عمود دينكم، و في بيت ربكم فلا يخلون منكم ما بقيتم فإنه إن ترك لم تناظروا، و في شهر رمضان فإن صيامه جنة من النار.

و في الجهاد في سبيل بأموالكم وأنفسكم، و في الزكاة فإنها تطفئ غضب الرب، و في ذمة نبيكم لا تظلمن بين ظهرانيكم.

السلالة للفكر والثقافة
www.sadalu.net

و في أصحاب نبيكم فإن رسول ﷺ أوصى بهم، و في الفقراء والمساكين فأشركوهم في معاشكم، و فيما ملكت أيمانكم فإن آخر ما تكلم به رسول ﷺ أن قال: « أوصيكم بالضعيفين نسائكم وما ملكت أيمانكم ».

الصلاة الصلاة لا تخافن في لومة لائم يكفكم من أرادكم وبغى عليكم، وقولوا للناس حسنا كما أمركم .

ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيولي الأمر شراركم ثم تدعون فلا يستجاب لكم، وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتدابر والتقاطع والتفرق، وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الآثم والعدوان واتقوا إن شديد العقاب.

حفظكم من أهل بيت، وحفظ عليكم نبيكم، أستودعكم وأقرأ عليكم السلام ورحمة .

ثم لم ينطق إلا بلا إله إلا حتى قبض، في شهر رمضان سنة أربعين.

وقد غسله ابناه الحسن، والحسين، وعبد بن جعفر، وصلى عليه الحسن فكبر عليه تسع تكبيرات[١٨٥].

وروى ابن جرير قال: حدثني الحارث، ثنا ابن سعد، عن محمد بن عمر قال: ضرب علي يوم الجمعة فمكث يوم الجمعة، وليلة السبت، وتوفي ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة[١٨٦].

([١٨٥])البداية والنهاية، ابن كثير : ج ٧ / ٣٦٣
([١٨٦])المرجع السابق: ج ٧ / ٣٦٣

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

مصادر البحث

١- سنن النسائي.

٢- صحيح الجامع، الألباني.

٣- صحيح النسائي، الألباني.

٤- السيرة النبوية، ابن كثير.

٥- صحيح البخاري.

٦- تاريخ الطبري، الطبري.

٧- البداية والنهاية، ابن كثير.

٨- كنز العمال، المتقي الهندي.

٩- صحيح مسلم.

١٠- الأنوار الكاشفة، المعلمي.

١١- تخريج المسند، شعيب الأرناؤوط.

١٢- الإتقان في علوم القرآن، السيوطي.

١٣- صحيح أبي داود، الألباني.

١٤- سنن الترمذي.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

١٥- أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن، ابن الأحمر.

١٦- لسان العرب، ابن منظور.

١٧- السلسلة الصحيحة، الألباني.

١٨- صحيح الترمذي، الألباني.

١٩- منهاج السنة النبوية، ابن تيمية.

٢٠- الاعتقاد ، البيهقي.

٢١- تخريج المسند، أحمد شاكر.

٢٢- تاريخ الإسلام، الذهبي.

٢٣- المستدرك، الحاكم النيسابوري.

٢٤- تخريج مشكل الآثار، شعيب الأرناؤوط.

٢٥- معارج القبول، الحكمي.

٢٦- صحيح النسائي، الألباني.

٢٧- صحيح الترمذي، الألباني.

٢٨- البدر المنير، ابن الملقن.

٢٩- فتح الباري، ابن الحجر.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

٣٠- الكامل في التاريخ، ابن الأثير.

٣١- الفصول المهمة في معرفة الأئمة.

٣٢- زاد المعاد، ابن القيم.

٣٣- تاريخ مدينة دمشق، ابن عساكر.

٣٤- مجموع الفتاوى، ابن تيمية.

٣٥- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، النووي.

٣٦- السنن الكبرى، النسائي.

٣٧- نهج البلاغة، ابن أبي الحديد.

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الفهارس

بسم الرحمن الرحيم..... ١

الباب الأول..... ٦

الفصل الأول..... ٧

مناقب أبي الحسن والحسين علي بن أبي طالب..... ٧

دخول علي بن أبي طالب على زوجته فاطمة بنت رسول صلى عليه وسلم..... ١٤

من أمجاد القتال في الإسلام..... ٢١

مبارزة علي بن أبي طالب عمرو بن ود نموذج..... ٢١

وهذا هو حكمه تعالى فيهم بنص قول نبينا ﷺ:..... ٢٧

وإذ دعا رسول ﷺ علي بن أبي طالب رضي عنه فقال:..... ٢٨

الإشهاد على اتفاق الصلح:..... ٢٨

و لا أمحوك أبدا!..... ٣٢

عودة إلى الحجاب..... ٣٥

جعفر أبو المساكين!..... ٣٦

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا ب ربكم إن كنتم خرجتم جهادا في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل﴾ [الممتحنة ١]..... ٣٩

السداد للفكر والثقافة
www.sadalu.net

هذا هو الحجاب..... ٤٤
يا رسول أتخلفني في النساء والصبيان؟!..... ٤٧
من آذى عليا فقد آذاني..... ٥١
السلام على همدان، السلام على همدان..... ٥٤
إنما لكم فيها سهم كما للمسلمين..... ٥٧
الأمر الأول:..... ٥٨
الأمر الثاني:..... ٥٨
الأمر الثالث:..... ٥٨
الأمر الرابع:..... ٥٩
الأمر الخامس:..... ٥٩
الأمر السادس:..... ٥٩
الأمر السابع:..... ٦٠
الأمر الثامن:..... ٦٠
علم نبوة ضاف!..... ٦٢
ثقة في وعد تعالى!..... ٦٢
الأولى: عظم الأحداث والمهام،..... ٦٣
الثانية: هو هذه الخبرة بالقضاء،..... ٦٣

السداد للفكر والثقافة
www.sadalu.net

الأمر الأول: وجوب سماع أطراف الدعوى جيدا،..... ٦٥
الأمر الثاني: هو ذلكم العلم بالنصوص الحاكمة،..... ٦٥
ولا أعطي عليها شيئا في جزارتها..... ٧٠
﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ﴾ [الفتح:٢٧]..... ٧١
التفويض الإداري في الهدي النبوي..... ٧٣
علي الأمير الأمين..... ٧٣
الجانب الأول: وهو ذاك تصرف أميره،..... ٧٤
والأمر الثاني: أنه قد خرج بتصرفه هذا عن حدود التفويض،..... ٧٤
الأمر الثالث: هو هذه خشية عليٍّ رضي تعالى عنه،..... ٧٤
الأمر الرابع: ولا سيما أيضا أن عليا كان قد ترك الناس،..... ٧٥
الأمر السادس:..... ٧٥
الأمر الثامن:..... ٧٥
الأمر التاسع:..... ٧٦
حلية الطالب في معنى ولاية علي بن أبي طالب..... ٧٧
الاستشفاء بالماء..... ٨٣
وبيان فضل علي..... ٨٣
إني لأعرف وجوه بني عبد المطلب عند الموت..... ٩٠

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

فرية الإيصاء لعلي بالخلافة.. ٩٣

إثبات بيعة علي لأبي بكر!.. ٩٥

الوجه الأول:.. ٩٥

الوجه الثاني:... ٩٥

الوجه الثالث:.. ٩٥

الوجه الرابع:... ٩٥

الوجه الخامس:.. ٩٦

الوجه السادس:.. ٩٧

الوجه السابع:.. ٩٧

الوجه الثامن:... ٩٧

أحدث الناس عهدا برسول ﷺ قثم بن عباس... ٩٩

نجابة عليٍّ.. ٩٩

بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب!... ١٠١

فرية الإيصاء لعلي بالخلافة.. ١٠٦

م إني أحبهما، فأحبهما.. ١٠٧

وتكفر باللات والعزى... ١١٠

دعابة النبي صلى عليه وسلم أبا الحسن... ١١٢

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

اجلس أبا تراب..... ١١٢
الفصال الثاني..... ١١٣
فضل علي وولايته..... ١١٣
زهده عن الإمامة..... ١١٧
بيعته..... ١١٨
بوادر الفتنة!..... ١١٩
توفيق رباني لعمل علي الإداري..... ١١٩
عمل الشورى..... ١٢٠
حزم قائد..... ١٢١
الروم تصيد في الماء العكر!..... ١٢٢
الباب الثاني..... ١٢٤
أحداث السنة السادسة والثلاثين..... ١٢٤
بوادر الفتنة الثانية..... ١٢٤
أولا: معاوية يرد أميرَ أميرِ المؤمنين!..... ١٢٤
ثانيا: اختلاف أهل مصر على قيس بن سعد!..... ١٢٤
أزواج النبي في مكة!..... ١٢٥
مبررات الخروج..... ١٢٥

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

يوم النحيب..... ١٢٦
علم نبوة ضاف!..... ١٢٧
لم خرجت عائشة أم المؤمنين؟..... ١٢٧
علم نبوة ضاف..... ١٢٨
ما اسم الموقعة؟!..... ١٢٩
الأمير ينتصب بنفسه..... ١٣٠
الناس ينصحون أبا الحسن..... ١٣٠
أهمية الأنصار:..... ١٣١
مداولات بين أبي الحسن والحسن..... ١٣١
رأي الحسن..... ١٣١
المرة الأولى:..... ١٣١
المرة الثانية:..... ١٣١
المرة الثالثة:..... ١٣١
رد أبي الحسن..... ١٣٢
وأما عن المرة الأولى:..... ١٣٢
وأما عن المرة الثانية:..... ١٣٢
وأما عن المرة الثالثة:..... ١٣٢

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

خطبة التعبئة والقيام على حكم..... ١٣٢
هل خرج أبو الحسن للقتال ابتداءً؟..... ١٣٣
الدبلوماسية الناعمة..... ١٣٥
١..... ١٣٥
بلاغة أبي موسى الأشعري أنموذج..... ١٣٥
﴿ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [القصص: ٣٤]..... ١٣٦
﴿ وَفَضَّلَ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٥]..... ١٣٦
اسكت مقبوحا منبوحا..... ١٣٧
إن أبوا داويناهم بالرفق حتى يبدأونا بالظلم..... ١٣٨
الدبلوماسية الناعمة..... ١٣٨
٢..... ١٣٨
درء المفاسد وجلب المصالح..... ١٣٩
ألا إني مرتحل غدا فارتحلوا..... ١٤٠
لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة..... ١٤٣
1- وأما عن مناسبته:..... ١٤٣
٢- وأما عن فهمه:..... ١٤٣

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

وما قد خلق له:..... ١٤٦
إن شئت قاتلت معك، وإن شئت كففت عنك عشرة آلاف سيف..... ١٤٧
إبليس لا يفتر..... ١٤٧
علم نبوة ضاف..... ١٤٩
ويْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ..... ١٤٩
علم نبوة ضاف..... ١٥٠
الحق مع أبي الحسن والحسين..... ١٥٠
يا حسن ليت أباك مات منذ عشرين سنة!..... ١٥٢
يا طلحة! أجئت بعرس رسول ﷺ تقاتل بها..... ١٥٣
وعاد الشيطان بلمزه..... ١٥٤
محمد بن طلحة المعروف: بالسجاد!..... ١٥٥
آمرك أن تكون كخير ابني آدم..... ١٥٥
حماية أبي الحسن والحسين علي لأم المؤمنين!..... ١٥٥
و ما أرى إلا حميراء!..... ١٥٦
المصالحة الوطنية..... ١٥٧
أين المريض؟..... ١٥٧
إنا أمرنا أن نكف عن النساء وهن مشركات أفلا نكف عنهن وهن مسلمات؟..... ١٥٨

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

مقابلة حسنى..... ١٥٩
وإنه على معتبتي لمن الأخيار..... ١٦٠
عودة أم المؤمنين مكرمة من أخيها أبي الحسن والحسين!..... ١٦٠
إن لله جندا من عسل!..... ١٦١
وقفة عند الحدث:..... ١٦٢
محمد بن أبي بكر أمير على مصر..... ١٦٢
علم نبوة ضاف..... ١٦٣
من وراء الحدث!..... ١٦٥
1- وأما شفقتها:..... ١٦٥
٢- وأما انطلاؤها على حكمة:..... ١٦٥
أما إن رجالا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان، فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم!..... ١٦٧
فأنا أكرهه لذلك!..... ١٦٨
الحمد لله الذي لم يجعلني عنده نسيا منسيا..... ١٧١
شهادة راهب بالحق..... ١٧٣
ولكن صابرهم حتى آتينك..... ١٧٤
أهمية اتخاذ المواقع العسكرية..... ١٧٤
معاوية يعقد مجلس شورى الماء!..... ١٧٥

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

رسل الصلح.. ١٧٥
الباب الثالث.. ١٧٧
أحداث السنة السابعة والثلاثين.. ١٧٧
الفصل الأول.. ١٧٧
عمل الدبلوماسية.. ١٧٧
من مظاهر العمل الدبلوماسي في الإسلام... ١٧٨
يوم صفين أنموذج... ١٧٨
رد معاوية... ١٧٨
من المساعي الحميدة (١).. ١٧٩
عمل القراء.. ١٧٩
المساعي الحميدة (٢).. ١٧٩
المساعي الحميدة لأبي الدرداء، وأبي أمامة.. ١٧٩
دهاء معاوية!.. ١٨٠
وقفة عند عمل القراء.. ١٨٠
ولكن عليا كان أدهى... ١٨١
من أخلاق الحرب في ديننا.. ١٨٢
خطبة معاوية للتعبئة.. ١٨٢

السادة للفكر والثقافة
www.sadah.net

علم نبوة ضاف..... ١٨٣
ليلة الهرير!..... ١٨٦
بيننا وبينكم كتاب..... ١٨٦
وظهر ت الخوارج!..... ١٨٧
الفصل الثاني..... ١٨٩
أبو الحسن والحسين والخوارج..... ١٨٩
علم نبوة ضاف..... ١٩١
وإن يقتتلوا يركبوا سنن من كان قبلهم..... ١٩٢
سيجيء قوم لا يفهمون القرآن كما نفهمه!..... ١٩٢
﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام: ٦٥]..... ١٩٣
الفصل الثالث..... ١٩٥
التحكيم..... ١٩٥
علم نبوة ضاف..... ١٩٦
تفترق الأمة إلى فرقتين!..... ١٩٦
بعث ابن عباس للتحكيم..... ١٩٧
تلبيس إبليس!..... ١٩٨

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

موجز المناظرة وعناد أهل المكابرة!..... ٢٠٠
براعة اختيار مكان وزمان المفاوضات..... ٢٠١
الجانب الأول:..... ٢٠١
الجانب الثاني:..... ٢٠٢
الجانب الثالث:..... ٢٠٢
إن يحب العبد التقي الغني الخفي..... ٢٠٢
نتيجة المفاوضات..... ٢٠٣
ولكن عمرو بن العاص كان قد أثبت بيعة على الملأ لمعاوية! وحين كان خلع علي ومعاوية اتفاقا!..... ٢٠٤
ولا نقاتلكم حتى تقاتلونا..... ٢٠٤
الفصل الرابع..... ٢٠٥
موقعة النهروان..... ٢٠٥
ولا تخرجوا من الكوفة جماعات!..... ٢٠٥
التوجه إلى الشام..... ٢٠٦
عودة أمير المؤمنين إلى العراق!..... ٢٠٧
رية الأمان..... ٢٠٨
لقد ضركم من غركم..... ٢٠٨
من الإعجاز يوم النهروان!..... ٢٠٩

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

ذو الثدية أنموذج!..... ٢٠٩
القَسْمُ..... ٢١١
أدب رائد وتجرد قائد..... ٢١١
إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم علينا..... ٢١١
ولم سموا الحرورية؟..... ٢١٢
علم نبوة ضاف..... ٢١٢
من صفات الخوارج!..... ٢١٢
عودة أبي الحسن إلى الكوفة!..... ٢١٣
الفتنة تشرع من جديد!..... ٢١٧
الباب الرابع..... ٢١٨
معاوية يفتح مصر!..... ٢١٨
أسباب هوان قد بدا!..... ٢١٨
أساب تقوية جانب معاوية..... ٢١٨
موقف محمد بن أبي بكر..... ٢١٩
الباب الخامس..... ٢٢٢
أحداث السنة التاسعة والثلاثين..... ٢٢٢
صلح بين الإمامين!..... ٢٢٤

السدا للفكر والثقافة
www.sadalu.net

استشهاد أبي الحسن!..... ٢٢٥
وصية أبي الحسن..... ٢٢٧
بسم الرحمن الرحيم!..... ٢٢٧
مصادر البحث..... ٢٢٩
الفهارس..... ٢٣٢

السداد للفكر والثقافة
www.sadalu.net